



لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى
ت ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م

الجزء الثالث والعشرون

القسم الثاني

سيرة الرسول ﷺ وأنساب الطالبيين

تحقيق
د. محمد عبد القادر خريسات
د. عصام مصطفى عقلة   د. يوسف أحمد بني ياسين



مركز زايد للتراث والتاريخ



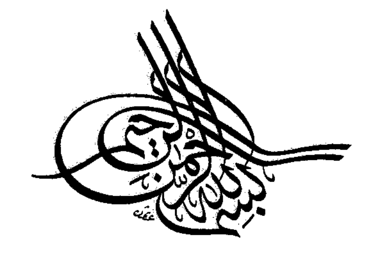

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

رقم التصنيف : ديوي 919، موسوعة جغرافية تاريخية
المؤلف ومن هو في حكمه : ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ ــ ١٣٤٩م
تحقيق : د. محمد عبد القادر خريسات ـ د. عصام مصطفى عقله ـ
د. يوسف أحمد بني ياسين
عنوان الكتاب : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ الجزء الثالث والعشرون ـ القسم الثاني ـ
سيرة الرسول ﷺ وأنساب الطالبيين
الموضوع الرئيس : مسرد كامل لأنساب الطالبيين من أهل البيت ـ السيرة النبوية ـ الهجرة ـ
المغازي ـ الخلفاء الراشدون وأنساب أهل البيت
قيد الكتاب : تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي، بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف
بوزارة الإعلام والثقافة تحت رقم: (٥٩ ــ ٢٠٠٦م) تاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٢م
الناشر : مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
ملتزم الطبع : دار البارودي ــ أبو ظبي ص.ب ٤٢٨٦٠
توصيف الكتاب : مقاس ١٧ × ٢٤، عدد الصفحات ٢٥٦صفحة
الرقم الدولي : ISBN 9948-06-137-3

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ ــ ٢٠٠٦ م



مركز زايد للتراث والتاريخ
ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY
ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف : ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١
P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177
E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE





كلمة المركز

يسر مركز زايد للتراث والتاريخ أن يقدم للقراء العرب، وبخاصة المهتمين بالتراث العربي الإسلامي، واحداً من أضخم الأعمال الموسوعية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها، ألا وهو كتاب «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**» لأحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ ـ ١٣٤٩م).

وقد تبنى المركز نشر هذه الموسوعة بتوجيهات كريمة من **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، حيث حرص سموه على الإعتناء بالتراث العربي المخطوط ونشره ليكون في متناول أيدي الباحثين والمختصين لذلك تأتي هذه الموسوعة التاريخية الهامة ضمن خطة المركز الطموحة لنشر التراث العربي الأصيل وتقريبه للقارىء العربي وخدمته.**

وقد اعتمد المركز نشر الكتاب من خلال خطة تقوم على الحفاظ بداية على تجزئة الكتاب كما أراده المؤلف وسيكون بعون الله في ٢٨ مجلداً تتبعها الفهارس العامة للكتاب ولما كانت الموسوعة بهذه الضخامة والأهمية فقد قام المركز بتكليف أساتذة أكاديميين من ذوي الخبرة بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات لتحقيق الكتاب وجمع مخطوطاته لمقارنتها مع بعضها بعضاً للوصول إلى أكمل نسخة من الكتاب، وكذلك فلا بد من تقديمها مع دراسة تجلي الجوانب المختلفة من حياة مؤلفها، وتبين أهمية الكتاب ومنهج المؤلف وأسلوبه مع دراسة كاملة لمخطوطات الموسوعة المستخدمة في التحقيق التي ستكون بعون الله في المجلد الأول حيث لا يمكن إنجاز هذه الدراسة إلا بعد استكمال تحقيق أجزاء الكتاب كاملة.

والمركز إذ يقدم هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية الأدبية فإنه يأمل بذلك أن يكون قد خدم المكتبة العربية بهذا المرجع الضخم، وأن يقع من نفوس القراء والباحثين الموقع الحسن، نسأل الله أن يوفقنا إلى خدمة تراثنا وتاريخنا رمز حضارتنا العربية والإسلامية، ومبعث افتخارنا واعتزازنا.

والله ولي التوفيق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز



المقدمة

تمكنا والحمد لله وحده من إنجاز القسم الثاني من الجزء الثالث والعشرين من موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، وقد اعتمدنا في إخراجه على ثلاث مخطوطات قمنا بذكرها وبيان تفاصيلها في القسم الأول من الجزء الثالث والعشرين لذلك لن نقوم هنا بإعادة ذكرها.

وتميز هذا القسم مثل غيره من أسفار موسوعة المسالك بعدة ميزات لعل من أهمها:

١ ـ أن العمري قدم في هذا المجلد سرداً كاملاً لأنساب الطالبيين مما لم يورده بهذا الشمول غيره من مصنفي الموسوعات، وهو الأمر الذي يجعل هذا القسم من ضمن كتب الأنساب المهمة المتعلقة بأنساب آل البيت.

٢ ـ اعتمد العمري في هذا القسم على مشاهداته الشخصية لبعض المزارات العلوية من مثل مزار السيدة نفيسة في القاهرة، واعتماده على رواة معاصرين للأحداث.

٣ ـ نقل العمري عن مصادر هي في حكم المفقود الآن، ولا نعرف عنها سوى ما حفظه لنا منها العمري في كتابه من مثل كتاب الكمائم للبيهقي، وكتاب كنوز المطالب في أنساب آل أبي طالب لابن سعيد المغربي الذي ذكر في الكتاب مشاهداته الشخصية ودون أخبار بعض الأشراف ممن التقاهم وانفرد بتلك المعلومات عنهم، ومن هنا تأتي الأهمية الكبرى لكتاب المسالك لحفظه تلك المصادر.

٤ ـ نقل العمري في كتابه عن مصادر وصل جزء منها وفقد جزء آخر، وكان نقله من الأجزاء المفقودة منها، ولعل أهمها كتاب جمهرة أنساب قريش وأخبارها للزبير بن بكار الذي نقل عنه معظم مادته في أنساب العلويين وهي مادة غاية في الأهمية، وكذلك كتاب الورقة لابن الجراح.

٥ ـ حفظ لنا العمري في كتابه بعض أشعار شعراء لم ترد في دواوينهم المطبوعة مثل أشعار الشريف الرضي.

٦ ـ حفظ لنا العمري في هذا القسم مقطوعات كثيرة من شعره في مدح الرسول ﷺ وآل البيت مما لم يورده غيره ممن ترجم له.

المحققون



السيــــرة النبــويــــة



[السيرة النبوية]

وإذا قد فرغنا من ذكر أنبياء العرب ـ صلوات الله عليهم ـ ممن كان قبل سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء، ولنذكر أولاً شيئاً من أحوال النبي ﷺ لنضيء[1] هذا الكتاب بمشكاته، ونضيف ما تضمنه إلى بركاته.

[مولد الرسول صلى الله عليه وسلم]

ولد سيدنا محمد ﷺ في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، المبارك، عام الفيل. هذا هو الصحيح عند الأكثر.

ولي من قصيدة ذكرت فيها المولد الشريف:

هل للمتيم في ربيع الأول ... إلّا صبابةَ عاشقٍ لا تنجلي

شهر عظيم في الشهور لأنه ... كشف الضلال فبان كل مضلل

لمَ لا نهيمُ به لمولد مَن به ... يسرى لنا في كل عام مقبل

ولد النبي به فأخصب ممحل ... والغيث لا يبقى بقايا ممحل

[٢٤٩] وافى رسول الله بل وافى به ... صوب الحيا يمشي بكم مُسبل

لم لا يشق به الدجى أسفاً وقد ... طلع الصباح لوجهه المتهلل

في شهره الموفى بكل مسرّة ... وافى كبدر التم أشرف مرسل

في بكرة الاثنين ثاني عشرة ... من عام فيل في ربيع الأول

فأتى ربيع في ربيع بالندا ... يسعى بأنواء السحاب الهطل

لله آمنة الحصان فإنها ... ولدت كريم الجد أفضل مفضل

لله ما زهرية حملت به ... من هاشمي في الفخار مفضل

ولدت خيار الخلق يعرف نسبة ... في كل ذي نسب معم مخول

حلمت به ليست تحس بحمله ... من خفة فكأنها لم تحمل[2]

---

(١) ب: ليُضيء.

(٢) ب: وكأنها لم تحمل.

وضعت نبي الله يرفع طرفه ... نحو السماء إلى المقام الأفضل

ثم خرجت إلى أنواع من المدح، على أن المطيل هنا ولو أنفذ العبارة مقصر، والمتقدم ولو بلغ الغاية متأخر.

[حادثة الفيل]

وكان من حديث الفيل أن أبرهة كان قد غلب[1] أرياط على ملك اليمن، وكانا من نواب النجاشي ملك الحبشة وغضب عليه النجاشي لذلك، ثم رضي عنه، وبنى[2] أبرهة بصنعاء كنيسة تعرف بالقُلَّيْس[3]. وكتب إلى النجاشي: إني بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حج العرب، فغضب رجل من النسأة الذين كانوا ينسئون الشهور المنزل فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[4]، وفي ذلك يقول عمير بن قيس جذل الطعان، وهو أحد بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة يفخر به[5]:

لقد علمت معد أنّ قومي ... كرام الناس أنّ لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوترٍ ... وأي الناس لم نُعْلِك لجاما

[٢٥٠]ألسنا الناسئين على معد ... شهورَ الحِلّ نجعلها حراما

فخرج[6] الكناني فأحدث في القليس، ثم لحق بأرضه، فقيل لأبرهة، فقال[7]: ممن هو؟ فقيل له: من أهل هذا البيت الذي يحجه العرب بمكة، لما سمع قولك: أصرف إليها حج العرب، فغضب، ثم خرج بالفيل. وغضب العرب، وخرج من أشراف اليمن رجل اسمه ذونفر فقاتل أبرهة فانهزم ذو نفر وأسر وحمل إلى أبرهة فأراد قتله، فقال له: يا أيها الملك لا تقتلني فعسى أن يكون بقائي معك خيراً لك، فحبسه في وثاق عنده.

ومضى أبرهة على وجهه حتى أتى أرض خثعم، فخرج إليه نفيل بن حبيب [بن][8] فهم

---

(١) تضيف ت بعدها: على، وهي زائدة.

(٢) ب: وبرا.

(٣) ت، ك: بالقلس.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣٧.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣٩/١.

(٦) ت: فأخرج.

(٧) ت: فقيل.

(٨) ساقطة من الأصول.

وقاتله، فانهزم نفيل وأسر، وحمله أبرهة وأراد قتله، فقال: أيها الملك لا[1] تقتلني فإني دليل بأرض العرب، فخلى سبيله، وخرج معه يدله حتى أتى الطائف، فخرج مسعود بن معتب في ثقيف وبذلوا له الطاعة وصرفوه عن بيت اللات، وكان بالطائف، وكانت ثقيف تعظمه نحو تعظيم الكعبة.

وسار أبرهة حتى نزل المُغَمّس وبعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل حتى انتهى إلى مكة وساق له أموال أهل تهامة، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ سيد قريش.

ثم بعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد، ثم قل[2] له: إن الملك يقول: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، وإن لم تعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لي بدمائكم. فدل حناطة على عبدالمطلب فجاءه وقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبدالمطلب: والله ما نريد حربه وما لنا منه بذلك طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمته، وإن يخل بينه وبينه، والله ما عندنا دفع [٢٥١] عنه.

وخرج حناطة معه عبدالمطلب ومعه بعض بنيه حتى أتيا العسكر، فأتى عبدالمطلب ذا نفر وكان صديقاً له، فقال له: هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء أسير بيد ملك يريد أن يقتله غدواً أو عشياً، ما عندي غناء إلَّا أن سائس الفيل هو صديق لي وسأوصيه بك يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي، وبعثه إليه فاستأذن له على أبرهة، وقال: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له.

وكان عبدالمطلب وسيماً جميلاً، فلما رآه أبرهة أجله عن أن يجلسه تحته، وكره أن يراه الحبشة معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة وجلس معه على البساط، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال: حاجتي أن يرد عليّ الملك ما أصابه من أبلى، فقال أبرهة للترجمان: قل له[3] لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه! فقال له عبدالمطلب: قل له: إني رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه. فقال أبرهة: ما كان ليمتنع مني. فقال له: أنت وذاك، فرد عليه الإبل.

---

(١) ساقطة من ت، ب.

(٢) ت: قيل.

(٣) «قل له» ساقطة من ت، وله ساقطة من ب.

ثم عاد عبدالمطلب وأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم بالخروج إلى شعب الجبال خوفاً عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبدالمطلب ومعه نفر من قريش فأخذ بحلقة باب الكعبة ودعوا الله، وبقي عبدالمطلب يقول وهو ماسك بحلقة الباب:

يا رب ما أرجو لهم سواكا   يا رب فامنع منهم حماكا
[٢٥٢] إن عدو البيت من عاداكا   امنعهم أن يخربوا قراكا

ثم قال[١]:

لا هم إن المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم بغياً وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك[٢]

وانصرف عبدالمطلب بولده والناس معه إلى شعب الجبال ينظرون ما يصنع أبرهة.

فلما أصبح أبرهة تهيأ للدخول إلى مكة، وعبأ جيوشه، وهيأ فيله ـ واسمه محمود ـ وأجمع على أنه يهدم الكعبة ثم ينصرف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة، قام نفيل ابن حبيب إلى جانب الفيل وأخذ بأذنه وقال: أنزل محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه وترك الفيل وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل، وضربت السواس الفيل ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً فقام يهرول، ووجهوه إلى مكة فبرك، وفي مبرك الفيل يقول أمية بن أبي الصلت[٣]:

إن آيات ربنا بينات   ما يماري بهن إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى   ظل يحبو كأنه معقور

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر كالخطاطيف والبَلَسان مع كل طائر ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره وحجران في رجليه، كالحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، فأصابت

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤٣/١.

(٢) ت: جروا جموع بلادهم بكيدهم بغيا وما رقبوا جلالك. فأسقط منها الشطر الثاني من البيت التالي والشطر الأول من البيت الرابع.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٥٠/١ ـ ٥١.

بعضهم، وتبادر بقيتهم الهرب، وبقيت الحبشة تقول: أين نفيل؟ ليدلهم على الطريق؛ فقال نفيل[1]:

ردينة لو رأيت ولا تريه ... لدى جنب المحصب ما رأينا[2]

[٢٥٣] إذا لعذرتني وحمدت أمري ... ولم تأسَىْ على ما فات بينا

حمدت الله إذ أبصرت طيراً ... وخِفْت حجارة تُلقى علينا

فكل القوم يسأل عن نفيل ... كأن عليّ للحُبشان دينا

وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم[3] يسقط أُنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، ولم يمت حتى انصدع صدره عن قلبه[4].

وكان مما يعد الله تعالى على قريش من نعمه بنبيه ﷺ رد الفيل، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾[5]، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾[6].

ولما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم به عظمت العرب قريشاً، وقالوا: أهل بيت الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم، وقالوا في ذلك أشعاراً، ومما قاله طالب بن أبي طالب[7]:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ ... وجيش أبي يكسوم إذ ملأوا الشعبا

فلولا دفاع الله لا شيء غيره ... لأصبحتم لا تمنعون لهم سربا

وأبو يكسوم[8]: أبرهة، كناية له. قلت: ورأيت بخط من يوثق به أن أبرهة يسمى يكسوم.

وإذ قد فرغنا من قصة الفيل، فنقول: إن عبد الله بن عبدالمطلب مرَّ بكاهنة اسمها فاطمة

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤٥/١.

(٢) ت، ب: ودينة بدلاً من ردينة، وفي ب: لدى جنت المعصب.

(٣) ساقطة من ت.

(٤) انظر حديث الفيل بطوله في ابن هشام، السيرة النبوية: ٣٦/١ ـ ٤٦.

(٥) سورة الفيل كاملة.

(٦) سورة قريش كاملة والخبر في ابن هشام، السيرة النبوية: ٤٦/١.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية: ٥٠/١.

(٨) في الأصول: يكشوم.

بنت مر الخثعمية، من أهل تبالة[1]، قد قرأت الكتب، فرأت في وجهه نوراً، فقالت لعبد الله: يا فتى، هل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة من الإبل؟ فأنشأ يقول[2]:

[٢٥٤] أما الحرم فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه[3]

فكيف بالأمر الذي تبغينه

ثم مضى إلى امرأته آمنة فكان معها، ثم ذكر الخثعمية وجمالها، وما عرضت عليه، فأقبل إليها وقال: هل لك، فقالت: قد كان ذلك مرة، واليوم لا فذهبت مثلاً، وأنشأت تقول[4]:

إني رأيت مخيلة لمعت فتلألأت بحناتم القطر

فلماتها نور يضيء له ما حوله كإضاءة الفجر

وكانت آمنة تحدث حين حملت به قيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً[5].

ورأت[6] حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى من أرض الشام[7].

ثم مات عبد الله أبوه وأمه حامل به[8].

ولما ولد[9] هتفت الجن على أبي قبيس والحجون، فقال الذي على أبي قبيس:

يا ساكني البطحاء لا تغلطوا وميزوا الأمر بفعل مضى

إن بني زهرة من سركم في غابر الأمر وعند البدى

واحدة منكم فهاتوا لنا فيمن مضى في الناس أو من بقى

واحدة من غيرهم مثلها جنينها مثل النبي النقى

وقال الذي على الحجون:

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت ولا ولدت أنثى من الناس واحده

---

(١) ب: ثبالة.

(٢) السهيلي، الروض الأنف: ١/١٨٠.

(٣) ب: إنما الحرام.

(٤) السهيلي، الروض الآنف: ١/١٨٠.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٩.

(٦) ساقطة من ب.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢٩.

(٨) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٣٠.

(٩) ب: ولدت.

كـمـا ولـدت زهـريـة ذات مـفـخـر مـجـنـبـة لـؤم الـقـبـائـل مـاجـده
وقـد ولـدت خـيـر الـبـريـة أحـمـداً فـأكـرم مـولـود وأكـرم والـده

فلما ولد حمله عبدالمطلب ودخل به الكعبة، وقام يدعو الله عز وجل ويشكره، ثم رده إلى أمه[1].

واسترضع له حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وظهر عليها [٢٥٥] آثار بركاته، فدر ثديها، وسمنت عجاف شياهها، وكثرت ألبانها، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً، ثم أتت به أمه وأرتها إياه، وقالت لها: لو[2] تركتيه عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، ولم تزل حتى ردته معها.

قالت حليمة: فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بُهْمٍ لنا[3] خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه، فهما يسوطانه، قالت: فخرجنا نحوه فوجدناه قائماً مشقعاً وجهه، فالتزمناه وقلنا له[4]: مالك يا بني، فقال نحو قول أخيه، فرجعنا به إلى خبائنا، فقال زوج حليمة لها: لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه[5] بأهله.

قالت: فاحتملناه وقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به وقد كنت حريصة عليه؟ ولم تدعني حتى أخبرتها. قالت: أفتخافين الشيطان عليه؟ قالت: فقلت: نعم، فقالت: كلا والله، ما للشيطان عليه من سبيل، إن لابني هذا شأناً[6]، أفلا أخبرك خبره، إني رأيته حين حملت به أنه خرج مني نوراً أضاء لي قصور بصري من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة[7].

فكان مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب في كلاءة الله وحفظه، فلما بلغ ست

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٣١/١.
(٢) ت: لولا.
(٣) ب: لقى لنا بهم.
(٤) ساقطة من ك، ب.
(٥) ب: بالحدقة.
(٦) ب: عن لهذا ابني شأناً.
(٧) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٣٢/١ ـ ١٣٥.

سنين توفيت أمه وهي بالأبواء ـ بين مكة والمدينة ـ وكانت قد قدمت به على أخوال جده عبدالمطلب من بني عدي بن النجار تزيره إياهم[1].

وبقي عند جده، وكان يوضع لجده عبدالمطلب فراش في ظل الكعبة ويجلس بنوه حول فراشه حتى يخرج إليه ولا يجلس أحد منهم معه [٢٥٦] وكان يأتي رسول الله ﷺ وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليأخروه عنه، فيقول: دعوا إبني، فوالله إن له لشأناً، ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع. فلما بلغ ثماني سنين هلك عبد المطلب[2].

ويروى أن عبدالمطلب جمع بناته قبل موته وأمرهن أن يبكينه، فقالت كل واحدة شعراً فيه، ورثى بأشعار من أحسنها قول حذيفة بن غانم من[3] بني عدي بن كعب[4]:

أعينيّ جُودَا بالدموع على الصدر	ولا تسأما أُسقيتما سَبَل القطرِ
على الماجد البهلول ذي الباع واللهى	ربيع لؤي في القحوط وفي العسر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه	يضيء سواد الليل كالقمر البدر[5]
طوى زمزماً عند المقام فأصبحت	سقايته فخراً على كل ذي فخر
بنوه سراة كهلهم وشبابهم	تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
فإن تك غالته المنايا وصرفها	فقد عاش ميمون النقيبة والذكر

وكذلك قول مطرود بن كعب الخزاعي[6]:

يا أيها الرجل المحول رحله	هلا نزلت بآل عبد مناف
ثكلتك أمك لو حللت بدارهم	ضمنوك من جرم ومن إقراف
المنعمين إذا النجوم تغيرت	والظاعنين لرحلة الأضياف
والمطعمين إذا الرياح تناوحت	حتى تغب الشمس في الرجاف
إما هلكت أبا الفعال فما جرى	من فوق مثلك عقد ذات نطاف

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٣٧/١.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٣٧/١.
(٣) ب: بن.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٤٢/١.
(٥) في الأصول: على شبيه الحمد.
(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٤٥/١.

فلما مات عبدالمطلب صار إلى كفالة عمه أبي طالب، لأن أبا طالب وعبد الله أخوان لأب وأم، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم(١).

ويقال: إن عبدالمطلب كان يُوصي عمه أبي طالب.

وبقي ﷺ مع عمه أبي طالب واليه، وسافر به عمه أبو طالب [٢٥٧] إلى الشام، فلما نزل الركب بصرى، وكان بها راهب اسمه بحيرا في صومعة طالما نزلوا به فلم يكلمهم، وكان إليه علم النصرانية، يتوارثونه كابر عن كابر، فلما نزلوا به تلك السنة صنع لهم طعاماً كثيراً وبعث يقول لهم: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم، فاحتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنه في رحالهم تحت شجرة هناك. وكان ـ فيما يقال ـ أنه قد أشرف عليهم فرأى الغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم، ثم رأى الغمامة قد أظلت الشجرة لما نزل في ظلها، وقد تهصرت أغصانها عليه، فنظر فيهم فلم ير الصفة، فقال: معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي. قالوا: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد إلَّا غلام هو أحدث القوم سناً. فقال: لا(٢) تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقام رجل منهم واحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرا جعل يلحظه وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا وقال: يا غلام، أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ـ وإنما أقسم بهما عليه لأنه سمع قريشاً يقسمون بهما ـ فقال له رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما. قال له بحيرا: فبالله إلَّا أخبرتني عما أسألك. قال: سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله، من نومه وهيئته وأموره، ورسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه، وكان مثل أثر المحجم.

فلما فرغ قال لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. فقال له بحيرا: ما هو بابنك [٢٥٨] وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به. قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك شان عظيم.

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة، فلما بلغ ما كان رجلاً كان أفضل قومه

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٤٦/١.

(٢) ساقطة من ت.

وأجمعهم لمحامد الأوصاف، وأبعدهم من كل ما يدنس الرجال، حتى ما كان اسمه في قومه إلّا الأمين[1].

فلما هاجت حرب الفجار كان قد بلغ نحو خمس عشرة سنة، وشهد مع قريش بعض أيامهم فيها. وسميت حرب الفجار لاستحلال الحرم، لأن البراض بن قيس أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة قتل عروة الرحال بن حوشب[2] بن كلاب في الشهر الحرام، لأنه كان قد أجاز لطيمة للنعمان بن المنذر على قريش وبني كنانة، فأتى آتٍ قريشاً فقال: إن البراض قتل عروة في الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم، ثم شعرت هوازن فأدركوهم قبل دخول الحرم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم كانت بينهم أيام. وقال رسول الله ﷺ: كنت أنبل عن أعمامي، أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها[3].

فلما قارب رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة بعثته خديجة بنت خويلد بتجارة لها إلى الشام ومعه غلامها ميسرة، فنزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب، فاطلع الراهب إلى ميسرة وقال له: من هذا الرجل؟ فقال له: رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلّا نبي.

ثم باعا البضاعة وتعوضا عنها، وكان ميسرة ـ فيما يقال ـ إذا اشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما عاد إلى مكة أربحت خديجة ربحاً كثيراً، وحدثها [٢٥٩] ميسرة بما رأى وما قاله له الراهب، وكانت ـ رضي الله عنها ـ امرأة شريفة حازمة لبيبة، فقالت ذلك لورقة بن نوفل ـ وكان ابن عمها ـ وكان نصرانياً قد قرأ الكتب وعلم علم الناس، فقال: لئن كان هذا حقاً، إن محمداً لنبي هذه الأمة، فبعثت إليه يا ابن عم، إني قد رغبت فيك، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، وكل قومها كان حريصاً على تزويجها لو يقدر عليه.

فذكر رسول الله ﷺ قول خديجة لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد فخطبها إليه فتزوجها، وأصدقها عشرين بكرة.

وولده كلهم منها إلّا إبراهيم، وأولاده منها: القاسم وبه كان يكنى، والطاهر، والطيب،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٤٧/١ ـ ١٤٩.

(٢) كذا في الأصول، والصواب: عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٥٠/١.

وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

قال ابن إسحاق: فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ[١].

فلما بلغ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة، فقال لهم أبو وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلّا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس. والناس ينحلون هذا الكلام للوليد بن المغيرة، والصحيح أن أبا وهب قائله[٢]. وهو الممدوح بقول شاعر من العرب[٣]:

لـو بـأبـي وهـبٍ أنـخـت مـطـيـتـي	غـدت مـن نـداه رحـلـهـا غـيـر خـائـب
بـأبـيـض مـن فـرعـي لـؤي بـن غـالـب	إذا حـصـلـت أنـسـابـهـا فـي الـذوائـب
أبـيّ لأخـذ الـضـيـم يـرتـاح لـلـنـدى	تـوسـط جـداه فـروع الأطـايـب
عـظـيـم رمـاد الـقـدر يـمـلأ جـفـانـه	مـن الـخـبـز يـعـلـوهـن مـثـل الـسـبـائـب

[٢٦٠] وفي أول البيت الأول جزم، وهو ذهاب حرف متحرك.

وتجزأت قريش بناء الكعبة، فكان شق [الباب][٤] لبني عبدمناف وزهرة، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد وبني عدي، وهو الحطيم.

ووجدوا في الركن كتاباً بالسريانية لم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود، وإذا هو: أنا الله ذوبكة، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض، وصورت الشمس والقمر[٥]، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا تزول حتى يزول أخشباها، مبارك لأهلها في الماء واللبن.

ووجدوا في المقام كتاباً فيه: مكة بيت[٦] الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، لا يحلها أول من أهلها[٧].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٥٢/١ ـ ١٥٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٥٦/١ ـ ١٥٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٥٨/١.

(٤) ساقطة من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٥) ساقطة من ت.

(٦) ساقطة من ت، ك.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٥٨/١ ـ ١٥٩.

وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بأربعين سنة، مكتوباً فيه: من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة، تعملون السيئات وتجزون الحسنات، أجل، كما يجتني من الشوك العنب[1].

وشرعوا في البنيان فلما بلغ موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه، حتى تحالفوا للقتال، فقربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي ومن معهم على الدم، وذلك حين تحالفت بنو عبد مناف ومن معهم، وقيل: كان التحالف قبل ذلك[2].

ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، ثم تشاوروا وتناصفوا على أن يقضي بينهم أول من يدخل من باب المسجد، فكان أول داخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، فلما انتهى إليهم أخبروه فقال ﷺ: [هلم][3] إليّ ثوباً، فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة ناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا، حتى إذا أتوا موضعه وضعه هو بيده ﷺ، ثم بنى عليه[4].

قال ابن هشام[5]: [٢٦١] وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانية عشر ذراعاً، وكانت تكسي القباطى، ثم كسيت البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف.

[أعلام نبوته]

وكانت قريش قد قالت: لا نعظم شيئاً من الحل كالحرم حتى لا تستخف العرب بحرمنا، فتركوا الوقوف بعرفات والإفاضة منها، مع إقرارهم بأنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر العرب الوقوف عليها إلا هم، لأنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فما ينبغي لنا أن نخرج منه، إلّا رسول الله ﷺ؛ قال جبير بن مطعم: لقد رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينـــزل عليه الوحي وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها، توفيقاً من الله عز وجل له[6].

وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى تحدث بأمره قبل مبعثه، لما تجد من ذلك

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٥٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٦٠.

(٣) ساقطة من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٦٠.

(٥) السيرة النبوية: ١/١٦١.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٦٢ ـ ١٦٤.

في كتبها وعهدت به أنبياؤها. قال ابن هشام[1]: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله وهداه، لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، وآمنا به، وكفروا به، فأنزل الله تعالى هذه الآية فينا وفيهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2].

قلت[3]:

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ [٢٦٢] يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، والمراد: تجدونه بعينه، ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وهو مكارم الأخلاق وصلة الأرحام، ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وهو الشرك، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، وهو ما كانت العرب تستطيبه، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾، وهو ما كانت العرب تأكله من الميتة والدم ولحم الخنزير، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾[4]، هي تحريم السبت، والشحوم، وأن لا تقبل دية، وأن يقرضوا ما أصابه البول والأغلال التي كانت عليهم. قال الزجاج.

ومن أعلامه في **التوراة** في السفر الخامس:

إن أقيم لبني إسرائيل نبياً من أخوتهم مثلك، أجعل كلامي على فمه.

وهذا أوضح الأعلام، لأنه لا يسمى أخوة بني إسرائيل إلّا بني إسماعيل، كما تقول: فلان أخو بني بكر. فإن قالوا: هذا الموعود به من بني إسرائيل أيضاً لأنهم أخوة، أكذبهم النقل والعقل، فأما النقل فلأنه لم يقم فيهم مثل موسى، وأما بالبرهان فلأنه لو كان المراد: من بني إسرائيل، لقال: أقيم لهم من أنفسهم، ولم يقل: من إخوتهم.

---

(١) السيرة النبوية: ١/١٧١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٩.

(٣) العمري ينقل هنا عن ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى: ١/٣٦، وقلت هنا تعود على ابن الجوزي.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

وفي الإنجيل:

أنا أذهب، وسيأتيكم البرقليط، روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه. إنما هو كما يقال له، وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به.

وفي كتاب شعياً:

إنه ستملى البادية والمدن قصور آل قيدار. وبنو قيدار هم العرب.

وفي ذكر شعيا يريد مكة:

سيرى أيتها العاقر التي لم تلد، وانطقي بالتسبيح وافرحي إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونوا أكثر من أهلي.

يعني بأهله بيت المقدس، لأنه بيت الأنبياء.

وفي ذكر شعيا:

قيل لي: قم نظاراً فانظر ما ترى تخبر به، قلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما: سقطت بابل وأصنامها المنجرة.

قال ابن الجوزي[1]: فصاحب الحمار عندنا [٢٦٣] وعند النصارى المسيح، فلم لا يكون محمد ﷺ صاحب الجمل؟ أوليس سقوط بابل والأصنام المنجرة به وعلى يديه لا بالمسيح؟ ولم يزل في إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام، أوليس هو بركوب الجمل أشهر من المسيح بركوب الحمار؟

وكذلك كانت الكهان تخبر بما يأتيها به جنها، فلما تقارب بعثه حجبت الشياطين ومنعت من المقاعد لاستراق السمع، ورمتهم النجوم.

وأول من فزع من العرب في النجوم ثقيف، وجاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو ابن أمية أحد بني علاج، وكان أدهى العرب وأذكاها رأياً، فقالوا له: يا عمرو، أرأيت ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يهتدي بها في البر والبحر وتعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء، لما يصلح الناس لمعايشهم، هي التي يرمي بها، فهو والله طي الدنيا، وهلاك هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرها، وهي ثابتة على

---

(١) الوفاء بأخبار المصطفى: ٦٣/١ وما بعدها.

حالها، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق، فما هو؟[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قط أنفذ منه، وذلك قبل الإسلام بشهر، يقول: يا ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إله إلا الله[2].

وسمع بمكة هاتفاً يقول[3]:

عجبت للجن وإبلاسها ... وشدها العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن كأنجاسها

[المبعث]

فلما بلغ ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس، وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي يبعثه قبله بالإيمان [٢٦٤] والتصديق له، والنصر له [على][4] من خالفه، وأن يؤدوا ذلك إلى من آمن بهم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[5].

وأول ما ابتدئ به ﷺ الرؤيا الصادقة، لا يرى في نومه رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح. وحبب الله إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده. وكان لا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلّا الحجارة والشجر[6].

ثم جاءه جبريل ﷺ وهو بحراءٍ في رمضان، قال رسول الله ﷺ: فجاءني وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: إقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: إقرأ ثلاث مرات كذلك ثم أرسلني فقال: إقرا، قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك[7] إلا افتداء

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٦٧/١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٧٠/١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٧١/١.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٨١، والخبر في ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨٨/١.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨٨/١ ـ ١٨٩.

(٧) ك: لك.

منه أن يعود لي بمثل ما صنع، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[1][2]. قال: فقرأتها، ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً.

قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء، يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، فرفعت رأسي أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في أفق السماء فلا أنظر ناحية منها[3] إلا رأيته كذلك [٢٦٥] فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي، فبلغوا [أعلى][4] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عم، وأثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به، أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، وقولي له. فرجعت خديجة فأخبرته بقول ورقة.

فلما قضى رسول الله ﷺ جواره بحراء بدأ بالكعبة فطاف بها على ما كانت عليه عادته، فلقيه ورقة، وقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره، فقال: والذي نفس ورقة بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتُكَذَّبنَّه ولتُؤذَيَنَّه ولتخرجنَّه ولتقاتلنَّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

وقالت له خديجة: يا ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: يا

---

(١) ساقطة من ك.

(٢) سورة العلق كاملة

(٣) ت: منه.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

خديجة، هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فجلس، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول، فاجلس على فخذي اليمنى، فتحول، فقالت: هل تراه؟ [٢٦٦] قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري فتحول، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ في حجرها، ثم قال: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم، أثبت وأبشر، فوالله إنه لملك، ما هذا بشيطان(١).

وابتدئ بالتنزيل في رمضان، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(٢).

ثم تتابع الوحي، وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمل منه ما تحمل على رضا العباد وسخطهم، فمضى على أمر الله سبحانه على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى(٣).

وآمنت به أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ووازرته وكانت أول من آمن به، وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بها عن رسوله، كان لا يجد ما يحزنه إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تسليه وتخفف عليه وتهون عليه أمر الناس، فشكر الله لها هذه السابقة، ورعى لها هذه اليد، ولهذا فد أطال الله نبعتها، ومد من الدرجة النبوية فروعها، فجزاها الله عن نبينا محمد ﷺ وعنا أهل الإسلام أفضل الجزاء. قال ﷺ: أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب. والقصب ـ ههنا ـ اللؤلؤ المجوف(٤).

قال ابن هشام(٥): وحدثني من أثق به: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: أقرئ(٦) خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: إليه السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام. فانظر إلى هذا الإيمان المستقر، والجأش الرابط، في مثل هذا المقام الذي يتلجلج فيه المقال.

ثم فتر الوحي فترة شقت عليه [٢٦٧] ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام بسورة الضحى،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٩٠ ـ ١٩٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٩٢ ـ ١٩٣.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٩٣.

(٥) السيرة النبوية: ١/١٩٤.

(٦) ب: أقر.

يقسم ربه بأنه ما ودعه[1] وما قلاه، وجعل رسول الله ﷺ يحدث بما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه[2] من أهله. وافترضت عليه الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ[3].

وذكر الحربي أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها. ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾[4]. وقال يحيى بن سلام[5] مثله[6].

وكان مما أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه كان في حجر رسول الله ﷺ فآمن به وعمره عشر سنين يومئذ وكانت إذا حضرت الصلاة خرج رسول الله ﷺ إلى شعاب مكة مستخفياً من أعمامه وسائر[7] قومه ومعه علي عليه السلام فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما[8] يوماً وهما يصليان، فقال: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم، هذا دين الله، ودين الإسلام، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به[9] رسولاً إلى العباد، وأنت أحق من بذلت له النصحية، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه أنت، فقال له أبو طالب: يا ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي.

ثم قال لعلي: أي شيء هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال له: يا أبت آمنت برسول الله ﷺ وصدقت بما جاءه به، وصليت معه لله، واتبعته. فقاله له: أما إنه لم يدعك إلّا إلى خير فالزمه[10].

ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله

(١) تضيف ب بعدها: ربه.
(٢) ت: به.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٩٤ ـ ١٩٥.
(٤) سورة غافر، الآية ٥٥.
(٥) ب: سلامه.
(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٩٦ هامش (١).
(٧) ساقطة من ت.
(٨) ت: عليه.
(٩) ساقطة من ت.
(١٠) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٩٧ ـ ١٩٨.

عنه. فأول من أسلم مطلقاً من النساء [٢٦٨] خديجة، ومن الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد[١].

والإنصاف أن يقال: أول من أسلم من الناس مطلقاً ومن النساء خاصة خديجة، ومن الرجال أبو بكر، ومن الموالي زيد. فأما علي عليه السلام، فقد كرم الله وجهه عن السجود لغير الله، لأنه كان في حجر رسول الله ﷺ من صغره، فهديه مذ كان من هدى رسول الله ﷺ، وبعث ولم يبلغ علي رضي الله عنه غير عشر سنين، فآمن به من قبل أن يجري عليه التكليف، فما كلف إلا وهو مؤمن منذ كان.

ثم لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله[٢]، وكان رجلاً محبباً، سهلاً، أنسب قريش لقريش، وأعلمهم بها، وبما كان فيها، وكان تاجراً، ذا خلق ومعروف، وكان يألفه قومه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه عثمان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم، فجاء بهم إلى النبي ﷺ فأسلموا وصلوا. وكان رسول الله ﷺ[٣] يقول: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه[٤].

ثم أسلم أبو عبيدة، وأبو سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث، وأسماء بنت أبي بكر وعائشة وهي صغيرة، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وصهيب الرومي، وسعيد ابن زيد، وزوجه فاطمة بن الخطاب أخت عمر[٥].

ولما مضت ثلاث سنين للنبوة أمره الله أن يصدع بما جاءه، قال الله [٢٦٩] تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾[٦]. وقال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾[٧].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٩٩/١ ـ ٢٠٠.
(٢) ت: ودعا إلى رسوله الله صلى الله عليه وسلم.
(٣) «رسول الله» ساقطة من ب، ك.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٠١/١ ـ ٢٠٢.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٠٢/١ ـ ٢٠٤.
(٦) سورة الحجر، الآية ٩٤.
(٧) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

فلما صدعهم بما أمره[1] الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها[2].

ومضى رسول الله ﷺ فيما أمر به، لا يرده شيء، فلما رأت قريش ذلك منه، وأن عمه أبا طالب لا يسلمه مشى منهم إلى أبي طالب وقالوا: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلّل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا، ومضى رسول الله ﷺ[3].

ثم شرى الأمر بينهم، حتى تضاغنوا، ثم أتى القوم أبا طالب فقالوا له مثل قولهم الأول، فأتاه أبو طالب فقال: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. وظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه فقال: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته، ثم بكى رسول الله ﷺ وقام. فلما ولى قال له أبو طالب: أقبل يا ابن أخي، فأقبل، ثم قال له: يا ابن أخي، اذهب فقل ما أحببت، والله لا أسلمك لشيء أبداً. فلما يأست قريش من خذلان أبي طالب له مشوا إليه بعمارة ابن الوليد، فقالوا: هذا أنهد فتى في قريش، خذه فاتخذه ولداً واسلم إلينا ابن أخيك، فإنما هو رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً. فتنابذ القوم، ونادى بعضهم بعضاً[4].

وقال أبو طالب[5]:

[٢٧٠] ألا قل لعمرو والوليد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم فكرُ
أرى أخوينا من أبينا وأُمِّنا	إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمرُ
أخص خصوصاً عبدشمس ونوفلا	هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أشركا في المجد [من] لا أبا له	من الناس إلا أن يُرَسّ له ذكر[6]
وتيم ومخزوم وزهرة منهم	وكانوا لنا مولى إذا بغى النصر
والله لا تنفك منا عداوة	ولا منهم ما كان من نسلنا شفر

---

(١) ك، ب: أمر.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٢١١ ـ ٢١٢.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٢١٢ ـ ٢١٤.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٢١٤.

(٦) «من» ساقطة من الأصول، الإضافة من ابن هشام.

ثم وثبت[1] كل قبيلة [على][2] من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب، واجتمع مع أبي طالب بنو هاشم وبنو المطلب، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله ورسوله ولما رأى أبو طالب من عاضده من بني أبيه جعل يمدحهم، ويذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] فيهم، فقال[4]:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر	فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً	هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديماً لا نقر ظلامةً	إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة	ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما	بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

وقام[5] الوليد بن المغيرة في قريش، وكان ذا سن فيهم، وقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم في الموسم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فاجمعوا فيه رأياً واحداً لا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً. قالوا: فقل أنت. قال: بل أنتم قولوا، أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: والله ما هو بكاهن [٢٧١] لقد رأينا الكهان فما هو زمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأيت المجنون، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، وما هو بالشعر. قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ فقال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلّا أعرف أنه باطل، وإن اقرب القول فيه أن تقولوا[6]: ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، والمرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس في

---

(١) ت: وثب.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة يقتضيها السياق.

(٣) «وسلم» ساقطة من ت.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٥/١.

(٥) ت، ك: وكام، ب: وكان. والصواب ما أثبت.

(٦) ب: تقول.

المواسم، لا يمر بهم أحد إلّا حذروه إياه. وفي مقال الوليد هذا أنزل الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾﴾[١]. وأنزل الله في النفر الذين قالوا ما قالوا: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[٢]. وعضين: أي أصناف[٣].

فلما انتشر قولهم ذلك في النبي ﷺ خشي أبو طالب أن تركبه العرب مع قومه، فقال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة ومكانه منه، ويعدد فيها أشراف قومه، ويعرض لهم أنه غير تارك النبي ﷺ لشيء أبداً حتى يهلك دونه، فقال[٤]:

[و] لما رأيت القوم لا وُدَّ فيهمُ	وقد قطعوا كل العُرى والوسائلِ[٥]
[٢٧٢] وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طاوعُوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً عليها أظِنَّةً	يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحةٍ	وأبيضَ عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي	وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياماً معاً مستقبلين رتاجه	لدى حيث يقضي حلفه كل نافل
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم	بمفضى السيول من إساف ونائل
موسمة الأعضاد أو قصراتها	مخيسة بين السديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينةً	بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذ برب الناس من كل طاعنٍ	علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة	ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثورٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه	وراقٍ ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت، حق البيت، من بطن مكة	وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه	إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

---

(١) سورة المدثر، الآية ١٦ ـ ٢٤.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩١ ـ ٩٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٦/١ ـ ٢١٧.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٧/١ ـ ٢٢٤.

(٥) الواو ساقطة من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة — على قدميه حافياً غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا — وما فيهما من صورة وتماثل
ومن حجّ بيت الله من كل راكب — ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له — إلال إلى مفضى الشِّراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشيةً — يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى — وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقربات أجزنه — سراعاً كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها — يؤمون قذفاً رأسها بالجنادل
وكندة إذا هم بالحصاب عشية — تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شَدّا عقد ما اختلفا له — ورداً عليه عاطفات الوسائل
[٢٧٣] حطمهم سمر الصفاح وسرحه — وشبرقه وخد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذٍ لعائذٍ — وهل من معيذ يتقي الله عاذل
يُطاع بنا العدى وودوا لو أننا — تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة — ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمداً — ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله — ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم — نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى ترى ذا الضِّغن يركب ردعه — من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا لعمر الله إن جد ما أرى — لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكفّي فتىً مثل الشهاب سميدع — أخي ثقةٍ حامي الحقيقة باسل
شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً — علينا وتأتي حجة بعد قابل
وما ترك قوم، لا أبا لك، سيداً — يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه — ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم — فهم عنده في رحمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره — إلى بغضنا وجزآنا لآكل
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ — ولكن أطاعا أمر تلك القبائل

أطاعا أُبيًّا وابن عبد يغوثهم ... ولم يرقبا فينا مقالة قائل

كما قد لقينا من سبيع ونوفل ... وكل تولى معرضاً لم يجامل

فإن يلقيا أو يمكن الله منهما ... نكل لهما صاعا بصاع المكايل

وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا ... ليظعننا في أهل شاء وجامل

يناجي بنا في كل ممسى ومصبح ... فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل

ويؤلى لنا بالله ما إن يغشنا ... بلى قد نراه جهرة غير حائل

أضاق عليه بغضنا كل تلعة ... من الأرض بين أخشب فمجادل

[٢٧٤] وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل

وكنت امرأ ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل

فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذي دغاول

ومر أبو سفيان عني معرضا ... كما مر قيل من عظام المقاول

يفر إلى نجد وبرد مياهه ... ويزعم أني لست عنكم بغافل

ويخبرنا فعل المناصح أنه ... شفيق ويخفى عارمات الدواخل

أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة ... ولا معظم عند الأمور الجلائل

ولا يوم خصم إذ أتوك أشدة ... أولى جدل من الخصوم المساجل

أمطعم إن القوم ساموك خُطة ... وإني متى أوكل فلست بوائل

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً ... عقوبة شر عاجلاً غير آجل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا ... بني خلفٍ قيضاً بنا والغياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وآل قصى في الخطوب الأوائل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا ... علينا العدا من كل طمل وخامل

فعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل

لعمري لقد وهنتم وعجزتم ... وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل

وكنتم حديثاً حطب قدر فأنتم ... الآن حطاب أقدرٍ ومراجل

ليهنئ بني عبد مناف عقوقنا ... وخذلاننا وتركنا في المعاقل

فإن نك قوماً سرّهم ما صنعتم ... وتحتلبوها لقحة غير باهل

فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلاً قصيا عظيمة إذاً ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم لكنا أسى عند النساء المطافل
فكل صديق وابن أخت نعده لعمري وجدنا غبه غير طائل
[٢٧٥] سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة براء إلينا من معقة خاذل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساماً مفرداً من حمائل
أشم من الشم البهاليل ينتمي إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش يوالي إلها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسنة تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا أتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبا بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

واشتهر أمر رسول الله ﷺ في العرب، ذكر بالمدينة، ولم يكن حي من العرب أعلم بأمره قبل أن يذكر من الأوس والخزرج، لما كانوا يسمعون من أحبار يهود، فلما سمعوا باختلاف قريش فيه قال أبو قيس بن الأسلت، وكان صهراً لقريش(١):

أيا راكبا إما عرضت فبلغن مغلغلةً عني لؤي بن غالبِ
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم على النأي محزونٍ بذلك ناصب
نبيتكم شرجين كل قبيلة لها أزمل من بين مذك وحاطب
أعيذكم بالله من شر صنعكم وشر تباغيكم ودس العقارب
وقل لهم والله يحكم حكمه ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة هي الغول للأقصين أو للأقارب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ فتعتبروا أو كان في حرب حاطب

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٢٢٧.

يخبركم عنها امرؤ حق عالم بأيامها والعلم علم التجارب
[٢٧٦] أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتم لنا غاية قد يهتدي بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة تؤمون، والأحلام غير عوازب
وأنتم، إذا ما حصل الناس، جوهر لكم سرة البطحاء شم الأرانب
ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم عصائب هلكى تهتدي بعصائب
لقد علم الأقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباجب
فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم يعاش بها، قول امرئ غير كاذب

ثم إن قريشا اشتد أمرهم ـ لما سبق من شقاوتهم ـ في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به، مبادلهم بعيب دينهم، ويحض على اعتزال أوثانهم[١].

ولقد مر بهم يوماً وهم[٢] بالحجر آخذين في شأنه، فأقبل حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فغمزوه مرات، فقال: أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح، فأصدق القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلّا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك أن فاه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف حتى إذا كان الغد قال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم عنه حتى إذا ناداكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك طلع عليهم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول: نعم، أنا الذي أقول ذلك، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه، ورجع أبو بكر إلى بيته [٢٧٧] وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته[٣].

ومر يوماً بأبي جهل عند الصفا، فنال منه أبو جهل ورسول الله ﷺ لا يكلمه، ثم عمد أبو جهل إلى ناس من قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص له، وكان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة، فأخبرته مولاة لابن

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣١/١.
(٢) ساقطة من ت.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٢/١.

جدعان بما كان من أبي جهل، فأقبل واحتمله الغضب حتى أقبل إلى أن وقف على رأس أبي جهل وضربه بالقوس فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول؟ فرد ذلك عليّ إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة رضي الله عنه وأرضاه على إسلامه، فعرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه(١).

ثم كان بين رسول الله ﷺ وبين قومه أمور، فقال أبو جهل في آخرها: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو فامنعوني، وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله ما نسلمك لشيء أبداً، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ، فلما سجد أقبل نحوه بالحجر حتى إذا دنا نحوه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش، وقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلني(٢).

قال ابن إسحاق(٣): وذكر لي أن رسول الله [٢٧٨] ﷺ قال: ذلك جبريل، لو دنا منه(٤) لأخذه.

قال ابن هشام(٥): فقام النضر بن الحارث بن علقمة ـ ويقال: كلدة ـ بن عبد مناف وقال: يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، وقلتم: كاهن، لا والله ما بكاهن، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، يا معشر قريش، انظروا في أمركم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٣/١ ـ ٢٣٤.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٨/١ ـ ٢٣٩.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٩/١.
(٤) ساقطة من ب، ك.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٩/١.

وكان النضر من شياطين قريش، ممن يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب بعداوة، وكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً يذكر فيه بالله ويحدث قومه بما أصاب من قبلهم من الأمم، يقوم النضر فيقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إليّ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار.

فلما سمعت قريش مقال النضر بعثته ومعه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ليسألهم عنه، فقالوا لهما: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإن كان لهم حديث عجيب، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هي؟ فإن أخبركم بهن فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل له متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبلا حتى قدما مكة، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، وأخبروهم بما قالته أحبار يهود، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن كذا وكذا، فذكروا الثلاثة، فقال: أخبركم بما سألتم عنه غدا، ولم يستثن، فانصرفوا، فمكث ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله [٢٧٩] له في ذلك أمراً، فأحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي، وشق عليه ما تكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح.

فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث، وموقع نبوته فيما جاءهم به رسول الله ﷺ[١] من علم الغيوب حين سألوه حال الحسد بينهم وبين اتباعه، فعتوا على الله، وقال قائلهم: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون[٢].

ودخل أبو جهل على أبي سفيان بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيت فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه[٣].

وعذبت كل قبيلة من فيها من المسلمين، وفتنوا من استضعفوا دينه، وكان بلال مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما مولداً لبني جمح، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة

---

(١) «رسول الله صلى الله عليه وسلم» ساقطة من ب، ك.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٢٤٠ ـ ٢٤٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/٢٥١ ووهم العمري فالداخل على أبي سفيان الأخنس بن شريق.

العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب، وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد، ثم يقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً، فمر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون ذلك به، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ [٢٨٠] فقال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد وأقوى، على دينك، أعطيكه به، فقال: قد قبلت، قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالاً وعتقه، وأعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم(١).

ولما اشتدت أذية الكفار على المسلمين هاجر إلى الحبشة من هاجر منهم.

وروى راشد مولى حبيب بن أوس الثقفي قال: حدثني عمرو بن العاص من فيه: لم انصرفنا من الأحزاب نحو الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: لو تعلمون أني والله أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً كبيراً، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون(٢) فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، وإن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، بأن يأتينا منهم إلّا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا أدماً كثيراً، فجمعوه، فخرجنا حتى قدمنا عليه.

فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر والصحابه، فدخل عليه ثم خرج من عنده. فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، لو دخلت إلى النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبا بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك أهديت لك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فغضب [٢٨١] ثم مد يديه وضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه كسره، ولو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، فقلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٥٢/١.

(٢) ب، ك: فما تأمرون فيه.

لتقتله! فقلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: فقلت: أفتبايعني على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كنت عليه، وكتمت أصحابي إسلامي.

وخرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ، فلقيت خالد بن الوليد ـ وذاك قبيل الفتح ـ وهو مقبل من مكة، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ فقال: والله لقد استقام المقسم، وإن الرجل لنبي، اذهب والله فأسلم، فحتى متى، قال: قلت: والله ما جئت إلا أسلم. قال: فقدمنا على رسول الله ﷺ المدينة، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، أبايعك أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ـ وفي رواية ابن إسحاق: يهدم ـ ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرفت(١).

وحمد من هاجر إلى النجاشي جواره، وعبدوا الله لا يخافون أحداً، وفي ذلك يقول عبد الله بن الحارث السهمي(٢):

يا راكباً بلغن عني مغلغلة	من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل أمري من عباد الله مضطهد	ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة	تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذلك الحياة وفي	خزي الممات وعيب غير مأمون

[٢٨٢] وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف ـ وهو ابن عمه ـ وكان يؤذيه في إسلامه(٣):

أأخرجتني من بطن مكة آمناً	وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالاً لا يواتيك ريشها	وتبري نبالاً ريشها لك أجمع
وحاربت أقواماً كراماً أعزة	وأهلكت أقواماً بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوماً ملمة	وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع

وكتب أبو طالب إلى النجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم(٤):

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٨/٣ ـ ٢١٩.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٦١/١.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٦٣/١.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٦٤/١.

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ ... وعمرو وأعداء العدو الأقارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم، أبيت اللعن، أنك ماجدٌ ... كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم، بأن الله زادك بسطةً ... وأسباب خير كلها بك لازب
وأنك فيض ذو سجال غزيرةٍ ... ينال الأعادي نفعها والأقارب

ولما علمت قريش بطمأنينة الصحابة رضي الله عنهم عند النجاشي بعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص لإحضارهم بهدايا للنجاشي وبطارقته، فحبب البطارقة للنجاشي ردهم فما فعل، ورد رسل قريش بما يكرهون[1].

وأسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان رجلاً ذا شكيمة، لا يرام ما وراء ظهره، وامتنع أصحاب رسول الله ﷺ به وبحمزة، رضي الله عنهما. قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه.

[المقاطعة]

فلما رأت[2] قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن عمر قد أسلم، وكان هو وحمزة مع رسول الله [٢٨٣] ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، ائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا الصحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، ودخلوا معه في شعبه، وخرج منهم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم[3].

ولما استمر أمر الصحيفة قال أبو طالب[4]:

ألا أبلغا عني على ذات بيننا ... لؤيا وخُصَّا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبيا كموسى خط في أول الكتب

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٦٤/١.
(٢) ب: رأيت.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٧٠/١ ـ ٢٧٦.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٧٧/١ ـ ٢٧٨.

وأن عـلـيـه فـي الـعـبـاد مـحـبـة — ولا خير ممن خصه الله بالحب[1]
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى — ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا — أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما — أمر على من ذاقه جلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا — لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف — وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا — به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته — ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره — وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا — ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى — إذا طار أرواح الكماة من الرعب

فأقاموا على ذلك نحو ثلاث سنين حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلَّا سراً مستخفياً به.

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم، إن الله سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع منها [٢٨٤] إسماً لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان، فقال: ربك أخبرك بهذا؟ قال: نعم، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج فقال: يا معشر قريش، إن إبني أخبرني بكذا وكذا، فهلم إلى صحيفتكم، فإن كان كما قال فانتهوا عن قطيعتنا، وتولوا عما فيها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي. فقالوا: قد رضينا، فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شراً[2].

ثم قام في نقض الصحيفة نفر من قريش، ولم يبل فيها أحد بلاءً أحسن من بلاء هشام بن عمرو، وكان لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، وكان يأتي بالبعير وقره طعاماً حتى إذا قارب الشعب خلع خطامه من رأسه، ثم ضرب على جنبه، فيدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به ووقره براً فيفعل به مثل ذلك. ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية المخزومي، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب، فقال: يا زهير، قد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث علمت؟ أما إني أحلف لو كانوا أخوال أبي الحكم ابن هشام ثم دعوته إلى مثل

---

(١) ب: في العباد محمداً.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٤.

ما دعاك إليه منهم لما أجابك إليه أبدا، قال: ويحك يا هشام، فما اصنع، إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها، قال: قد وجدت رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أنفسنا مالنا[1].

فذهب إلى المطعم بن عدي، فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد عليه، موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً، قال: فماذا أصنع، إنما أنا رجل واحد، قال: وجدت ثانياً، قال: من؟ قال هشام: أنا، قال: ابغنا ثالثاً، قال: قد فعلت، قال: زهير بن أبي أمية، قال: أبغنا رابعاً.

فذهبت إلى أبي البختري، فقال نحواً مما قال لمطعم بن عدي، فقال: [٢٨٥] وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك، قال: أبغنا خامساً.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال: وهل على هذا الأمر من أحد؟ قال: نعم، ثم سمي له القوم.

فاتعدوا خطيم الحجون ليلاً بأعلا مكة، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، فقال زهير: أنا أبدؤكم وأكون أول من يتكلم، فلما أصبحوا عدواً إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أمية وعليه حلة، وطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس، وقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل وكان في ناحية المسجد: كذبت، والله لا تشق. قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب منه، ما رضينا كتابتها حيث كتبت. قال أبو البختري: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، ومما كتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، تشوورا فيه بغير هذا المكان. وأبو طالب جالس في ناحية المسجد. وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلَّا باسمك اللهم. وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، من بني عبدالدار، فشلت يده[2].

وفي نقضها يقول أبو طالب[3]:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرود

---

(١) كذا في جميع الأصول، وهي تصحيف وصوابها «إبغنا ثالثاً».

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٢ ـ ١٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/١٥.

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل ما لم يرضه الله مفسدُ
تراوحها إفك وسحر مجمع ... ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر ... فطائرها في رأسها يتردد
فمن ينش من حضار مكة عزه ... فعزتنا في بطن مكة أتلد
[٢٨٥] ونطعم حتى يترك الناس فضلهم ... إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد
جزى الله رهطاً بالحجون تبايعوا ... على ملأ يهدى لحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم ... مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه ... إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد
جرئ على جل الخطوب كأنه ... شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين من لؤي بن غالب ... إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا ... على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا ... وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأقوام في جل أمرنا ... وكنا قديماً قبلها نتودد
وكنا قديماً لا نقر ظلامة ... وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيا لقصى هل لكم في نفوسكم ... وهل لكم فيما يجيئ به غد

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً. فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً. قال: فقلت في نفسي[٢٨٧]: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر، وما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك[1] حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك.

قال: فعرض رسول الله ﷺ عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت، وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه، قال: فقال: اللهم اجعل له[2] آية.

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح، قال: قلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول فوقع في رأس سوطي، قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أنهبط عليهم من الثنية، قال: حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

قال[3]: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني، قال: لم يا بني؟ قال: أسلمت وبايعت دين محمد، قال: أي بني، فدينك ديني، فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني، قالت: لم بأبي أنت وأمي؟ قال: قلت: فرق [٢٨٨] بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد، قالت: فديني دينك، قال: قلت: فاذهبي إلى حِنَا ذي الشرى [فتطهري منه][4]. قالت: بأبي وأمي، أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً؟ قال: قلت: أنا ضامن لذلك، قال: فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة، فقلت : يا نبي الله، إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم. فقال: اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعوهم وارفق بهم، قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ

---

(١) ب: يخوفوني بك وأمرك.

(٢) في الأصول: لي، والتصويب من ابن هشام.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين.

ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح عليه مكة. قال: قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين ـ صنم عمرو بن حممة ـ حتى أحرقه(١).

قال ابن إسحاق(٢): فخرج إليه فجعل الطفيل ـ وهو يوقد عليه النار ـ يقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا

أنا حشوت النار في فؤادكا

قال: ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله ﷺ.

فلما ارتدت العرب، خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها، ثم خرج مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو موجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت[٢٨٩] رؤيا فاعبروها ليّ، رأيت أن رأسي حلق، وأنه خرج مني(٣) طائر، وإنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيته حبس عني. قالوا: خيراً. قال: أما أنا والله فقد أولتها، قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل رحمه الله شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل منها، ثم قتل عام اليرموك(٤).

قال ابن إسحاق(٥): حدثني عبدالملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية قال: قدم رجل من أراش ـ قال ابن هشام: ويقال: أراشة ـ بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية من المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤديني على أبي الحكم ابن هشام، فإني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حق لي، فقال أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس ـ

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨/٢ ـ ٢٠.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٠/٢.

(٣) ب: منه.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٠/٢ ـ ٢١.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣/٢ ـ ٢٤.

لرسول الله ﷺ وهم يهزءون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة ـ اذهب إليه فإنه يؤديك عليه.

فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا عبد الله، إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبني على حق لي[١]، وأنا غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي فأشاروا إليك، فخذ حقي منه، يرحمك الله. قال: انطلق إليه، وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه، أنظر ما يصنع.

قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليّ، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة، قد انتقع لونه، فقال: اعط الرجل حقه، قال: نعم، لا يبرح حتى أعطيه الذي له.

قال: فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه. قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ، وقال [٢٩٠] للأراشي: إلحق بشأنك، فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله عني خيراً، فقد والله أخذ لي حقي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك، ماذا رأيت؟ قال[٢]: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه روحه، فقال: اعط هذا حقه، فقال: نعم لا يبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فخرج بحقه، فأعطاه إياه.

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا: ويلك، مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط قال: ويحكم، ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعت صوته، فملئت رعباً، فخرجت إليه، وإن فوق رأسي لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني.

وقدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به، وصدقوا به[٣]، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو

(١) «فقال أهل ذلك المجلس... لي» ساقطة من ت.

(٢) ساقطة من ت.

(٣) ب، ك: وصدقوه.

جهل ابن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم، أو كما قالوا لهم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً. ويقال: أن النفر النصارى من أهل نجران، والله أعلم. ويقال ـ والله أعلم ـ إن فيهم [٢٩١] نزلت هذه الآيات:

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾(١).

وقال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فقال: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربه فشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي(٢): يا فلان، يا فلان، اشهدوا، وذلك بمكة من وراء الجبل. قال ابن زيد: فكان يرى نصفه على قعيقعان والنصف الآخر على أبي قبيس(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج أعرابي من بني سليم ببيداء، فإذا هو بضب، فاصطاده، ثم جعله في كمه، وجاء إلى النبي ﷺ وناداه: يا محمد، أنت الساحر، لولا أني أخاف أن قومي يسمونى العجول لضربتك بسيفي هذا، فوثب إليه عمر رضي الله عنه ليبطش به، فقال رسول الله ﷺ: اجلس يا أبا حفص، فقد كاد الحليم يكون نبياً. ثم قال للأعرابي: أسلم تسلم من النار، قال: واللات والعزى لا أومن بك حتى يؤمن هذا الضب، ثم رمي الضب عن كمه، فولى الضب هارباً، فنادى رسول الله ﷺ الضب: أقبل، فأقبل، فقال له: من أنا؟ فقال: أنت محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب، ثم أنشأ يقول:

ألا يا رسول الله إنك صادق	فبوركت مهدياً وبوركت هادياً
شرعت لنا دين الحنيفة بعدما	عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا
فيا خير مدعو ويا خير مرسل	إلى الجن ثم الإنس لبيك داعيا
فبوركت في الأحوال حياً وميتاً	وبوركت مولوداً وبوركت ناشيا

[٢٩٢] ثم سكت الضب، فقال الأعرابي: واعجبا ضب اصطدته من البرية، ثم أتيت به في

---

(١) سورة القصص، الآيات ٥٢ ـ ٥٥. والخبر في ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/٢٥ ـ ٢٦.

(٢) ساقطة من ت.

(٣) ابن الجوزي، الوفا بأخبار المصطفى: ١/٣٣٦.

كمي، فكلم محمداً بهذا الكلام وشهد له بهذه الشهادة، أنا لا أطلب أثراً بعد عين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ فأسلم وحسن إسلامه[١].

[الإسراء والمعراج]

ثم أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس وقد فشى الإسلام بمكة وفي قريش.

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم في الحجر، جاءني جبريل عليه السلام فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت لمضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست فلم أر شيئاً، فعدت لمضجعي، فجاءني الثالثة، فهمزني بقدمه، فجلست، فأخذ بعضدي، فقمت معه، فخرج إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع حافره في منتهى طرفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

قال الحسن وقتادة: سار برسول الله ﷺ ومعه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأتاهم رسول الله ﷺ فصلى بهم، ثم أتى بإناءين، في أحدهما خمر، وفي الآخر لبن، فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن، فشرب منه، وترك الخمر، فقال له جبريل: هديت للفطرة وهديت أمتك، وحرمت عليكم الخمر[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: لما فرغت مما كان في البيت المقدس، أتى بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمد إليه الرجل منكم عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى إلى باب من أبواب السماء، يقال له: باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة، يقال له إسماعيل، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يدي [٢٩٣] كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك، ثم قال رسول الله ﷺ حين حدث بهذا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٤]، فلما دخل بي قال: يا جبريل، من هذا؟ قال: محمد، قال: أوقد بعث؟ قال: نعم، فدعا لي بخير.

ولما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه ويسر به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب، ويقول لبعضها إذا عرضت

---

(١) ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى: ٣٣٨/١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣٠/٢ ـ ٣١.

(٣) «رضي الله عنه» ساقطة من ت.

(٤) سورة المدثر، الآية ٣١.

عليه: أف، ويعبس بوجهه روح خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال: قلت: من هذا يا جبريل. قال: هذا أبوك آدم، تعرض عليه أرواح ذريته، فإذا مرت عليه روح المؤمن سر بها، وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب، وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها، وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.

قال: ثم أصعد بي إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة: عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، قال: ثم أصعد بي إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته صورة القمر ليلة البدر، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب، قال: ثم أصعد بي إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته من هو؟ قال: هذا إدريس، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾[1]، قال: ثم أصعد بي إلى السماء الخامسة، فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العثنون، لم أر كهلاً أجمل منه، قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب في قومه هارون بن عمران، ثم أصعدني إلى السماء السادسة فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى، كأنه من رجال شنوءة، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران، قال: ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم [٢٩٤] القيامة. لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه، قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم.

قال: ثم أشرف على الجنة والنار، وما فيهما، ورأى ملكوت السماوات وصعد إلى مرتقى يسمع فيه صريف الأقلام، ثم انتهى إلى ربه فعرض عليه خمسين صلاة كل يوم. قال رسول الله ﷺ: فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران ـ ونعم الصاحب كان لكم ـ سألني كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت[2]: خمسين صلاة كل يوم، فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فسله أن يخفف عنك وعن أمتك، فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألت ربي فوضع عني عشراً، ثم لم يزل بي يقول لي مثل ذلك كلما رجعت، فارجع فاسأل حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة، ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل. فمن أدّاهن منكم إيماناً بهن، واحتساباً لهن، كان له أجر خمسين صلاة[3].

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٧.

(٢) في الأصول: فقال، والتصويب من ابن هشام.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣٤ ـ ٣٨.

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر، فقال أكثر الناس: هذا والله الأمر البين، إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، فيذهب محمد ذلك في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة، فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر، وقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة. فقال لهم(١) أبو بكر الصديق: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: بل ها(٢) هو ذاك في المسجد يحدث به الناس، فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله [٢٩٥] من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، وهذا أبعد مما تعجبون منه؛ ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وقال: يا نبي الله، أحدثت هؤلاء إنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم، قال: يا نبي الله، فصفه لي، فإني قد جئته، قال رسول الله ﷺ: فرفع لي حتى نظرت إليه، فجعل يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، كلما وصف(٣) له منه شيئاً قال: صدقت أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق، فسماه يومئذ الصديق.

ونعى إلى الناس فأخبرهم، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط، قال: آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فأنفرهم حس الدابة، فنَدَّ لهم بعير، فدللتهم عليه، وأنا متوجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه، وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصعد من البيضاء ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان، إحداهما سوداء والأخرى برقاء، فابتدروا الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطوه، ثم إنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه، ولم يجدوا فيه ماء. وسألوا الآخرين وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وند لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه(٤).

ومما قلت في المديح الشريف، أذكر الإسراء(٥):

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) ساقطة من ت.

(٣) في الأصول: وصفت.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣٣/٢ ـ ٣٤.

(٥) لقد أكثر العمري في هذا القسم من إيراد أشعاره، وكتابه المسالك الوثيقة الوحيدة التي احتفظت بأشعاره.

كـفـا مـلامـي وإلا فـأكـثـرا عـذلـي
فلست عن حب من أهوى بمنتقلِ

يـا قـاتـل الله مـا يـلـقـاه بـعـدهـم
قلبي المعنى ووجدي وهو أقتل لي[1]

وإن تـصـبـرت عـن شـيء فـجـعـت بـه
فـلـسـت أصـبـر مـن حُـب عـلـى مـلـل

قالوا ففي غيرهم شغل فقلت لهم
هـذاك شـغـلـكـم لا شـغـلـي

إن كنت لم أبك جيراناً بكاظمةٍ
بـكـيـت فـيـهـا عـلـى أيـامـنـا الأول

وكنت أبكي ولي رسم ولي طلل
فـالـيـوم أقـفـرت مـن رسـم ومـن طـلـل

وخفت إلا انسكاب الدمع بعدهم
أنـا الـغـريـق فـمـا خـوفـي مـن الـبـلـل

ومـا أبـالـي بـأيـام بـلـيـت بـهـا
إذا خصصت بمدحي خاتم الرسل

مـحـمـد سـيـد الـكـونـيـن مـلـتـه
كـأنـهـا غـرة فـي أوجـه الـمـلـل

آتاه جبريل تحت الليل يوقظه
فـيـهـا لـرؤيـة مـا أعـيـا عـلـى الـمـقـل

فقام ثم امتطى ظهر البراق إلى
أعلى الطباق ولم يطلب ولم يسل

سرى إلى الأفق الأعلى وعاد إلى
مثواه ليلاً بلا ريبٍ ولا عجل

في ليلة تفضل الأيام من رجب
حاز الغنيمة والإسراع في القفل

أتى إلى المسجد الأقصى وأمَّ به
كل النبيين بالتكليف والعمل

ثم ارتقى في معاريج السماء به
واستفتح الباب لا ذا الباب والقفل

ثم ارتقى فوق ما قد حازه صعداً
حتى علا للعلى في اشرف القلل

وحل مرقى به ما حله بشرٌ
ولا تخطاه من رجلٍ ولا رَجُلِ

علا على الأنبياء الكل مرتبةً
فاقت مدى الكل فوق الحجب والكلل

رقى إلى أن دنا من ربه صلة
كـقـاب قـوسـيـن أو أدنـى لـمـتـصـل

وقد رأى ربه حقاً معاينة
ما نالها قبله موسى على الجبل

وباكر القوم عند الحجر يخبرهم
بـمـا رآه بـلا خـوف ولا وجـل

ففاز بالصدق والتصديق طائفة
وباء بالإثم أهل الرأي والجدل[2]

وحدث القوم من أخبار عِيرهم
ما جاء في الصبح مثل الصبح في المثل

واستخبروه عن القدس الشريف ولم
يحقق القدس للظلماء والشكل[3]

---

(١) ت: ما تلقاهم بعدهم.

(٢) ك: وباء ما لاثم.

(٣) ت: يحقق للظلماء والشكل.

[٢٩٧] فصار يلقاه حتى يمثله — وأخبر القوم أخباراً بلا زلل
هذه عطايا محب للحبيب أتت — بما يزيد على التأميل والأمل
مواهب من كريم ليس يعجزه — شيء يكون ولا ما كان في الأول
عليه من صلوات الله أدومها — ما مالت الشمس في الأبكار والأصل[١]

[العرض على القبائل]

ثم إن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له قرين صدق على الإسلام، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً وناصراً على قومه، وكان هلكهما قبل مهاجره بثلاث سنين، ونالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم يكن ليطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه[٢] منهم فنثر على رأسه تراباً. فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة وأشرافهم، إخوة ثلاثة، عبدياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وكلمهم لما جاءهم له من نصرته[٣] والقيام معه، فقال له أحدهم: هو[٤] يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً أرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمه أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن[٥] أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم قد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم ـ فيما ذكر لي ـ : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومهم فيذئرهم ذلك عليه، فلم يفعلوا، أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة من [٢٩٨] عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي عليه السلام من سفهاء أهل الطائف، ولقد لقى رسول الله ﷺ ـ فيما ذكر ـ المرأة من بني جمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟

---

(١) ب: أدوامها.
(٢) ب، ك: سبعة.
(٣) ب: له لنصرته.
(٤) ساقطة من ت.
(٥) ساقطة من ت.

فلما اطمأن قال: اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك.

قال: فلما رآه ابنا ربيعة ـ عتبة وشيبة ـ وما لقي، تحركت له رحمهما، فدعوا لهما غلاماً نصرانياً، يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فمد يده وقال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا كلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما هو دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال له رسول الله ﷺ: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً، وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه، فقال أحد ابني ربيعة لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر [٢٩٩] ما يعلمه إلا نبي، قالا: ويحك يا عداس، لا يصرفك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ثم إن رسول ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكر الله تبارك وتعالى وهم ـ فيما قيل ـ سبعة نفر من أهل نصيبين، فاستمعوا له، فلما فرغ

من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[1]. ثم قال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[2]. إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة[3].

(١) سورة الأحقاف، الآيات ٢٩ ـ ٣١.

(٢) سورة الجن، الآيات ١ ـ ٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤٦/٢ ـ ٤٨.

ثم وقف رسول الله ﷺ في الموسم يعرض نفسه على القبائل، ولم يكن عليه[1] أحد من العرب أقبح رداً من بني حنيفة. وأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر لله يضعه حيث يشاء، قال: فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، وقد كانت أدركه السن، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتىً من قريش، ثم أحد بني عبدالمطلب، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلاف، هل لذناباها من مطلب، والذي نفس فلان [٣٠٠] بيده ما تقولها إسماعيلي قط وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم[2].

(١) ساقطة من ت.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/٥٠ ـ ٥١.



الهجـــرة



[الهجرة]

ثم لقى رهطاً من الخزرج، قال: أنتم موالي يهود؟ قالوا: نعم، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فإن يجمعهم الله بك فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم، فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى. قال عبادة بن الصامت: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، فبايعنا على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فقال لهم رسول الله ﷺ: وإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر.

ثم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، وكان يصلي بهم، لأن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض. وأول من جمع الجمعة بالمدينة أسعد بن زرارة[1].

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج أناس ممن أسلم من الأنصار إلى[2] الموسم حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة، من أوسط أيام التشريق. قال كعب ابن مالك: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام، سيد من ساداتنا فأسلم وشهد معنا العقبة،[٣٠١] قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ تسلل[3] القطا مستخفين، حتى

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٥٣/٢ ـ ٦٠.

(٢) ب: من.

(٣) ت: تثل.

إذا[1] اجتمعنا في الشعب ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا، فجاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا معشر الخزرج ـ وكانت العرب تطلق اسم الخزرج على الأوس والخزرج ـ إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلَّا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ[2] لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا[3] القرآن، ودعا إلى الله، ورغب الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا، فبايعنا [يا][4] رسول الله ﷺ ونحن والله أبناء أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر.

قال: واعترض القول، والبراء يتكلم، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم ـ أي ذمتي ذمتكم،[٣٠٢] وحرمتي حرمتكم ـ أنا منكم وأنتم [مني][5]، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

ثم جعل عليهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وقال لهم: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي، قالوا: نعم. فلما أتوا المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك[6].

ثم هاجر من هاجر إلى المدينة، ولم يتخلف مع رسول الله ﷺ من أصحابه بمكة إلا من

(١) ساقطة من ك، ب.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ب: فقرأ.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/٦١ ـ ٧٢.

حبس أو فتن، إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة ـ رضي الله عنهما ـ وكان أبو بكر مراراً يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً[(١)]، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شعبة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، حذروا خروجه إليهم، فاجمعوا له في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

واعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، فقالوا: من الشيخ؟ فقال: شيخ من أهل نجد، عسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً، قالوا: أجل. وتفرقوا على رأي أبي جهل أن يأخذوا من كل قبيلة فتى جلداً نسيباً ليضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي، لا رأى[(٢)] غيره.

فأتاه جبريل وقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه[٣٠٣] متى نام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسجَّ بردي هذا الحضرمي، فنم فيه، فإنه ليس يخلص إليك شيء تكرهه منهم.

وخرج[(٣)] رسول الله ﷺ وأخذ حفنة من تراب في يده، فأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ويتلو هذه الآيات من يس: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾[(٤)]. لم يبق رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمداً، قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

---

(١) في الأصول: صباحاً، والصواب ما أثبت.

(٢) ت: أرى.

(٣) ت: وأخذ.

(٤) سورة يس، الآيات ١ ـ ٩.

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً في الفراش، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائماً عليه برده. حتى أصبحوا فقام عليّ عن الفراش، وقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا[١].

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أنزع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما أعداداً لذلك، ثم أتى أبا بكر في الهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. وقال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، قال: الصحبة. ثم قال: يا نبي الله، هاتان راحلتان كنت أعددتهما [٣٠٤] لهذا فاستأجرا عبد الله بن أرقط ـ من بني الدئل بن بكر ـ وكان مشركاً، يدلهما على الطريق، ودفعا إليه راحلتيهما، وكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

وأمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس. وخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته إلى غار بجبل ثور، فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى به، وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى. وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما[٢]. وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم حتى مضت الثلاث ليال وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيرين لهما وبعير له، واتتهما[٣] أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس فيها عصام، فحلت نطاقها فجعلته عصاماً، ثم علقتها به، فقيل لأسماء: ذات النطاق، وقيل ذات النطاقين.

وقدم أبو بكر أجود المراكب لرسول الله ﷺ ثم قال: اركب، فداك أبي وأمي، فقال: إني لا أركب بعيراً ليس لي، قال: فهي لك يا رسول الله، وركبا وانطلقا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق[٤].

وأخذ أبو بكر ماله كله معه[٥]، خمسة آلاف درهم، قالت أسماء: فمكثنا ثلاث ليال[٦] ما

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٩٤/٢ ـ ٩٦.
(٢) ب: يصلحها.
(٣) ب: واتته.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٩٧/٢ ـ ٩٩.
(٥) ب: جميعه.
(٦) ساقطة من ب.

ندري أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس يتبعونه، يسمعون صوته وما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول[1]:

[٣٠٥] جزى الله ربُّ الناس خير جزائه — رفيقين حلا خيمتي أم معبدِ

هما نزلا بالبر ثم ترحلا — فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهنِ بني كعب مكان فتاتهم — ومقعدها للمؤمنين بمرصد

وتبعه سراقة بن مالك ليرده ويأخذ المائة ناقة، قال: فبينا يشتد بي فرسي، فسقطت عنه، قال[2]: قلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره، لا يضره، وكذلك ثانية وثالثة، فلما بدا لي القوم ورأيتهم، عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه، قال: ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وإنه ظاهر. قال: فناديت: أنا سراقة بن جعشم، انظروني أكلمكم، فوالله لا أذيتكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له: وما تبتغي منا؟ فقال لي ذلك أبو بكر، قال: قلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك. قال: اكتب له يا أبا بكر. قال: فكتب لي، ثم ألقاه إليَّ، فجعلته في كنانتي، ثم رجعت، فسكت، ولم أذكر شيئا مما كان إلى أن أتيت رسول الله ﷺ به بعد الفتح، فقال ﷺ: يوم وفاء وبر، أدنه فأسلمت[3].

قال ابن هشام[4]: ثم قدما ـ يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر ـ بطن قباء، يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، حين اشتد الضحى، وكادت الشمس تعتدل. وكانت الأنصار تخرج كل يوم إلى الحرة تنتظره، فإذا علت الشمس دخلوا، وكانت أياماً حارة، وأول من رآه رجل من يهود، فصاح بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا جدكم جاء، وكانوا قد انصرفوا من منتظره حين علت الشمس.

ونزل على كلثوم بن هدم، [٣٠٦] وقيل: بل على سعد بن خيثمة، وأقام أمير المؤمنين علي عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى إذا فرغ مما أمره به رسول الله ﷺ لحق به، ونزل معه.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٩٩/٢.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٠٠/٢ ـ ١٠٢.

(٤) السيرة النبوية: ١٠٣/٢.

[بناء المسجد النبوي]

وأقام رسول الله ﷺ بقباء يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وأسس مسجده، ثم خرج يوم الجمعة، فأدرك الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانوناء، وأتاه رجال من الأنصار يعرضون عليه النزول عليهم، فقال: خلوا سبيلها، فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا أتت دار مالك بن النجار، باب مسجد رسول الله ﷺ الآن، وكان مربداً ليتيمين: سهل وسهيل ابني عمرو، من بني النجار، في حجر معاذ بن عفراء، بركت ورسول الله ﷺ لم ينزل ثم وثبت وسارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها، ورجعت إلى مبركها أول مرة، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها، ونزل عنها، واحتمل أبو أيوب، خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل رسول الله ﷺ [وسأل][1] عن موضع المسجد، فقال له معاذ: هو ليتيمين في حجري، وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجداً، وأمر به أن يبنى، وعمل فيه، ودأب فيه المهاجرون والأنصار رضوان الله عليهم وقال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل ... لذاك منا العمل المضلل

وكان علي يبني وهو يقول:

لا يستوي من يعمر المساجدا ... يدأب فيه قائماً وقاعداً

ومن يرى عن الغبار حائدا

ودخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن، فقال: يا رسول الله، قتلوني [٣٠٧] يحملون عليّ ما لا يحملون، قالت أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده، وكان رجلاً جعداً، وهو يقول: ويح ابن سمية، ليسوا الذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية.

وعرض آخر لعمار وهو يرتجز بما ارتجز به علي عليه السلام ظن أنه إنما يعرض به، فقال: قد سمعت ما تقول مذ اليوم يا ابن سمية، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك. قال: فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عمار جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل ولم يستبق فاجتنبوه[2].

وأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه، ثم انتقل إلى مساكنه

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/١٠٤ ـ ١٠٧.

وتلاحق المهاجرون برسول الله ﷺ ولم يبق بمكة منهم أحداً، إلا مفتون أو محبوس.

قال ابن هشام[١]: ولم يرغب أهل هجرة من مكة بأموالهم وأهليهم إلى الله ورسوله إلا أهل دور مسمون[٢]، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار، إلا ما كان من خطم، وواقف، ووائل، وأمية، كلهم من أوس الله، من حي الأوس، فإنهم أقاموا على شركهم[٣].

[الصحيفة والمؤاخاة]

وكتب رسول الله ﷺ [كتاباً][٤] بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم[٥]. وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار[٦].

ومما قلت في ذكر المهاجر الشريف وحسن صنع الأنصار:

وكفاه يوم الغار حالة سراقة ... وجواده في الأرض ليس يقومُ

والعنكبوت قد تضاعف نسجها ... ظللاً عليه وللحمائم نئيم

حتى أتى دار المهاجر طيبةً ... في عيل غلب والمقام كريم

[٣٠٨] من آل قيلة ليس يعرف قائل ... منهم غداة الروع كيف يريم

شم غطارفة جحاجحة سمت ... أفعالهم بهم وتم قديم

صبر على كر الحماة عليهم ... ما شأنهم سلم ولا تسليم

قوم إذا هتف الدعاء نمتهم ... في فرع يعرب جُلةٌ وقروم

ولهم إذا صرخ الصريخ زعازع ... كالطود زحزحة أجش هزوم

أنصار دين الله أما جودهم ... فند وأما بأسهم فسموم

أبداً تذود عن التنزيل رماحهم ... أمماً وتحمى في النزال حريم

فتألقت أشتاتهم بقدومه ... ورست لهم مثل الجبال حلوم

---

(١) السيرة النبوية: ١٠٨/٢.

(٢) سماهم ابن هشام في السيرة النبوية: ١٠٨/٢ وهم: بنو مظعون من بني جمح، وبنو جحش بن رئاب، وبنو البكير من بني سعد بن ليث.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٠٩/٢.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من ابن هشام.

(٥) ب: واشترط لهم.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ١١٠/٢.

ثم نعود إلى ما كنا فيه.

قال ابن هشام[1]: وقال ـ فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ : تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب، وقال: هذا أخي.

وقال أبو قيس، صرمة بن أبي أنس، أخو بني عدي بن النجار، وكان ممن ترك الأوثان وهم بالنصرانية، ولم يفعل حتى أكرمه الله بالإسلام[2]:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض في المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه ... فأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى ... وكان له عوناً من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفةً ... حنانيك لا تظهر عليّ الأعاديا
فطأ معرضاً إن الحتوف كثيرة ... وإنك لا تبقى لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا

وفيهم يقول شاعر المهاجرين:

[٣٠٩] هم أنزلونا في صدور بيوتهم ... صدور بيوت إذ فات وأكنت
أبو أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقي الذي لاقوه منا لملّت

ونصبت اليهود المعاداة لرسول الله ﷺ ومالأهم عليها جماعة من المنافقين، وكانت أحبار يهود تأتي رسول الله ﷺ بالمسائل ليلبسوا الحق بالباطل، وكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه، وأسلم عبد الله بن سلام، وكان حبراً عالماً، وقال: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن يعلموا به بهتوني وعابوني.

قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ فقالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا. فخرج عليهم. قال

---

(١) السيرة النبوية: ١١٢/٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١١٨/٢.

ابن سلام: فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله[1] واقبلوا ما جاءكم به محمد، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، وإني أشهد أنه رسول الله، وأؤمن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي[2].

وكذلك أسلم مخيريق، كان عالماً من أحبارهم، وقتل مع رسول الله ﷺ نوبة أحد، وكان أوصى بماله لرسول الله ﷺ فعامة صدقاته منه[3].

[تغيير القبلة]

ثم صرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه أعيان يهود وقالوا له: يا محمد، ما ولاك عن قبلتنا التي كنت عليها، وكنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ [ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها][4] نتبعك ونصدقك، وإنما يريدون فتنته عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ [٣١٠] مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[5].

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢١/٢ ـ ١٢٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢٢/٢ ـ ١٢٣.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٥) سورة البقرة، الآيات ١٤٢ ـ ١٤٧.



المغـــــــــــــازي



[المغازي]

وأقام رسول الله ﷺ تكملة السنة الأولى من الهجرة، وبعث عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ثمانين من المهاجرين حتى بلغ ماء بأسفل ثنية المرة، ولقي به جمعاً عظيماً من قريش، ولم يكن بينهم قتال[١].

ثم استعمل سعد بن عبادة على المدينة، وخرج في صفر من السنة الثانية غازياً حتى بلغ ودان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعه فيها بنو ضمرة، ثم رجع[٢].

وبعث حمزة رضي الله عنه إلى سيف البحر، ناحية العيص، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، فلقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين جميعاً[٣].

وبعث [٣١١] سعد بن أبي وقاص في ثمانية من المهاجرين، حتى بلغ الخرار، ثم رجع[٤].

ثم استعمل رسول الله ﷺ [على المدينة][٥] السائب بن عثمان بن مظعون، في شهر ربيع الأول، وخرج حتى بلغ بواط، من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً[٦].

ثم استعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وخرج في جمادى الأولى، حتى أتى بطن ينبع، فأقام بها إلى ليال من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع، وهي غزوة ذي العشيرة، وفيها قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام ما قال. كان هو وعمار بن ياسر مضطجعين في صور من النخل، وفي دقعاء من التراب، قال عمار[٧]: فنمنا، والله

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/١٧٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/١٧٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/١٧٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/١٨٣.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/١٨١.

(٧) ساقطة من ب.

ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها يومئذ قال لعلي: ما لك يا أبا تراب؟ لما يرى عليه من التراب، ثم قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه، ووضع يده على قرنه، حتى يبل منها هذه، وأخذ بلحيته(١).

ولم يلبث رسول الله ﷺ بالمدينة إلا أياماً قلائل حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فاستخلف رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وخرج في طلبه حتى بلغ سفوان من ناحية بدر وفاته كرز، وهي بدر الأولى(٢).

ثم بعث عبد الله بن جحش الأسدي في رجب، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه ويمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً، فسار يومين ثم فتحه، فإذا فيه: أن ينزل نخلة ـ بين مكة والطائف ـ يرصد بها قريشاً ويعلم أخبارهم، ثم مضى هو وأصحابه، لم يرجع أحد منهم [٣١٢] وأصابوا بنخلة لقريش عيراً تحمل زبيباً وأدماً وتجارة، ورمى أحد المسلمين عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله، وأسر المسلمون اثنين، وساقوا العير حتى قدموا المدينة، وهي أول غنيمة للإسلام(٣).

[بـــدر]

ثم سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام في عير عظيمة لقريش، فيها ثلاثون أو أربعون رجلاً، منهم مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص. فندب المسلمين إليهم، وقال: هذه غير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليهم لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس، فخف بعض وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً.

وكان أبو سفيان بن حرب حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس. حتى أصاب خبراً من بعض الركبان، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨١/٢ ـ ١٨٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨٣/٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨٣/٢ ـ ١٨٦.

وقبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رأت عاتكة بنت عبدالمطلب رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب، فقالت: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفظعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك شر أو مصيبة، فاكتم عني ما أحدثك، قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا أنفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينا هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها [٣١٣] ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار منها إلَّا دخلها منها فلقة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة، وكان له صديقاً، فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش. قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبدالمطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم، فقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يكن حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني كبيراً، إلا[1] أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً، ثم تفرقنا.

فلما أمسينا لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما قد سمعت، قال: قلت: قد والله فعلت، وما كان مني إليه كبير، وأيم الله لأتعرضن له، وإن عاد لأكفينكنه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه. قال: فدخلت [٣١٤] المسجد فرأيته، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرض لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر. إذ خرج نحو باب

---

(١) ساقطة من ت.

المسجد يشتد. قال: قلت في نفسي: ما له، لعنه الله، أكل هذا فرقا مني أن أشاتمه! قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جدع بعيره وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث. قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر[1].

فتجهز الناس سراعاً، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمن[2] غير ذلك. وكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبت قريش، فلم يتخلف من أشرافها أحد. إلا أن أبا لهب قد تخلف، وبعث مكانه العاص بن هشام، وقد كان لاط به بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها، على أن يجزئ عنه، فخرج عنه.

وإن أمية بن خلف أجمع القعود، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها فيها نار، ووضعها بين يديه وقال: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء، قال: قبحك الله وقبح ما جئت به، قال: ثم تجهز وخرج مع الناس.

ولما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم، وقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه [٣١٥] فخرجوا سراعاً[3].

قال ابن إسحاق[4]: وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه، واستعمل عمرو ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ثم رد أبا لبابة من الروحاء، واستعمله على المدينة. ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض. وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوتان، إحداهما مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأخرى [مع][5] بعض الأنصار. وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ سبعين بعيراً، فاعتقبوها، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة ـ مولياً

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨٧/٢ ـ ١٨٩.

(٢) ب: ليكونن.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨٩/٢ ـ ١٩٠.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٩٠/٢ ـ ٢١٧.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل، والإضافة من ابن هشام.

رسول الله ﷺ ـ يعتقبون بعيراً، وكان أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً. وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام[1].

فسلك طريقه من المدينة إلى مكة، على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على ذات الجيش، ثم على تربان، ثم على ملل، ثم على غميس الحمام، ثم على صخيرات اليمام، ثم على السيالة، ثم على فج الروحاء، ثم على شنوكة، وهي الطريق المعتدلة، حتى إذا كان بعرق الطبية لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلم على رسول الله ﷺ فقال: أوفيكم رسول الله ﷺ قالوا: نعم[2]، فسلم عليه، ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه. فقال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ فأنا أخبرك عن ذلك. نزوت عليها، ففي بطنها منك سخلة، فقال عليه السلام: مه، أفحشت [٣١٦] على الرجل، ثم أعرض عن سلمة[3].

ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام[4] أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم المقداد بن عمرو وقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[5]. فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه. فقال له عليه السلام خيراً، ودعا له. ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. ثم ارتحل، ونزل قريباً من بدر، ثم ركب هو وأبو بكر حتى وقفا على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال عليه السلام: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال له: أوذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا، بمكان كذا، للمكان الذي نزل عليه السلام، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي قريش فيه.

ثم رجع عليه السلام إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٩٢/٢.

(٢) «قالوا نعم» ساقطة من ب.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٩٢/٢ ـ ١٩٣.

(٤) ب: فقال.

(٥) سورة المائدة، الآية ٢٤.

وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون الخبر له، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم وعريض، فأتوا بهما فسألوهما، وهو عليه السلام قائم يصلي، فضربوهما فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه، ثم سلم، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، وقال: هذه مكة [٣١٧] قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[١].

وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً، حتى[٢] ورد الماء وسأل مجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً، قال: ما رأيت أحداً أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا، ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففته، فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب. فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها، وترك بدراً يساراً، وأسرع.

وأقبلت قريش، ونزلوا الجحفة، فلما أحرز أبو سفيان عيره أرسل إلى قريش: أن يرجعوا لأن عيرهم وأموالهم قد سلموا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، ومضوا بعد أن رجع منهم بنو زهرة بأسرهم، حتى نزلوا على مقربة من بدر، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه حتى أتى أدنى ماء من القوم ونزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملئ ماء. وبنى له عليه السلام عليه عريشاً، بإشارة سعد بن معاذ رضي الله عنه. ثم إن قريشاً ارتحلت حين أصبحت، فلما أقبلت رآها عليه السلام تصوب، فقال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة.

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم ابن حزام، فقال عليه السلام: دعوهم، فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام، وأسلم بعد ذلك، وكان يقول إذا حلف، والذي نجاني يوم بدر.

قال: وقد خرج الأسود بن عبدالأسد، وقال: أعاهد الله أني لا أرجع حتى أشرب من حوضهم أو لأهدمنه أو أموتن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبدالمطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما [٣١٨] نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه، فأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، ودعا إلى المبارزة، فخرج

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٩٤/٢ ـ ١٩٥.

(٢) ساقطة من ت.

إليه فتيان من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد، اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال عليه السلام: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا: نعم، أكفاء كرام، فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ـ عتبة ابن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، ثم كر علي وحمزة بأسيافهما على عتبة فذفَّفا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وأمر عليه السلام أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل، ومعه أبو بكر في العريش.

ثم مضى عليه السلام وعدل الصفوف، ورجع إلى العريش وهو يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك. وخفق عليه السلام خفقة في العريش، ثم انتبه، وقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثناياه النقع. وحرض النبي ﷺ أصحابه على القتال، وبشرهم بالنصر.

ولما التقى الناس أخذ عليه السلام حفنة من الحصباء، واستقبل بها قريشا، ثم قال: [٣١٩] شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه وقال: شدوا، فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

وقال عليه السلام يومئذ: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب، عم نبيكم فإنه إنما أخرج مستكرهاً. فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف، [فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟! فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه بالسيف][1]، فوالله لقد نافق؛ قال عمر: وهو أول يوم كناني فيه عليه السلام بأبي حفص، وكان أبو حذيفة يقول[2]: ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً، إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة ابن هشام.

(٢) ساقطة من ت.

ومر عبد الرحمن بن عوف بأمية بن خلف وابنه علي، فاستجار به فأجاره، قال ابن عوف رضي الله عنه: قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبدالمطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال: وإني لأقودهما إذ رآهما بلال، وكان أمية هو الذي يعذب بلالاً على ما تقدم ذكره، فقال بلال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجوت. قال: قلت: أي بلال، أبأسيري! قال: لا نجوت إن نجا. ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا، وأنا أذب عنهما، فأخلف رجل السيف فضرب ابنه فوقع، فصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال: فقلت: انج بنفسك، فوالله ما أغني عنك شيئاً، قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما(١).

وعن ابن [٣٢٠] عباس قال: لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا فيما سواه مدداً وعدداً(٢).

وقاتل يومئذ عكاشة بن محصن بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى النبي ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب، فقال: قاتل بهذا يا عكاشة، فلما أخذه من يده عليه السلام هزه فعاد سيفاً في يده، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، ويسمى هذا السيف بالعون، ولم يزل عنده يشهد به المشاهد مع النبي ﷺ(٣).

وأمر النبي عليه السلام أن يطرح القتلى في القليب، فطرحوا فوقف عليهم رسول الله ﷺ فقال: يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال له المسلمون: أتنادي قوماً قد جيفوا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني(٤).

وقد ذكرت في كلمة لي القليبين: قليب بدر وقليب الحديبية، فقلت:

أما فيهم قلب تبصر من عمىً	فيبصر منه ما يبصر القلب
قليباً جاشا دافقين لأجله	فهذا من القتلى وذا ماؤه سكب

ثم أمر رسول الله ﷺ بما جمعه أهل العسكر، فجمع، فاختلف فيه المسلمون، فقال من

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٩٦/٢ ـ ٢٠٧.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٠٨/٢.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٠/٢.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١١/٢ ـ ٢١٢.

جمعه: هو لنا، وقال الذين قاتلوا العدو: بل هو لنا، وقال الذين جلسوا مع النبي عليه السلام: هو لنا.

وسئل عبادة بن الصامت عن الأنفال، فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله، فقسمه رسول الله ﷺ على بواء؛ يقول: على سواء(١).

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين. وأسهم النبي ﷺ لعثمان بن عفان، ولم يشهد [٣٢١] بدراً معهم، لأنه كان مشتغلاً بابنة رسول الله ﷺ رقية عليها السلام.

وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر عقب شهر رمضان أو في شوال(٢).

ومما(٣) ذكرت في يوم بدر قولي:

لقد قاد الجيوش إلى الأعادي	فهيج من بلائهم بلايا
فأسد الله ثائرة غضابا	لدين الله لا ترضى الدنايا
أفاض النهي فيهم سابغات	ترد البأس لا تخشى النهايا
وتغمد في الرؤوس لهم سيوف	تزور الحرب مصلية عرايا
وتلعب بالنفوس لهم نبال	تحن من الضلوع إلى خبايا
وسل بدراً فليس له شبيه	يجيء بمثله مدد العشايا

ولما رجع فل قريش من بدر، نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه من ماء جنابة حتى يغزوا محمداً، فخرج في مائتي راكب حتى أتى ابن مشكم، سيد بني النضير، فقراه وسقاه، وبطن له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليله حتى أتى أصحابه، وبعث رجالاً، فأتوا العريض، فحرقوا نخلاً بها، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين. وخرج رسول الله ﷺ حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سفيان، وغنموا سويقاً كثيراً رماه أصحاب أبي سفيان ليخففوا، فسميت غزوة السويق(٤).

ثم نقضت بنو قينقاع عهدهم، فحاصرهم، حتى نزلوا على حكمه، ثم مرَّ على عبد الله بن

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/٢١٤.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/٢١٥.
(٣) ب: وما.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٣٧ ـ ٣٨.

أبي سلول بهم لأنهم كانوا حلفاؤه[1].

ثم غزا رسول الله ﷺ نجداً يريد غطفان، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، ثم رجع ولم يجد كيداً، وهي غزوة ذي أمر[2].

ثم استعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وغزا [٣٢٢] يريد قريشاً، فبلغ بحران، معدنا بالحجاز من ناحية الفرع، ثم رجع[3].

ث[4] إن قريشاً خافوا طريقهم إلى الشام، فسلكوا طريق العراق، فخرج أبو سفيان في تجارة، ومعه فضة كثيرة، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال[5]، فقال حسان بن ثابت[6]:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأواركِ

إذا سلكت للغور من بطن عالجٍ ... فقولا لها ليس الطريق هنالكِ

ثم بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل على كعب بن الأشرف اليهودي فقتله، لأنه كان يبكي قتلى بدر ويناقض شعر المسلمين، ويشبب بنسائهم، وقال رسول الله ﷺ: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سُبينة ــ من تجار يهود ــ وكان يعاملهم فقتله، فقال له أخوه حويصة: أي عدو الله، أقتلته! أما والله لرب شحم في بطنك من ماله. فقال: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، وقال:

يلوم ابن أمٍ لو أمرت بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب

حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى ما أصوبه فليس بكاذب

وما سرني أني قتلتك طائعاً ... وأن لنا ما بين بصرى ومأرب[7]

فأخذ رسول الله ﷺ بني قريظة.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٤٠ ــ ٤٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٣٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٣٩.

(٤) ساقطة من ت.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٤٢.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٤٢.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٤٣ ــ ٤٩.

[أحـد]

ثم غزته قريش غزوة أحد، وقد جمعت له واستنصرت عليه، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج إليهم، وقال له كثير من المسلمين: أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عن أعدائنا، فخرج في ألف من أصحابه [٣٢٣] ثم انخزل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس. والتقى الجمعان، واشتد القتال، وكانت النوبة على المسلمين، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قتل، فانكفأت الصحابة وانكفأت قريش عليهم، وكان يوم بلاء وتمحيص، فترس دونه أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل، ورمى عنه سعد بن أبي وقاص، وهو يقول: فداك أبي وأمي، فدث بالحجارة حتى وقع لشقه، فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته، ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع في حفرة، فأخذه علي كرم الله وجهه بيده، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ونزع أبو عبيدة الحلقتين فسقطت لأبي عبيدة ثنيتان، ومص أبو سعيد الخدري الدم من وجهه، ثم ازدرده، فقال ﷺ: من مس دمه دمي لم تصبه النار.

وأول من عرف رسول الله ﷺ بعد أن قيل: قتل، بسبب الناس، كعب بن مالك، قال: فناديت: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ فنهضوا له ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين.

فلما أسند في الشعب وأتاه أبي بن خلف وهو يقول: لا نجوت إن نجا، فقال له القوم: يا رسول الله، أينعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه، فلما دنا منا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ثم استقبله وطعنه في عنقه طعنة[١] تدأدأ منها عن فرسه مراراً، ورجع إلى قومه فمات بسرف[٢].

وفيه يقول حسان رضي الله عنه[٣]:

ألا مـــن مـبـلـــغ عـــنـــي أبـيـــا ... فـقـد ألـقـيـت فـي سـحـق الـسـعـيـر

تـمـنـيـك الأمـانـي مـن بـعـيـد ... وقـول الـكـفـر يـرجـع فـي غـرور

[٣٢٤] فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ ... كـريـم الـبـيـت لـيـس بـذي فـجـور

لـه فـضـل عـلـى الأحـيـاء طـرا ... إذا نـابـت مـلـمـات الأمـور

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤٩/٣ ـ ٦٧.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٦٨/٣.

ثم إن عليا عليه السلام خرج من الشعب إلى المهراس فملأ درقته ماء فغسل وجهه، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه. وبينا رسول الله ﷺ فيمن معه في الشعب علت عالية من خيل قريش الجبل، وكان عليها خالد بن الوليد، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أنزلوهم. ونزل رسول الله ﷺ إلى صخرة ليعلوها، وكان بدن، وظاهر بين درعين، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة حتى استوى عليها، فقال عليه السلام: أوجب طلحة. وأكرم الله يومئذ حمزة بن عبدالمطلب بالشهادة، رماه وحشي بحربة فقتله، وبقرت هند بنت عتبة عن كبده فلاكتها، ثم أوطتها، وظلت ترتجز بأراجيز منها[1]:

شفيت من حمزة نفسي بأحد ... حتى بقرت بطنه عن الكبد

والحرب تعلوكم بشؤبوب برد ... تقدم إقدام عليكم كالأسد

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال، الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعل هبل ـ أي ظهر دينك ـ فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فأجبه، وقل: الله أعلى وأجل، لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار؛ فقال له أبو سفيان: هلم إليّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ: ائته فانظر ما شأنه، فجاءه، فقال له: أنشدك الله أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه يسمع كلامك الآن، قال: أنت عندي أصدق من ابن قميئة وأبر؛ لأنه كان قال لهم إنه قتل. ولما انصرف أبو سفيان نادى: إن موعدكم بدر العالم القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه [٣٢٥]: قل هو بيننا وبينك موعداً. ثم قال لعلي عليه السلام: أخرج في آثارهم فانظر ما يصنعون، فإن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم، فامتطوا الإبل، وجنبوا الخيل، وتوجهوا إلى مكة[2].

قلت: وهذه نوبة الخندق:

وكان قد أشار سلمان الفارسي بحفره على المدينة، وكانت أو مشهد شهده مع رسول الله ﷺ.

وفيها عرضت الكدية التي استعصت حتى ضربها رسول الله ﷺ بالمعول، فبرقت برقة رؤيت لها مشارق الأرض ومغاربها، مما وعد أنه سيبلغه ملك أمته، على ما جاء الحديث به.

وقد ذكرت ذلك حيث قلت:

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٧٤/٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٧٤/٣ ـ ٧٥.

وسل عن الخندق إذ عارضت في حفره كدية صوان
أزاحها من يده ضربة تهوى لها أركان ثهلان
وأومضت في جنحها رقة أبدت شاسع بلدان
وكل قصر قد بنى قيصر أو ساسه ملك لساسان
من كل ما تفتحه بعده أمته من دار سلطان
وصدق الصادق في قوله فتوح فاروق وعثمان
بكل فتح تحت أذياله أشتان نيران وصلبان

ثم أذن في ثاني يوم مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج، وخرج معه أصحابه، وكثير ممن كان تأخر، ليرهب الكفار بأنه يتبعهم، حتى بلغ حمراء الأسد، وكان أبو سفيان والكفار قد بلغوا الروحاء وأجمعوا الرجعة ليستأصلوا البقية، فأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي نحو قريش، فقال له أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ ولم يكن أسلم يومئذ، لكن كانت خزاعة [٣٢٦] مسلمها وكافرها عيبة نصح لرسول الله ﷺ فقال: محمد قد خرج في أصحابه في طلبكم في جمع لم أر مثله، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا. قال: ويحك، ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل، فقال: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، ووالله لقد حملني على ما رأيت أن قلت أبياتاً من الشعر، قال: وما قلت؟ قال:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيلِ
تردى بأسد كرام لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
إني نذير لأهل البسل ضاحيةً ... لكل ذي إربةٍ منهم ومعقول

فثنى ذلك أبو سفيان ومن معه[1].

وفي نوبة أحد يقول هبيرة بن أبي وهب بن مخزوم[2]:

بانت تعاتبني هند وتعذلني ... والحرب قد شغلت عني مواليها
وقد حملت سلاحي فوق مشترفٍ ... ساطٍ سبوح إذا تجري بباريها

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٨٠ ـ ٨٢.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/١٠٠ ـ ١٠٢.

أعـددتـه ورقـاق الـحـد مـنـتـحـلا ومـارنـاً لـخـطـوب قـد ألاقـيـهـا

هـذا وبـيـضـاء مثـل الـنـهـي مـحـكـمـة نـيـطـت عـلـيّ فـمـا تـبـدو مـسـاويـهـا

قـالـت كـنـانـة: أنـى تـذهـبـون بـنـا؟ قلنـا: الـنـخيل، فأموها ومـن فيـهـا[1]

سـقـنـا كـنـانـة مـن أطـراف ذي يـمـن عـرض الـبلاد عـلـى مـا كـان يزجـيـهـا

نـحـن الـفـوارس يـوم الـجـر مـن أحـد هـابـت مـعـد فـقـلـنـا نـحـن نـأتـيـهـا

ثـمـت رحـنـا كـأنـا عـارض بـرد وقـام هـام بـنـي الـنـجـار يـبـكـيـهـا

كـأن هـامـهـم عـنـد الـوغـى فـلـق مـن قـيـض ربـد نـفـتـه عـن أداحـيـهـا

قـد نـبـذل الـمـال سـحـا سـحـاب لـه ونـطـعـن الـخـيـل شـزراً فـي مـآقـيـهـا

[٣٢٧] وليلة يصطلي بالفرث جازرها يـخـتـص بـالـنـقـرى الـمـثـريـن داعـيـهـا

لا يـنـبـح الـكـلـب فـيـهـا غـيـر واحـدة مـن الـقـريـس ولا تـسـري أفـاعـيـهـا

أوقـدت فـيـهـا لـذي الـضـراء جـاحـمـة كـالـبـرق ذاكـيـة الأركـان أحـمـيـهـا

فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه[2]:

سقـتـم كـنـانـة جـهـلاً مـن سـفـاهـتـكـم إلـى الـرسـول فـجـنـد الله مـخـزيـهـا

أوردتـمـوهـا حـيـاض الـمـوت ضـاحـيـة فـالـنـار مـوعـدهـا والـقـتـل لاقـيـهـا

جـمـعـتـمـوهـا أحـابـيـشـاً بـلا حـسـبٍ أئـمـة الـكـفـر غـرتـكـم طـواغـيـهـا

ألا اعـتـبـرتـم بـخـيـل الله إذ قـتـلـت أهـل الـقـلـيـب ومـن ألـقـيـنـه فـيـهـا

كـم مـن أسـيـر فـكـكـنـاه بـلا ثـمـن وجـز نـاصـيـة كـنـا مـوالـيـهـا

وقال كعب بن مالك قصيدة ينقض فيها على هبيرة بن أبي وهب[3]:

ألا هـل أتـى غـسـان عـنـا ودونـهـم مـن الأرض خـرق سـيـره مـتـنـعـنـع

صـحـارٍ وأعـلام كـأن قـتـامـهـا مـن الـبـعـد نـقـع هـامـد مـتـقـطـع

بـه جـيـف الـحـسـرى يـلـوح صـلـيـبـهـا كـمـا لاح كـتـان الـنـجـار الـمـوضـع

فـجـالـدنـا عـن ديـنـنـا كـل فـخـمـة مـذربـة فـيـهـا الـقـوانـس تـلـمـع

وكـل صـمـوت فـي الـصـوان كـأنـهـا إذا لـبـسـت نـهـي مـن الـمـاء مـتـرع

---

(١) «بنا» ساقطة من ت.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٠٢/٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٠٣/٣ ـ ١٠٦.

ولكن ببدر سائلوا من لقيتم   من الناس والأنباء بالغيب تنفع

وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها   سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا

نجالد لا تبقى علينا قبيلة   من الناس غلا أن يهابوا ويفظعوا

وفينا رسول الله نتبع أمره   إذا قال فينا القول لا نتطلع

وقال رسول الله لما بدوا لنا   ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا

فسرنا إليهم جهرة في رحالهم   ضحيا علينا البيض لا نتخشع

فجئنا إلى موج من البحر وسطه   أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصية   ثلاث مئين إن كثرنا وأربع

[٣٢٨] تهادي قسي النبع فينا وفيهم   وما هو إلا اليثربي المقطع

ومنجوفة حرمية صاعدية   يذر عليها السم ساعة تصنع

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى   وليس لأمر حمه الله مدفع

ضربناهم حتى تركنا سراتهم   كأنهم بالقاع خشب مصرع

لدن غدوة حتى استفقنا عشية   كأن ذكانا حر ناة تلفع

وراحوا سراعاً موجفين كأنهم   جهام هراقت ماءه الريح مقلع

ورحنا وأخرانا بطاء كأننا   أسود على لحم ببيشة ظلع

فنلنا ونال القول منا وربما   فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارت رحانا واستدارت رحاهم   وقد جعلوا كل من الشر يشبع

ونحن أناس لا نرى القتل سبة   على كل من يحمي الذمار ويمنع

جلاد على ريب الحوادث لا نرى   على هالك عينا لنا الدهر تدمع

بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش   ولا نحن من أظفارها نتوجع

فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا   أبى الله إلا أمره وهو أصنع

وقال عبد الله بن الزبعري[1]:

يا غراب البين أسمعت فقل   إنما تنطق شيئاً قد فعلْ

إن للخير وللشر مدىً   وكلا ذلك وجه وقبل

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/١٠٦ ـ ١٠٧.

والعطيات خساس بينهم ... وسواء قبر مثر ومقل

كل عيش ونعيم زائلٌ ... وبنات الدهر يلعبن بكل

أبلغن حسان عني آية ... فقريض الشعر يشفي ذا الغلل

كم ترى بالجر من جمجمة ... وأكف قد أترت ورجل

وسرابيل حسان سريت ... عن كماة أهلكوا في المنزل

كم قتلنا من كريم سيد ... ماجد الجدين مقدام بطل

صادق النجدة قرم بارع ... غير ملتات لدى وقع الأسل

فسل المهراس من ساكنه؟ ... بين أقحاف وهام كالحجل

[٣٢٩] ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكت بقباء بركها ... واستحر القتل في عبد الأشل

ثم خفوا عند ذاكم رقصا ... رقص الحفان يعلو في الجبل

فقتلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلا أننا ... لو كررنا لفعلنا المفتعل

بسيوف الهند تعلو هامهم ... عللا تعلوهم بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت، رضي الله عنه[1]:

ذهبت يا بن الزبعري وقعة ... كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتم ونلنا منكم ... وكذاك الحرب أحيانا دول

نضع الأسياف في أكتافكم ... حيث نهوى عللاً بعد نهل

تخرج الأضياح من أستاهكم ... كسلاح النيب يأكلن العصل

إذ تولون على أعقابكم ... هرباً في الشعب أشباه الرِّسل

إذ شددنا شدة صادقة ... فاجأناكم إلى سفح الجبل

ضاق عنا الشعب غذ نجزعه ... وملأنا الفرط منه والرجل

برجال لستم أمثالهم ... أيدوا جبريل نصراً فنزل

وعلونا يوم بدر بالتقى ... طاعة الله وتصديق الرسل

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/١٠٧ ـ ١٠٨.

وقـتـلـنـا كـل رأس مـنـكـم ... وقـتـلـنـا كـل جـحـجـاح رفـل
وتـركـنـا فـي قـريـش عـورة ... يـوم بـدر وأحـاديـث الـمـثـل
ورسـول الله حـقـاً شـاهـدٌ ... يـوم بـدر والـتـنـابـيـل الـهـبـل
فـي قـريـش مـن جـمـوع جـمـعـوا ... مثل ما يجمع في الخصب الهمل

وقال عمرو بن العاص، وهو يومئذ مشرك[1]:

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا ... مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهلاً لقاءنا ... لدى جنب سلع والأماني تصدق
[٣٣٠] فما راعهم بالشر إلا فجاءة ... كراديس خيل في الأزقة تمرق
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا ... ودون القباب اليوم ضرب محرق
كأن رءوس الخزرجيين غدوةً ... لدى جنب سلع حنظل متفلق

فأجابه كعب بن مالك، فقال[2]:

ألا أبلغا فهراً على نأي دارها ... وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب ... صبرنا ورايات المنية تخفق
على عادة تلكم جرينا بصبرنا ... وقدما لدى الغايات نجري فنسبق
لنا حومة لا تستطاع يقودها ... نبي أتى بالحق عف مصدق
ألا هل أتى أفناء فهر بن مالك ... مقطع أطراف وهام مفلق

وقال حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبدالمطلب، رضي الله عنه[3]:

دع عنك داراً قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائلِ
أبيض في الذروة من هاشمٍ ... لم يمر دون الحق بالباطل
مالِ شهيداً بين أسيافكم ... شُلت يدا وحشيٍّ من قاتل
أظلمت الأرض لفقدانه ... وأسودّ نور القمر الناصل
كنا نرى حمزة حرزاً لنا ... في كل أمر نابنا نازل
لا تفرحي يا هند واستحلبي ... دمعاً وأجرى عبرة الثاكل

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١١٣/٣.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١١٣/٣.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢٢/٣ ـ ١٢٣.

وابكي على عتبة إذ قَطّه | بالسيف تحت الرهج الجائل
إذ خرَّ في مشيخةٍ منكم | من كل عاتٍ قلبه جاهل
أرداهم حمزة في أُسْرةٍ | يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزيرٌ له | نعم وزير الفارس الحامل

وقال كعب بن مالك يرثيه رضي الله عنه[1]:

ولقد هُدِدتُ لفقد حمزة هدَّةً | ظلت بنات الجوف منها ترعدُ
قرم تمكن في ذؤابة هاشم | حيث النبوة والندى والسؤدد
[٣٣١] والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت | ريح يكاد الماء منها يجمد
والتارك القرن الكمي مجدلاً | يوم الكريهة والقنا يتقصد
عمُّ النبي محمد وصفيه | وردى الحمام فطاب ذاك المورد
ولقد إخالُ بذاك هنداً بُشّرت | لتميت داخل غصة لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل قومها | يوماً تغيب فيه عنها الأسعد
وببئر بدرٍ إذ يرد وجوههم | جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبي سراتهم | قسمين: يقتل من نشاء ويطرد
فأقام بالعطن المعطن منهم | سبعون: عتبة منهم والأسود
فأتاك فل المشركين كأنهم | والخيل تثفنهم نعام شرد
شتان من هو في جهنم ثاوياً | أبداً ومن هو في الجان مخلد

وقال رضي الله عنه[2]:

بكت عيني وحق لها بكاها | وما يغني البكاء ولا العويلُ
على أسد الإله غداة قالوا | أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً | هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هُدَّت | وأنت الماجد البر الوصول

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢٤/٣ ـ ١٢٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢٨/٣ والقائل هو كعب بن مالك حسبما روى ابن هشام في حين أن رواية ابن إسحاق أنَّ القائل عبدالله بن رواحة، ويبدو أن العمري تبنى رأي ابن هشام، لذلك قال: وقال $ح، على اعتبار أنه قدم اسمه في القصيدة السابقة.

عليك سلام ربك في جنانٍ مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً فكل فعالكم حسن جميل

ثم غدرت النضير، وأرادت إلقاء حجر على رسول الله ﷺ وقد خرج يستعينهم في ديتين، فاستعمل في المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال، ونزل تحريم الخمر، ثم سألوا أن يكف عن دمائهم على أن لهم ما حلمت الإبل من أموالهم إلا الحلقة، فخرجوا ونزلوا خيبر، ودان لهم أهلها. وكانت أموالهم ضاحية لرسول الله ﷺ يضعها حيث يشاء، فقسمها على [٣٣٢] المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل ابن حنيف، وأبا دجانة ذكرا له فقراً فأعطاهما[١].

ثم غزا بني المصطلق[٢].

ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان. ثم نزل نخلا، ولقى جمعاً من غطفان، وتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضا، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف الناس. وهي غزوة ذات الرقاع، قيل: سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم، وقيل: لأنهم بلغوا شجرة هذا اسمها[٣].

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان المتقدم ذكره[٤] يوم أحد، فأقام ببدر ثماني ليال، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة، وقيل عسفان، ثم بدا له في الرجوع. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة[٥].

[الخندق]

ثم كانت غزوة الخندق في شعبان سنة خمس من الهجرة، وكان من خبرها أن نفراً من يهود أتوا قريشاً ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، ثم أتوا غطفان فدعوهم إلى ذلك، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، وخرج الحارث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن رُخَيلة فيمن تابعه من أشجع، فضرب رسول الله ﷺ الخندق على المدينة، وعمل فيه بيده ترغيباً للمسلمين،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/١٥١ ـ ١٥٢.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/١٦١.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/١٦٢.
(٤) ساقطة من ت، ك.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/١٦٦.

واعترضت كدية فأخذ المعول من سلمان الفارسي رضي الله عنه فضربها ثلاث ضربات، تلمع كل واحدة، زوى له فيها مشارق الأرض ومغاربها مما يبلغ ملك أمته.

وأقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان [٣٣٣] ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا[١] بذنب نقمي إلى جانب أحد.

واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج في ثلاثة آلاف من المسلمين حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع.

ولم يزل حيي بن[٢] أخطب بكعب بن أسد القرظي يفتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده، فعظم عند ذلك الخوف بالمسلمين، واشتد البلاء، واتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

وأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون قريب شهر، لم يكن بينهم حرب إلَّا الرمى بالنبل والحصار.

وهمَّ رسول الله ﷺ أن يصالح غطفان على ثلث ثمار المدينة، فاستشار سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لابد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرىً أو بيعاً، وحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا، فقال له: أنت وذاك.

ثم إن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، وخرج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة، ودعا عمرو بن عبدود للبراز، فبرز له علي عليه السلام، فقال عمرو بن عبدود: يا ابن أخي، والله ما أحب أن أقتلك، فقال له عليّ: والله، ولكني أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على عليّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي، وخرجت [٣٣٤] خيلهم منهزمة، وقال عليّ عليه السلام[٣]:

---

(١) «حتى نزلوا» ساقطة من ت.
(٢) ساقطة من ت، ب.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٧٨/٣.

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصوابي
فصددت حين تركته متجدلا كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقطر بزني أثوابي

وارتجز يومئذ سعد بن معاذ وهو يقول[1]:

لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

وبينا الأمر مشتد بالنبي ﷺ وأصحابه أتاه نعيم بن مسعود الأشجعي، وقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، ولم يعلم قومي بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: خذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، فخرج حتى أتى قريظة، ثم أتى قريشاً، ثم أتى غطفان، فقال لكل قولاً فرق ذات بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم، فقال أبو سفيان: إنها ليست بدار مقام، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه، فوثب على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، فارتحلت قريش معه.

فلما رأت غطفان رحيل قريش رحلوا هم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووضعوا السلاح[2].

[قريظة]

فلما كانت الظهيرة، أتى جبريل رسول الله ﷺ معتجراً بعمامة من استبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل[3]: بل ما وضعت الملائكة السلاح، وما رجعت الآن إلَّا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم. فأذن مؤذن رسول الله ﷺ: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلَّا ببني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم [٣٣٥] وقدم عليا عليه السلام برايته، ونزل رسول الله ﷺ بئر آني، وتلاحق به الناس، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقالت الأوس: يا رسول الله، موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخوتنا بالأمس ما قد علمت، وكان قد منَّ على بني قينقاع لسؤال عبد الله بن أبي فيهم، فقال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٧٩/٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٦٩/٣ ـ ١٨٤.

(٣) ت: قال بدلاً من فقال جبريل.

الأوس أن يحكم فيهم[1] رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ. فأتاه قومه فحملوه على حمار وقد كان بجراحته، ثم أقبلوا يقولون له: أحسن إلى مواليك، فلما أكثروا قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فلما أنهى إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال: قوموا إلى سيدكم، فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا[2] عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم بما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ها هنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عنها اجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

فبعث رسول الله ﷺ فضرب أعناقهم، وهم نحو سبعمائة رجل، وقيل: أقل وأكثر، فيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، ثم انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً؛ فقال رسول الله ﷺ: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ[3].

وقالت أمه تبكيه[4]:

[٣٣٦] ويـل أم سـعـد سـعـداً   صـرامـة وحـدا
وسـؤدداً ومـجـدا   وفـارسـاً مـعـدا
سـد بـه مـسـدا

فقال رسول الله ﷺ: كل نائحة تكذب، إلا نائحة سعد بن معاذ.

ثم استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وهو بخيبر، وكان مثل كعب بن الأشرف في عداوة الله ورسوله، فأذن لهم، فتحيلوا له فقتلوه، كقتل الأوس لابن الأشرف[5].

وفي قتلهما يقول حسان[6]:

لـلـه در عـصـابـة لاقـيـتـهـم   يـابـن الـحـقـيـق وأنـت يـابـن الأشـرفِ

(١) ب: فيكم.
(٢) ساقطة من ت، ب.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٨٣/٣ ـ ١٩٧.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٩٨/٣.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٦/٣.
(٦) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١٧/٣.

يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم	فسقوكم حتفاً ببيض ذنف[1]
مستبصرين لنصر دين نبيهم	مستصغرين لكل أمر مجحف

ثم خرج رسول الله ﷺ على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان، لقتلهم أصحاب خبيب بن عدي، وأصحابه يسمون أصحاب الرجيع، وكانوا قد غدروا بهم، فتحصنوا بالجبال.

ثم أغار عيينة بن حصن على لقاح رسول الله ﷺ وفيها رجل من غفار وامرأة فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة واللقاح. وأول من نذر بهم سلمة بن الأكوع، فلما نظر خيولهم أشرف في ناحية سلع، ثم صرخ: واصباحاه، ثم خرج يشتد في آثارهم، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم، فجعل يردهم بالنبل ويقول إذا رمى: خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع. وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع، فترامت الخيول، وأولهم لحق برسول الله ﷺ المقداد بن الأسود ومعه الناس، واستنقذوا بعض اللقاح. وسار رسول الله ﷺ حتى نزل ذا قرد [٣٣٧]، ثم رجع بهم. وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من السرح[2].

ثم استعمل رسول الله ﷺ أبا ذر الغفاري وغزا بني المصطلق على ماء لهم، يقال له: المريسيع، فقتل من قتل منهم، ونفل أبناءهم ونساءهم[3].

وفيها كان حديث الإفك، فطهر الله أهل بيت نبيه ﷺ وبرأ [عائشة] مما قالوا[4].

[الحديبية]

ثم استعمل رسول الله ﷺ على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي، وخرج معتمراً لا يريد حرباً، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه، وليعلموا أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: يا رسول الله، هذه قريش، قد سمعت بميسرك، فخرجوا ومعهم العود المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم،

---

(١) البيت ساقط من ب.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٢١/٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٢٧/٣.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٢/٣ وما بين الحاصرتين منه وهو ساقط من الأصول.

فقال رسول الله ﷺ: يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة.

وعدل إلى الحديبية ولا ماء بها، فأخرج سهماً من كنانته، فغرزه في قليب بها، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن، ونزل ناجية بها يميح الماء، فأقبلت جارية من الأنصار بدلوها، وارتجزت تقول:

يا أيها المائح دلوي دونكما ... إني رأيت الناس يحمدونكا

فجعل ناجية يميح الماء ويرتجز، وهو يقول:

[٣٣٨] قد علمت جارية يمانيه ... أني أنا المائح واسمي ناجيه

وطعنة ذات رشاش واهيه ... طعنتها عند صدور العاديه

ثم أتى بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فسألوا رسول الله ﷺ عما قدم له، فقال لهم نحو ما قال لبشر: فأتى قريشاً فاتهموهم وجبهوهم.

وأرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش، وأبطأ فأرجف فيه، فبايع رسول الله ﷺ وقال له: إن قتل عثمان لا نبرح حتى نناجزهم، وهي بيعة الرضوان، قيل: بايعهم على الموت، وعلى أن لا يفروا.

ثم لما كان بينهم الصلح قام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه ثم عاد قافلاً، فأنزل الله سورة الفتح مبشرة بفتح مكة[١].

وقد ذكرت ذلك، ثم ما أعقبه من الفتح، فقلت:

وبمكة في الموطنين كلاهما ... سبقت مكارمه ذنوب جناتها

في النوبة الأولى وقد أعطاهم ... عهداً بكف الريح عن هفواتها

ووفى لهم في عهد مكة مثل ما ... غدروا فأصلاهم على جمراتها

والنوبة الأخرى أتاهم معلما ... بكتائب طمت على شرفاتها

جند مزلزل كل طود خيله ... وتموج كالبحر في حركاتها

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٢٤١ ـ ٢٥٢.

غرست بأعلى مكة راياتها ولوامع القرآن من آياتها
وأتى ابن حرب نحوه مستأمنا بأحسن طاعته على علاتها

[خيبر]

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر، واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي، ودفع الراية إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكانت بيضاء، ولما أشرف عليها قال: اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها [٣٣٩] ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله، قال أبو معتب: كان يقولها لكل قرية دخلها. وأتوهم صباحاً، فقالوا: محمد والخميس وأدبروا هرابا، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وتدنى رسول الله ﷺ الأموال، فأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصناً حصناً.

وخرج مرحب اليهودي وهو من حمير، قد جمع سلاحه، وهو يقول(١):

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب
إن حماي للحمى لا يقرب

وجال يقول: هل من مبارز؟ فأجابه كعب بن مالك(٢):

قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغمى جرئ صلب
إذ شبت الحرب وثار الحرب معي حسام كالعقيق عضب
نطؤكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو يفيء النهب
بكف ماضٍ ليس فيه عتب

فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس وكان قد قتل بها، فقال: قم إليه، اللهم أعنه عليه، فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه منها بسيفه ما دونه، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٥٨/٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٥٩/٣.

كالرجل القائم، ما فيها فنن، ثم حمل مرحب على ابن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، وضربه ابن مسلمة حتى قتله.

[٣٤٠] ثم خرج أخو مرحب، فقتله الزبير بن العوام، رضي الله عنه[١].

قال ابن الأثير الجزري[٢]: وقيل: إن الذي قتل مرحباً وأخذ الحصن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو الأشهر والأصح.

قال[٣]: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه الراية، ثم نهض فقاتل قتالاً شديدا، ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل بها قتالاً أشد من القتال الأول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً[٤] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها عنوة. وليس ثم عليّ عليه السلام كان قد تخلف بالمدينة لرمد فجاء حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد، قد عصب عينيه، فقال له: أدن مني، فدنا منه، فتفل في عينيه فما وجعها حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه حلة حمراء، فأتى خيبر، فأشرف عليه رجل من يهود، فقال: من أنت؟ قال: عليّ بن أبي طالب، فقال اليهودي: غلبتم يا معشر يهود. وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني، وحجر قد نقبه مثل البيضة، وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

فقال عليه، كرم الله وجهه:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليث بغابات شديد قسوره

فاختلفا ضربتين، فبدره علي فضربه فقد الحجر ورأسه والمغفر حتى وقع في الأرض، وأخذ المدينة.

عدنا إلى ما قاله ابن إسحاق، قال[٥]: [٣٢٤] وبعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر، فلم يك فتح، ثم بعث من الغد عمر بن الخطاب فلم يك فتح، فقال

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٥٥/٣ ـ ٢٥٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢١٩/٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٢٠/٢.

(٤) ساقطة من ت.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٦٠/٢ ـ ٢٦٦.

رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار، ودعا علياً كرم الله وجهه وهو أرمد، فتفل في عينيه، ثم قال: خذ هذه الراية، وامض بها يفتح الله عليك، فخرج بها يأنح، وهو يهرول هرولة، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن، وقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي: علوتم، وما أنزل على موسى أو كما قال، وخرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه، فتناول باباً فترس به عن نفسه، فلم يزل في يديه وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه، ثم ألقاه من يديه. قال سلمة بن الأكوع: فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

وفي ذلك قلت:

وخيبر لما أبى صعبها … على بها ليل وفرسان

دعا علياً نحوها مسرعاً … فروع الكفر بإيمان

ناوله في غديه راية … مدت لها آمال أقران

كان علي دونهم كفؤها … والكل كفؤها دم بان

فاقتلع الباب ووافى بحمـ … ـل في أشلاء شجعان

رمى بباب العلم باباً لها … فلم تعد داراً لسكان

فارس صفين فكم موقف … منه زلزل صفان

أخو نبي الله طوبى له … ما مثلها نسبة أخوان

هو ابن عم المصطفى أحمد … وصهره منه له ابنان

[٣٤٣] فالمصطفى في فضله أول … ثم أخوه بعده الثاني

وقلت:

لم تكن خيبر لغير رسول اللـ … ـه تختار ربعها المأنوس[١]

مذ أتاها وزال من كان فيها … جاء سعد لها وولت نحوس

وأتاها مع النبي علي … مقبلاً كالخميس حيث يقيس

جاءها واحد يعد بألف … فتداعوا: محمد والخميس

---

(١) ت: تختا ربعها.

ومن سبى بني الحقيق بها أصيبت صفية بنت حيي، فاصطفاها رسول الله ﷺ فكانت إحدى أزواجه الطاهرات، رضي الله عنهن.

وفيما نهى رسول الله ﷺ عن أربع: عن إتيان النساء الحبالى، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم.

وسأل أهل خيبر رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال، فصالحهم على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، وصالحه أهل فدك على ذلك، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وفدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

وقسم رسول الله ﷺ سهمه وسهامهم، فقدم عليه يوم فتحها جعفر بن أبي طالب، فقبل بين عينيه، وقال: والله ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟.

ولما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت إليه زينب بنت الحارث اليهودية، شاة مصلية، سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما[1] وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء قد أخذ منها فأساغ، فقال [٣٤٣] رسول الله ﷺ: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت، فتجاوز عنها، ومات بشر من أكلته التي أكل[2].

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، محاصراً أهله، فحاصره ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ثم خرج رسول الله ﷺ في ذي القعدة، في مثل الشهر الذي صده المشركون عن العمرة معتمراً، واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلي. ودخل مكة في تلك العمرة، وتحدثت سادة قريش أنهم نهكتهم حمى يثرب، فقال ﷺ: رحم الله من أراهم من نفسه قوة، وهرول بهم في الطواف. وأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾[3]. وأقام بمكة ثلاث ليال، وبعثوا إليه: أن أخرج عنا، فقد انقضى أجلك، فعاد[4].

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٦٢/٣.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩٤..

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٠/٤.

[مؤتــة]

ثم بعث بعثة إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة، وأمر عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

وودع ابن رواحة رسول الله ﷺ ثم قال[1]:

أنـت الـرسـول فـمـن يـحـرم نـوافـلـه	والـوجـه مـنـه فـقـد أزرى بـه الـقـدر
فـثـبـت الله مـا آتـاك مـن حـسـن	في المرسلين ونصراً كالذي نصروا
إنـي تـفـرسـت فـيـك الـخـيـر نـافـلـة	فـراسـة خـالـفـت فـيـك الـذي نـظـروا

وانطلقوا وابن رواحة يرتجز لزيد بن حارثة[2]:

يــا زيــد الــيــعــمــلات الــذبــل	تــطــاول الــلــيــل هــديــت فــانــزل

حتى إذا كان بتخوم البلقاء وافتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية مشارف، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، ثم قتل زيد، ثم جعفر، ثم ابن رواحة، ثم اصطلح الناس على خالد، وفتح الله عليه[3].

وأخبر رسول الله ﷺ بموت الثلاثة وهو بالمدينة في يومه ذلك.

[٣٤٤] وقال قيس بن المُسَحَّر اليعمري يصف الوقعة[4]:

ووالله لا تـنـفـك نـفـسـي تـلـومـنـي	عـلـى مـوقـفـي والـخـيـل قـابـعـة قـبـلُ
وقـفـت بـهـا لا مـسـتـجـيـراً فـنـافـذاً	ولا مـانـعـاً مـن كـان حـم لـه الـقـتـل
عـلـى أنـنـي آسـيـت نـفـسـي بـخـالـدٍ	ألا خـالـد فـي الـقـوم لـيـس لـه مـثـل
وجاشت إليَّ النفس من نحو جعفر	بـمـؤتـة إذ لا يـنـفـع الـنـابـل الـنـبـل
وضم إلينا حجزتيهم كليهما	مـهـاجـرة لا مـشـركـون ولا عـزل

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفراً ومن معه[5]:

تــأوبــنــي لــيــل بــيــثــرب أعــســر	وهــم إذا مــا نــوم الــنــاس مــســهــرا

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٣/٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٦/٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢/٤ ــ ٢٥.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٠/٤.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢١/٤.

لذكرى حبيب هيجت لي عبرة ... سفوحاً وأسباب البكاء التذكر

بلى، إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلي ثم يصبر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

أغر كضوء البدر من آل هاشم ... إبي إذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتى مال غير موسد ... بمعترك فيه قنا متكسر

وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاء وأمراً حازماً حين يأمر

وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز ولا يزلن ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... عليّ ومنهم [أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم ومنهم] ... عقيل وماء العود من حيث يعصر[1]

هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم، وفيهم ذا الكتاب المطهر

[فتح مكة]

ثم تظاهر بنو بكر وقريش على بني خزاعة، وكانوا في عهد رسول الله ﷺ فخرج عمرو بن سالم ـ أحد بني كعب ـ حتى وقف برسول الله ﷺ وهو جالس بالمجلس، فقال[2]:

يا رب إني ناشد محمداً ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنت ولداً وكنا والدا ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصراً أعتد ... وادع عباد الله يأتوا مددا

[٣٤٥] فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيم خسفا وجهه تربدا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا ... إن قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا ... هم بيتونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال له رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم، ثم عرض عنان من السماء، فقال رسول الله ﷺ: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والإضافة من ابن هشام.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/٣٠.

ثم أتى بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة فأخبروه بما أصيب منهم، ومظاهرة قريش بني بكر عليهم، فقال ﷺ: كأنكم بأبي سفيان قد جاء يشد العقد، وأتى أبو سفيان المدينة، فدخل المدينة على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فرش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر.

ثم خرج فأتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً، فأتى أبا بكر ليكلم رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل، فأتى عمر بن الخطاب، فقال: أنا أشفع؟ فوالله لو لم أجد إلّا الذر لقاتلتكم به، فأتى علياً وعنده فاطمة والحسن يدب بين يديهما، فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحما، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى محمد، فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة عليها السلام وقال لها: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى [٣٤٦] آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بني ذاك، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ، فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أفتري ذلكم مغنياً عني؟ قال: لا والله ما أظنه، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره وانطلق، فلما قدم على قريش قالوا له: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما رد علي شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو، ثم جئت علياً فوجته ألين القوم، وقد أشار علي بشيء صنعته، وذكر ما كان، قالوا: فهل أجاز ذلك لك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك، والله إن زاد الرجل أن لعب بك.

وأعلم رسول الله ﷺ أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجهاز، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها.

وقال حسان رضي الله عنه[1]:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة	رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم	وقتلى كثير لم تجن ثيابها

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣٢/٤.

ثم استخلف على المدينة كلثوم بن حصين الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان فصام وصام الناس معه، حتى إذا كان بين عسفان وأمج أفطر.

ثم مضى في عشرة آلاف من المسلمين، وقد عميت الأخبار عن قريش، وخرج تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار، وكان العباس بن المطلب ببعض الطريق قد لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ راض عنه.

قال العباس: حتى إذا كان رسول الله ﷺ يمر الظهران، قلت: واصباح قريش، والله لئن دخل [٣٤٧] رسول الله ﷺ قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعض الحطابة أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه، قال: فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب. قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم، قال: مالك؟ فداك أبي وأمي، قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمي، قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله واستأمنه لك، قال: فركب خلفي، ورجع صاحباه، قال: فجئت به كلما مر على نار من نيران المسلمين، قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، وقال: من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة، قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك[١] بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فتبعته، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، وقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه [٣٤٨]، وقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه، قال: قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هكذا، ولكن قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت

---

(١) ساقطة من ت.

كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به.

قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك[1]، أما هذه فتالله فإن في النفس حتى الآن شيئاً، فقال العباس: ويحك، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم.

قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله فيراها. قال: فخرجت حتى حسبته بضيق الوادي، حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه.

قال: ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم، ثم تمر به القبيلة فيقول: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمر قبيلة إلَّا سألني عنها، فإذا أخبرته بها قال: مالي ولبني فلان، حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون الأولون، لا يرى منهم إلَّا الحدق من الحديد، فقال: [٣٤٩] سبحان الله، يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذاً.

قال: قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه وقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم. قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن،

(١) «والله لقد ظننت... وأوصلك» ساقطة من ت، ب.

قالوا: قاتلك الله[1] وما تغني دارك؟ قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

قلت: وفي الفتح وإسلام أبي سفيان قلت:

قدام مكة في جنود ولم تزل ... ظلل الغمام عليه من أفيائها
عقدت على أجياد أجناد بها ... خيلاً مسومة تسوم غلائها
خيلاً كعقبان الطيور وإنما ... قد سميت بالخيل من خيلائها
حطت شعوب جنوده بشعابها ... دهمت كتائبه على بطحائها
وأرى جحاجحه بها أبطاله ... فارتاع رايتها بحسن روائها
فأتى ابن حرب مسلماً مستسلما ... وأثابه فخراً على اتيانها

ثم لما انتهى رسول الله ﷺ إلى ذي طوى، وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حتى رأى ما أكرمه الله به من الفتح، إن عثنونه ليكاد يمس وسط الرحل.

وفرق جيشه، أمر الزبير بن العوام، وكان في المجنبة اليسرى أن يدخل من كداء، وأمر خالد بن الوليد فدخل من [٣٥٠] الليط، أسفل مكة، وكان على المجنبة اليمنى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء، فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فبلغ رسول الله ﷺ قوله، فقال لعلي عليه السلام: أدركه وخذ الراية، وكن أنت تدخل بها، وأمر أبا عبيدة بن الجراح ينصب لمكة بين يديهن وأتى رسول الله ﷺ حتى نزل بأعلى مكة، وضرب هنالك قبة. وأمر رسول الله ﷺ أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا نفراً سماهم، أمر بأن يقتلوا وإن وجدوا تحت أستار الكعبة.

وكان صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناساً ليقاتلوا، وكان حماس بن قيس، أخو بني بكر، يعد سلاحاً، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لهم بشيء، قال: والله إني لأرجو أن نخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لي علة ... هذا سلاح كامل وآله
وذو غرارين سريع السلة

ثم شهد الخندمة مع صفوان ومن معه، فناوشوا أصحاب خالد القتال، فقتل كرز ابن جابر

---

(١) ساقطة من ت.

المحاربي ومعه أناس، ثم انهزم المشركون، وبلغ حماس امرأته ثم قال: أغلقي بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ أين الخادم؟ تستهزئ به، فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة ... إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالموتمة ... واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ... ضرباً فلا يسمع ألا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

[٣٥١] ثم لما نزل رسول الله ﷺ بمكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة، فأخذ مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده، ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة، وقد استكف له الناس في المسجد، فقام رسول الله ﷺ على باب الكعبة، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلَّا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾(١) ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخو كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء. وقال لعلي كرم الله وجهه: إنما أعطيكم ما ترزءون لا ما ترزءون.

ودخل [٣٥٢] عليه السلام البيت يوم الفتح، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام، ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾(٢)، ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

ولما دخل الكعبة أمر بلالاً أن يؤذن، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لأتبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال: لقد علمت الذي قلتم، ثم ذكر لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك لرسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.

ثم خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: يا أيها الناس، إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، ولا يعضد فيها شجراً، لا تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل إلا هذه الساعة غضباً على أهلها. ألا، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله ﷺ قاتل فيها فقولوا له: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم.

وقام على الصفا يدعو، وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذا فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ [٣٥٣] قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبي ﷺ: معاذ الله، المحيا محياكم ومماتكم.
وقال حسان بن ثابت في الفتح(١):

عفت ذات الأصابع فالجواء	إلى عذراء منزلها خلاءُ
ديار من بني الحسحاس قفر	تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس	خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا، ولكن من لطيف	يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيمته	فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة من بيت رأس	يكون مزاجها عسل وماء
ونشربها فتتركنا ملوكاً	وأسداً ما ينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها	تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات	على أكتافها الأسل الظماء

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/٥٠.

تـظـل جـيـادنـا مـتـمـطـرات يـلـطـمـهـن بـالـخـمـر الـنـسـاء
فـإمـا تـعـرضـوا عـنـا اعـتـمـرنـا وكـان الـفـتـح وانـكـشـف الـغـطـاء
وإلا فـاصـبـروا لـجـلاد يـوم يـعـيـن الله فـيـه مـن يـشـاء
وجـبـريـل رسـول الله فـيـنـا وروح الـقـدس لـيـس لـه كـفـاء
لـنـا فـي كـل يـوم مـن مـعـد سـبـاب أو قـتـال أو هـجـاء
فـنـحـكـم بـالـقـوافـي مـن هـجـانـا ونـضـرب حـيـن تـخـتـلـط الـدمـاء
ألا أبـلـغ أبـا سـفـيـان عـنـي مـغـلـغـلـة فـقـد بـرح الـخـفـاء
بـأن سـيـوفـنـا تـركـتـك عـبـداً وعـبـدالـدار سـادتـهـا الإمـاء
هـجـوت مـحـمـداً فـأجـبـت عـنـه وعـنـد الله فـي ذاك الـجـزاء
أمـن يـهـجـو رسـول الله مـنـكـم ويـمـدحـه ويـنـصـره سـواء؟
فـإن أبـي ووالـده وعـرضـي لـعـرض مـحـمـد مـنـكـم وقـاء
[٢٥٤] لـسـانـي صـارم لا عـيـب فـيـه وبـحـري لا تـكـدره الـدلاء

ثم بعث رسول الله ﷺ حول مكة السرايا تدعوا إلى الله تعالى، ولم يأمرهم بقتال، وممن بعث خالد بن الوليد بأسفل تهامة داعياً لا مقاتلاً، فوطئ بني جذيمة، فأصاب منهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، ثم بعث علياً عليه السلام بمال يودي الدماء وما أصيب من الأموال، حتى أنه ليودي لهم ميلغة الكلب، ثم أعطاهم ما فضل معه من المال احتياطاً لرسول الله ﷺ ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال: أصبت وأحسنت.

ثم بعث رسول الله ﷺ خالداً إلى العزى، وكانت بيتاً بنخلة تعظمه قريش وكنانة كلها، فهدمها[١].

[حنين]

ثم كانت غزوة حنين، ومن خبرها أنه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسول الله ﷺ جمعها مالك بن عوف، واجتمعت إليه ثقيف ونصر وجشم، وفيهم دريد بن الصمة، شيخ كبير، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وفي بني مالك ذو الخمار، سبيع بن الحارث، وأخوه أحمر بن الحارث، وسعد بن بكر، وقيل: من بني هلال، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٦/٤ ـ ٥٣.

بأوطاس اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد له، فلما نزل قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، ودعى له فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له [٣٥٥] ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: ولم، قال[1]: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، فانقض به، ثم قال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلَّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب[2]، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت[3] كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من عامر، لا ينفعان ولا يضران، يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، أرفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم، ثم ألق الصباء على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى، قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاة صدع

ثم قال مالك: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد، وإن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: ويلكم، ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى ما يريد.

وبعث رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد [٣٥٦] الأموي على مكة، وخرج في إثني عشر ألفاً

---

(١) «قال: ولم، قال» ساقطة من ت.

(٢) ساقطة من ت.

(٣) «ما فعلت» ساقطة من ت.

ممن كان معه ممن أسلم من أهل مكة. قال الحارث بن مالك: خرجنا ونحن حديثوا عهد بالجاهلية، إلى حنين، وكانت للكفار شجرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنواط يأتونها في كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، فرأينا سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1]. ثم مضوا حتى أتوا في عماية الصبح وادي حنين، وكان القوم قد سبقوهم إلى الوادي، وكمنوا في شعابه، وتهيئوا.

قال جابر بن عبد الله: فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد. وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أيها الناس، هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. قال: فلا شيء، حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي والعباس.

ولما انهزم الناس، ورأى ذلك من كان من جفاة مكة معه عليه السلام تكلم رجال بما في نفوسهم، قال أبو سفيان [بن] حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمعه في كنانته، وقال شيبة بن عثمان: اليوم أدرك ثأري، وكان أبوه قتل بأحد، اليوم أقتل محمداً، قال: فأدرت به لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع مني، وارتجز مالك بن عوف يقول:

مثلي على مثلك يحمي ويكر   قد أطعن الطعنة تقذى بالسير
وأطعن النجلاء تعوي وتهر   لها من الخوف رشاش منهمر
[٣٥٧] تفهق تارات وحينا تنفجر   قد علم البيض الطويلات الخمر
أني في أمثالها غير غمر   إذ تخرج الحاضن من تحت الستر

قال العباس بن عبدالمطلب: إني لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء، قد شجرتها بها، وكنت امرأ جسيماً شديد الصوت، فقال: يا عباس، اصرخ: يا معشر الأنصار، يا معشر السمرة. قال: فأجابوا: لبيك لبيك، قال: فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله، ويؤم الصوت، حتى ينتهي

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

إلى رسول الله ﷺ حتى إذا اجتمع منهم مائة، استقبلهم الناس، فاقتتلوا، فكانت الدعوى: يا للأنصار، ثم كانت: يا للخزرج، وكانوا صبراً عند الحرب.

وقال رسول الله ﷺ: الآن حمي الوطيس، وهو أول من قالها، فلما رأى شدة القتال قال:

أنــــا الـــــنـــــبـــــي لا كــــــذب   أنـــا ابـــن عـــبـــدالـــمـــطـــلـــب

ثم قال لبغلته دلدل: البدي دلدل، فوضعت بطنها على الأرض، فأخذ حفنة من التراب فرمى بها في وجوههم، فكانت الهزيمة، فما رجع المسلمون إلا والأسرى في الحبال عنده.

وقيل: بل أقبل شيء أسود من السماء مثل البجاد، حتى سقط بين القوم، فإذا نمل أسود مبثوث، فكانت الهزيمة. ذكر هذا ابن الأثير(١).

وقال ابن إسحاق(٢): إنه عند تراجع المسلمين حمل علي عليه السلام على صاحب راية القوم وهو ذو الخمار، فضرب عرقوبي جمله، فوقع على عجزه، ووثب معه رجل أنصاري فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه، فوقع عن رحله، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ.

[٣٥٨] والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان ممن صبر ـ يومئذ ـ معه، وهو آخذ بثفر بغلته، فقال: من هذا؟ قال: ابن أمك يا رسول الله.

والتفت فرأى أم سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها ببرد، وهي حامل، ومعها جمل أبي طلحة، قد خشيت أن يعرها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام، فقال رسول الله ﷺ: أم سليم؟ قالت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال رسول الله ﷺ: أويكفي الله يا أم سليم.

قال: ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: أخذته، إذا دنا مني أحد من المشركين بعجته، قال أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء.

وعن جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ولم يكن إلا هزيمة القوم.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢/٢٦٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/٦٩.

وقال العباس بن مرداس:

شهدن مع النبي مسومات ... حنيناً وهي دامية الكلام
ووقعة خالد شهدت وجرت ... سنابكهن بالبلد الحرام
عرض للسيوف إذا التقينا ... صدوراً ما تعرض للطعام

وهذا يوم ذكرته في كلمة لي، منها:

نبي ملحمة في كل يوم وغي ... نبي مرحمة في كل ملتمس
لما آتاه جموع الحمس جائشة ... رماهم رجال مثلهم حمس
[٣٥٩] في موقف حلاب لا بسيط له ... غير الدماء ولا طود سوى فرس
غطى العجاج به وجه السماء ضحى ... فما استبان وخلى كل ملبس
خافوا السقوط فألقوا من رؤوسهم ... ما شد رخو تراب تحتهم دنس
فاستنقذ الدين من أنياب عادية ... يسطو بمنتهش بابا ومنتهس
وقائعاً في العدى كان الفرار بها ... في رأي وقحهم أوقى من الترس
وفي حنين له نصر تداركه ... أدنى إلى النفس في أدنى من النفس
أصاب لما رأى بالتراب جمعهم ... رقاب مدرع منهم ومترس
وأشغل السيف في هاماتهم فحثت ... القتل أنفاسهم والسيف كالقبس
وصب في الأرض من منصب جدوله ... ما طهر الأرض من شرك ومن نجس
بيض ينقى بها ما كان من دنس ... إن البياض قليل الحمل للدنس
قتل وأسر وتشريد ورعب حسا ... وموت غبن به عادوا على السدس
ولم يعد بالهدى إفكاً لمختلق ... ولم يدع بالردى كفا لمختلس
فاق النبيين في علياء قدرهم ... بخمسة بعضها التحليل للخمس
يوم من الفتح لولاه لما اتصلت ... أيام أصحابه في الروم والفرس

ولما انهزمت تبعت خيل رسول الله ﷺ من توجه نحو نخلة، فأدرك ربيعة بن رفيع ـ وكان يقال له: ابن الدغنة ـ فيها دريد بن الصمة، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه في شجار له، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام، فقال دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة ابن رفيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، قال: بئس ما سلحتك أمك، خذ سيفي هذا من مؤخر الجمل، ثم اضرب به

وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك [٣٦٠] فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب والله يوم قد منعت به نساءك. فزعم بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع فكشف، فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً.

فقالت عمرة بنت دريد تبكيه:

قالوا قتلنا دريداً قلت قد صدقوا ... فظل دمعي على السربال ينحدر
لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تأتمر
إذن لصبحهم غبا وظاهره ... حيث استقرت نواهم جحفل ذفر

وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من انهزم، فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ـ وهو ابن عمه ـ وقاتلهم ففتح الله عليه.

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس عند ثنية من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى يمضي ضعفاؤكم ويلحق إخوانكم، فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم.

وأتت الشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، وخيرها، وقال لها: إن أحببت فعندي محبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت، قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي، فمتعها وردها، ورد على هوازن على ما نذكره.

وفي ذلك قلت من كلمة مطولة، منها:

أفاض من أجفانه المدامعا ... تذكاره بالسفح طيباً رائعا
وبالحمى من لا أبوح باسمه ... ضنانة أن يلج المسامعا
وفيت إذ عادته على الهدى ... وما وفي وعهد عهدينا معا
[٣٦١] حفظت من عهودي نظير ما ... أصبح من عهدي لديه ضائعا
يا للرجال في مصاب عاشق ... أصاب في الحب حبيباً نازعا
آلمه أن الذي واصله ... أضحى لأسباب الوصل قاطعا
متيم ليس يخف ما به ... حتى يرى بالسفح برقاً لامعا
ويجتلي من طيبه نور هدى ... أضحى بآفاق النبي ساطعا

أكـرم مـن أسـدى الـجـمـيـل لامـرء	لا دونــه وقـلـد الـصـنـائـعـا
لـمـا آتـاه الـوفـد مـن هـوازن	يـسـألـه لـلأهـل رداً جـامـعـا
جـاد بـشـيء لـم يـجـد بـمـثـلـه	مـالاً وسـبـيـاً عـظـيـمـاً مـنـافـعـا
عـقـا ورد سـبـيـهـم جـمـيـعـه	مـنـا وجـودا فـي الـنـدى تـتـابـعـا
سـل أخـتـه مـن الـرضـاع إذ أتـت	تـسـألـه مـاذا رأتـه صـانـعـا

وكان من خبر رده على هوازن، أنه لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة جاءه وفد هوازن، فسألوا رسول الله ﷺ أن يمن عليهم فيما أخذ منهم، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل عشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا، منَّ الله عليك، وقام رجل من هوازن، أحد بني سعد بن بكر، يقال له: زهير، يكنى بأبي صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث ابن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزله به، رجونا عطفه وعائذته علينا، وأنت خير المكفولين.

فقال رسول الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم[1] أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا، فقال: أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا وقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين [٣٦٢] وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك وأسال لكم، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم. وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، فقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، قالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال عباس لهم: وهنتموني، فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصبته، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم.

وما سقنا هذا هنا إلا ليربط حديث هوازن بعضه ببعض.

ثم إن رسول الله ﷺ خرج من حنين يريد الطائف ولم يهم أمره.

ثم كان وعد الله به نبيه ﷺ من إظهار أمره، وإعلاء جده، ونصر جنده وتأييد ما جاء به،

---

(١) ساقطة من ت.

فكاتبته الملوك، وتوالت إليه الوفود، وبعث السرايا[1].

ثم غزا غزوة تبوك، وأعلم الناس بها لكي يتأهبوا لها، لبعد شقتها، وشدة الحر، وجدب البلاء، وكان قبل ذلك يكنى ويخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له. وضرب عسكره على ثنية الوداع، واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، ومضى رسول الله ﷺ قاصداً إلى تبوك. ولما انتهى إليها أتاه يحنة بن رؤبة ـ صاحب أيلة ـ فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية.

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشة ليلة لم يتجاوزها، [٣٦٣] ثم انصرف قافلاً إلى المدينة، بعد أن بنى بتبوك مسجداً، وقدم المدينة في رمضان[2].

ووفدت عليه ثقيف، وبنو عامر، وغيرهم، من العرب، وانتشر الإسلام، وظهر، وكثر الإيمان، واشتهر، وذل كل معاند بعد أن تولى بجانبه وكفر بالبراهين القاطعة والآيات الساطعة، والحجة البالغة، والأدلة الدامغة، وجاهد ﷺ في الله حق جهاده، وهدى إلى دينه الحنيفي من اهتدى من عباده.

[وفاتــه ﷺ]

ثم حج ﷺ حجة الوداع، وحض على الألفة، ولم يزل ـ كذلك ـ بفطرته السليمة على جميع الخيرات، وينفر عن ما يبعد من قرب الله تعالى.

ويقال لها أيضاً حجة البلاغ.

ثم قفل رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبعث أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

ثم شكى رسول الله ﷺ الشكوى التي قبضه الله فيها، واشتد به ذلك في بيت ميمونة، فاستأذن نساءه في أن يمرض في بيت عائشة، فأذن له. قالت عائشة: مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وفي دولتي، لم أظلم فيه أحداً، فمن حداثة سني أنه ﷺ قبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء، وأضرب وجهي.

ولما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أنه عليه السلام قد توفى، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٦٢/٤ ـ ٩٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١٢٥/٤ ـ ١٤٠.

بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه [٣٦٤] وسلم مات[١].

وأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت، فأقبل حتى كشف عن وجهه ﷺ فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً، ثم رد البرد على وجهه عليه السلام ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمعوا كلامه أقبلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٢].

قال الراوي: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ.

قال عمر، رضي الله عنه: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.

مات والله سيد الأنام، وطفئ مصباح الظلام، ووهن عضد الإسلام، وتفطر أحد وشمام وألقى الرمح والسيف الصمصام، ودخل البدر السرار، وطمست شمس النهار، وأقلعت سحائب الكرام الغزار، وصمت هوامد اللحود سواكب البحار، وفقدت الأمة سيدها، والملة مجددها، وبكت الأرض محمدها، والسماء أحمدها، وانقطع الوتين، وحل البرين، وانفصم حبل الله المتين، بل نقله الله إلى دار كرامته، واختار ما عنده لإقامته.

وكان بالمدينة صانع يحفر اللحود، وآخر يعمل الأضرحة، فبعث خلفهما، فسبق الذي يلحد، فقيل: هو الذي اختاره الله لرسوله.

[٣٦٥] فتولى أهله غسله، وصلى عليه جمائع وفرادى، ثم كان أهله هم الذين لحدوه، صلوات الله وسلامه وتحياته وإكرامه عليه وسلم تسليما.

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يبكي رسول الله ﷺ[1]:

ما بال عينيك لا تنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدى أصبح ثاويا ... يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
بأبي وأمي من شهدت وفاته ... في يوم الاثنين النبي المهتدى
فظللت بعد وفاته متبلدا ... متلددا يا ليتني لم أولد
يا بكر آمنة المبارك بكرها ... ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدى
يا رب فاجمعنا معاً ونبينا ... في جنة تثني عيون الحسد
والله أسمع ما بقيت بهالك ... إلا بكيت على النبي محمد

وقال ـ أيضاً ـ رضي الله عنه يبكيه ﷺ[2]:

آليت ما في جميع الناس مجتهدا ... مني ألية بر غير أفناد
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من بريته ... أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به ... مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما ... يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد ... أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي
يا أفضل الناس إني كنت في نهر ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

وقال أيضاً رضي الله عنه يبكيه ﷺ[3]:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح من آيات وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد
[٣٦٦] بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبراً بها وأراه في الترب ملحدا

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٨/٤.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٩/٤.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢٣٥/٤.

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجفن تسعد
يذكرون آلاء الرسول وما أرى لها محصيا نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيرة ولكن لنفسي بعد ما قد توجد
أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها على طلل القرر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السموات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد؟
فأصبح محموداً إلى الله راجعا يبكيه حق المرسلات ويحمد
وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلاً لا ينكد
وأبذل تمنه للطريف وتالد إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى وأكرم جداً أبطحياً يسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعا في الفروع ومنبتا وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه على أكرم الخيرات رب ممجد

ومما قلت في المدح الشريف النبوي، لأنتظم في زمرة مدائحه، وأنتظر [٣٦٧] ما يطلع علي من تباشير صباحه:

من ذا علي اليوم عاتب وجدي على فقد الحبايب
ومرور أسنة الظبا ء وفي الخدود لها ربائب
زموا الركائب للسرى يا ليت لازموا الركائب
والصبح منهم الطلو ع كحاضر في لاحال غائب

أموا العقيق وإنما ... ساقوا فؤادي لا النجائب
ولقد مضى معهم يسيـ ... ـر متى اراه وهو آيب
يا للمحب المبتلى ... بين النوائح والنوائب
أحشاؤه لهب الوقو ... د ودمعه ي الجفن ذائب
يلقى الذي يهوى العزا ... ثر في محبته الغرائب
صب طريد شارد ... قل المصائد والمصائب
يا أيها الحادي المجد ... وعنده أقسى الرغائب
عج بي إلى عرب على ... سلع فلي معهم طلائب
يا من تطير الركا ... ب وسيرها في الدو ذائب
يا من يخوض الليل لا ... يخشى الشوائن والشوائب
عوض بذكرى في حمى ... أهل الحمى لترى العجائب
يا وارداً ماء العذيـ ... ـب أما تجود به لـلايب
الأفق قد درب القشيـ ... ـر برأسه والصبح شايب
والليل سمر فاتن ... ألقى على الكتف الذوائب
وكأنما زهر النجو ... م عقود در في ترائب
والركب ممتد الخطا ... والطرق آثار السبائب
والقفر دان شاسع ... أيضم طرف منه سائب
ما فيه إلا عائم ... في بحره الزخار عائب
[٣٦٨] ركب الصبا لمراده ... ويود لو ركب الجنائب
حتى يوافي المصطفى ... ويقوم في الأبواب تائب
وتظل تغسل بالدمو ... ع أدناس المعايب
ويلد في باب السلا ... م له السلام على الحبايب
فبطيبة كل المنى ... وبأرضها القوم الأطايب
فأنزل بها فهناك أسـ ... ـرار الحقائق والحقائب
فيها النبي المجتبى ... وبها الصحابة والقرايب
ذو المعجزات محمد ... جاءت بدعوته السحائب

وأتت وقد بسر الربيـ … ـع كأنها نوق جلائب

وله الدعاء المستجا … ب كأنه النبل الصوائب

سل عنه ذات الخيمتيـ … ـن وشاتها والدر غائب

فبمسحة شبعوا بها … لبنا حليباً ثم رايب

وأعاد عودا صارما … يمضي بحديه الضرائب

ولقد كفاه الله دعـ … ـوى من يعاتي أو يعايب

ما البحر إلا نائل … منه وغلا عنه نائب

فرض الجهاد وقاتل ألد … أعداء لم يرتد صائب

ورمى الوغى بكتائب … ومن السماء بها كتائب

وعصائب من حوله … ووراء جبريل عصائب

وسيوفهم وبنالهم … برق ونوء المزن صائب

رمت العدى فهم هلا … كي أو أساري سلائب

ذبحوهم وهم الأسو … د كأنهم معزى الزرائب

الله أيده فليـ … ـس بهائم دجلا وهائب

يا هل ترى آتى الحمى … وتحط لي فيه ركائب

[٣٦٩] وأوجد أطماع المنى … ويرد عقلي وهو تائب

إن عاد لي عهد بها … عمرت من عمري خرائب

فبمورد الزرقاء حبات القلـ … ـوب أسى ذوائب

وبطيبة كل الأنا … م لهم هوى ولهم حرائب

وبطيبة من شئته … ممن يطيب أو يطايب

وبها نصائب سادة … سقيت حيا لتلك النصائب



الخلفــــاء الراشـــدون
وأنســــاب آل البيـــت



وإذ انتهينا إلى هذا الأفق المنير والمورد النمير، فلنذكر ما أشرف بينهما من الشهب والأهلة، وأغدق من السحب المستهلة، لتلتف الشجرة بأغصانها، وتحتف المواكب العلوية بفرسانها، على أن لكل من قريش بقرابتهم من رسول الله ﷺ شرفاً علياً، وشنفاً لا ينقطع بقرط الثريا حليا، أعرقوا معه أصلاً شريفاً، وفضلاً منيفاً، وجداً ظاهراً، ومجداً ظاهراً، ولبني هاشم شرف ذلك الشرف، ولؤلؤة ذلك الشنف وثمرة ذلك الأصل، وجمهرة ذلك الفضل، وجد ذلك الجد، وذروة ذلك المجد، ولبني أبي طالب في ذلك كله مزية ليست لسواهم من بني أبيهم لمربي رسول الله ﷺ فيهم، ومربى علي في[1] الكنف النبوي، وفضل الأخوة والصهر بأحب البنات، فما لكبير ما لكبيرهم ولا لصغير ما لصغيرهم.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه: أن النبي ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا. قال: ولم يبايع صغيراً إلا منا.

ولبني علي خلاصة الشرف، ثم لبنيه من فاطمة عليها السلام خلاصة تلك الخلاصة، لأنه بضعة منها، وهي بضعة منه[2]، وعلي عليه السلام ابن عم رسول الله ﷺ ومواخيه وصهره ومدانيه، ورسول الله وهو وفاطمة [٣٧٠]، وابناها عليهم الصلاة والسلام أهل العباء، والخمسة الأشياخ، والسر المصون، والجوهر المكنون، وما ينفذ دون بلوغه العبارات ويتناهى القول، وهم أرباب الفضيلة، وأبواب الوسيلة، وأصحاب مآثر القبيلة، وأسباب مآثر كل جميلة، شهب المدلج، وسحب المحوج، غيوث المراحم، وليوث الملاحم، وأطواد المزاحم، وأطوار المقاحم، آل بيت النبي ﷺ وأقاربه وأهلة أهله وكواكبه، وفيهم أو في أزواجه أمهات المؤمنين تحريراً قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[3].

هم الذروة والسنام، والعنان والزمام، والركن والمقام، والحجر والبيت الحرام، سفن النجا وأمن الرجا، وموضع الندى، ومطلع الهدى، وكنوز الغنى، ورموز العلى، وأسرار النبوة، وأقمار النبوة، أنزل الله فيهم محكم كتابه، وبين محكم صوابه، القرآن نزيلهم، والإيمان رسيلهم، وجبريل

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) ت: منها.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

رسولهم، والحرمان حماهم، ومكة مرباهم، وطيبة مهاجرهم ومثواهم، عدد الرمال مآثرهم، وأمد النجوم تكاثرهم، ومدد البحار مفاخرهم، وجد الصراط السوي أولهم وآخرهم، من كرسول الله ﷺ ولا خلق بماثله، ولا أحد يعادله، ولا مفضل في السماء والأرض يفاضله، ولا ملك مقرب يقاربه، ولا نبي مُرسل يراسله، ولا آدم فمن بعده في كل حبل يساجله، ما الكون لولاه، ما السماء إلَّا عُلاه، ما النجوم إلَّا حُلاه، ما الدنيا والآخرة لولا أخرته وأولاه، ما البحر إلَّا غائض نواله، ما الغمام إلَّا قابض ما لا له، من كرجاله ونسائه، من كآل بيته وأقربائه، من كأزواجه أمهات المؤمنين، من كبناته من البنات، أو كبنيه من البنين، من كخديجة الكبرى، من كفاطمة الزهراء، من كحمزة سيد الشهداء، من كالعباس جد الذرية السعداء، من كجعفر وعلي، من كالحسن والحسين [٣٧١] ابني النبي، من كأمير المؤمنين أبي السبطين كرم الله وجهه ذي السابقة الأولى، والباسقة الطولى، من مثله إذا التحمت وشائج الحرب، والتقمت أفواه الجراح طعمة الضرب، زلزل الشرك ووضعه، وجلل الشك ودفعه، ورسول الله ﷺ مدينة العلم وهو بابها، وسفينة النجاة وهو شراعها وشيعته ركابها، وحديثه طراز كل سمر، وطري كل ثمر، يعرف الصحابة رضوان الله عليهم حق قرباه، وحظَّ مرباه، وفي الحديث: لولا علي لهلك عمر وإن يبغ عليك قومك لا يبغ القمر.

ومن كجعفر الطيار ذي الجناحين مهاجر الهجرتين، ومن كالحسنين الطاهرين والفتيين الزاهرين، والفتيين المكتهلين، والاثنين المنهلين، ريحانتي المصطفى، وسيدي شباب أهل الجنة، طالما قبل رسول الله ﷺ ثغورهما وحملهما على كتفيه، وصلى فارتحلاه لما سجد وركبا عليه.

وعن زر بن حبيش قال: كان النبي ﷺ يصلي فإذا جاء الحسن والحسين فركباه، فلما قضى صلاته ضمهما، وقال: بأبي وأمي أنتما من أحبني فليحب هذين.

ومن كابن عباس أبي العباس عبد الله حبر الأمة، أو كابن جعفر أبي جعفر عبد الله الجواد، بحر النعمة ثم لا ينكب عن الطريق المهيع، ويتدافع عما لا يدفع، من كعلي زين العابدين، من كمحمد باقر علم الدين، ومن كجعفر الصادق المبصر الناطق، من كموسى الكاظم الحليم، من كالرضا علي العليم، من كمحمد الجواد، محمد الجواد، من كالعسكريين علي وابنه الحسن، من كمحمد المنتظر آخر الزمن، من كهؤلاء الأئمة، من كهؤلاء في الأمة، من كهؤلاء في كشف كل ملة.

[٣٧٢] من كهؤلاء في كف ما أشاب ظلام كل لمة، هم الكرماء، هم الحلماء، هم العظماء، هم السماء، هم الشموس البدور، هم الغيوث البحور، هم السحب، هم الشهب، هم

الكثب، هم الحياض، هم الرياض، هم الوفاء، هم الصفاء، هم السادة، هم القادة، سلك الدرر الفاخرة، وملوك الدنيا والآخرة، وسأذكر هنا قبل مشاهير آل أبي طالب زادهم الله كرامة أمر الخلفاء الراشدين الأربعة بعد رسول الله ﷺ على نسق ترتيبهم، إذ كانوا هم الخلفاء سكان الأرض بعده، ولم أقطع بهم في آل بيت النبوة ذلك الفلك الدائر.



[الخلفاء الراشدون]

فأولهم وأولاهم بالتقديم خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه القديم المقدم أبو بكر رضي الله عنه، وهو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأمه[1]، وفي مرة بن كعب يلتقي بالنسب الشريف، وهو صاحبه الأول وصديقه الذي عليه المعول، وصديقه الذي صدقه ولم يتأول، أول الأخيار، وثاني اثنين إذ هما في الغار، أجابه حيث دعاه ودعا إليه، وقام بنصره ووازره[2]، وهاجر معه وهاجر فيه، وبذل له ودونه نفسه وماله، ثم كان له من رسول الله ﷺ المكانة الرفيعة والمحل الأقرب، وقال: كل خوخة تسد إلّا خوخة أبي بكر، وغير هذا مما لا يكذب من الحديث الصحيح، ولا ينكر من معروف الحق، وله الرتبة العليا وفضل السابقة الأولى، والمزية المميزة في الآخرة والدنيا، وهو أول من أسلم من الرجال، وصبر في السراء والضراء وحين البأس، وهو الذي أمر بالصلاة بالناس إذ ثقل رسول الله ﷺ في حال مرضه، وكان أسكن أصحابه روعاً عند صدمة موته، ثم كان هو الخليفة المجمع عليه بعده، بويع [٣٧٣] يوم السقيفة، سقيفة بني ساعدة حيث همت الأنصار بما وقى الله أمره وكفى شره، وأبى أن يكون الأمر إلّا في قريش كما قال ﷺ. وأول من بايعه عمر بن الخطاب، ثم أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهما، ثم سائر الناس، وتأخر علي كرّم الله وجهه في أناس حتى ماتت فاطمة عليها السلام ثم بايعه.

ولما استخلف جهز بعث أسامة بن زيد، واستأذنه في تأخير عمر بالمدينة عنده فسأله وزيد الراية، وكان هو وأبو بكر في بعث زيد. ثم قام في قتال أهل الردة حين قعد الناس، وأمر بجمع القرآن حين استحر القتل بالقراء نوبة اليمامة، وكان جمعه القرآن برأي عمر، ثم جهز الجيوش قبل الشام. وكانت أيامه فاتحة الفتوح، وفتوحاته لما بعدها الباب المفتوح. وتوفي رضي الله عنه براً نقياً زكياً صالحاً مصلحاً، ينفض سم الأفاعي المشاورة له في الغار حيث كان رسول الله ﷺ

---

(١) كذا في الأصول دون ذكر اسم أمه، واسمها: أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. انظر عن نسبه ونسب أمه: الزبيري، نسب قريش: ٢٧٥، البلاذري، أنساب الأشراف: ١٢٢/٥.

(٢) ب: واوزره.

نائماً ولم يوقظه، ودفن في بيت عائشة ابنته، فنام ضجيعاً لصاحبه سيدنا رسول الله ﷺ محمد، ووسد عن يمينه وطوبى له ونعم الموسد.

وثانيهم عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب، وأمه حنتمة، وفي كعب بن لؤي يلتقي بالنسب الشريف، عز به الدين القيم، وعبد الله جهراً حين أسلم، وكان في الله شديداً لم يلن، وعزيزاً لم يهن، وكان ثاني أبي بكر في اتخاذ الصحبة، وتالي موضعه في قرب المكانة. ولقد كان شديداً برأي يراه، وأمر يشير به، وقد رأى أموراً أنزل الله بها القرآن والأحاديث في شأنه، وذكر فضله ومكانه كثيرة، وقد ذكرت كثيراً في كتاب فواضل السمر(١).

وولي بعهد من [٣٧٤] أبي بكر وهو أول الخلفاء سمي بأمير المؤمنين، مصر الأمصار ودون الدواوين، وأشالت في أيامه الفتوحات وكثرت المغانم، وطال ذيل الفيئ، فعدل في القضية وقسم بالسوية، وعظمت به المهابة، وخفقت على ملك كسرى وقيصر ذوائب هذه العصابة، وطالت أيامه، وطارت إلى الشرق والغرب أعلامه، ولم تحل له راية عقدها، ولا ردت جنود بعثها، بعيش مخشوشن، وفعل مرضي حسن، وقوة في الله أشد ما كانت منه على الأهل والولد، ثم أكرمه الله بالشهادة على يد العلج، قتله أبو لؤلؤة، ودفن عند صاحبيه بعد استئذان عائشة رضي الله عنها حياً وميتاً، وألحق بصديق صديق ما كان عنه مفوتا.

وثالثهم عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف بن قصي، أبو عمرو وأبو عبد، وأمه أروى بنت كريز، ذو الكنيتين، والصهر في الاثنتين، المستحية منه ملائكة السماء، والمبعوث يوم الحديبية لعزته في البطحاء، المعقود بسببه بيعة الرضوان، والممدودة عنه يسار رسول الله ﷺ حيث قال: هذي يساري عن عثمان، ويساري خير من يمين عثمان، مجهز جيش العسرة، وواقف بئر رومة، والمبشر بالجنة على بلوى تصيبه، والجامع أهل الأمصار على القرآن، ومجهز المصاحف إلى الآفاق، بويع بالشورى التي أوصى بها عمر في الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضي، شهيد الدار، والقائل لعبيده من أغمد سيفه فهو حر، وكتب إلى علي رضي الله عنه وقد اشتد عليه الأمر، وضاق عليه الحضر. أما بعد فقد وصل السيل الزُبى وبلغ الحزام الطبيين:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل   وإلا فأدركني ولما أمزق

[٣٧٥] فبعث إليه علي بولده، وكان حوله عبد الله بن عمر ذاباً عنه، وأولاد الصحابة معه،

---

(١) إشارة إلى كتابه فواضل السمر المختص بأنساب وأخبار آل عمر بن الخطاب، وهو في عداد المفقودين الآن.

ودافعوا فلم يغن الدفاع، ورادوا حتى حطمهم السيل، هُجم عليه وهو يقرأ في المصحف، فأحنت عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة، وقد أهوى إليه السيف فأبان بنانها، وجذع ذبابة أنفها، ثم قتل بيد بعض أبناء الأنصار، ودفن في حش كوكب ببقيع الغرقد، فقد ومثله من يفقد، ثم كان قتله باب كل بلاء فتح به، وحرب لقحت بعد حال لأجله، أتحفه الله برضوانه وأحله في فسيح جنانه.

ورابعهم **علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب** بن هاشم بن عبدمناف، أبو الحسن، وأمه فاطمة بنت أسد الهاشمية. وفي عبد المطلب يلتقي بالنسب الشريف، نسب لعمرك قريب، وحسب لا يمر به مريب، وسيب ما انقطع ولا ينقطع، ورتب سامقة ما اجتمعت لغيره، ولا يجتمع الصهر زوج البتول، والفادي بنفسه للرسول، نام على فراشه حيث هاجر، ونال من لم ينله بقية من صاهر، ولي بالمبايعة وهي حقه، وحوزه ومستحقه، له تالدها وطارفها، وماضيها وآنفها، عجباً لقصر باع طاوله، عجباً لضعيف ساعد حاوله، عجباً لسرحان راود ليثه الهصور، عجباً لثعلب راوغ صقره النزور، لقد نعب الطلقاء أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، كأنهم هم أصحاب الفتح أو أهل بدر، بل هم والله من أبقاهم المن، وقدرهم السيف، أين الآخر من الأول، وأين من تطاول ممن تطول، أنى يقاس ابن أبي طالب بابن أبي سفيان، وابن أبي قائد الكفر من ابن عم قائد الإيمان، وأين من كان يعبد الصنم ممن لم يعبد إلا الرحمن، ربيب النبي عليه الصلاة والسلام، وأول سابق إلى الإسلام، خصه رسول الله [٣٧٦] بإخائه وأشبهه حيث قلد البدن في سخائه. وقد جاء: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وكان عمر يعرض عليه الحكم فأفتاه حيث شك. فقال: لولا علي لهلك عمر، وبلى بالتواء الناس عليه، وتقاعد أهل العراق عنه ونهوض أهل الشام إليه إلى أن انتقل على يد ابن ملجم لعنه الله إلى جوار ربه، يسبق صحبه، ومنه عقود الحسب، وعليه عمود النسب، وهناك أشرح ما أشرح به صدري وكل صدر، وافتح باباً يعرف داخله إلى أين ينتهي كل قدر، ثم بأيام مكث ابنه الحسن بن علي عليهما السلام في الخلافة، تمت المدة لتمام ثلاثين سنة أمراً حقاً لا مفروضاً، وقولاً صدقاً لا منقوضاً، وحديثاً جاء الخلافة بعدي ثلاثين سنة حقاً، ثم يكون ملكاً عضوضاً.

[أنساب الهاشميين]

وحيث انتهى بنا هنا المعاج. فنقول «**مشاهير ولد أبي طالب**: عقيل وجعفر وعلي رضي الله عنهم. ولنسل كل منهم فريق، ونسب عريق، ولعلي عليهم التقديم، ومنه مخرج النسب الصميم، وقد ولد منه الإمامان أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين، وأمهما سيدة نساء العالمين البتول الطاهرة والبضعة الزاهرة أم الحسن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ومحمد بن

الحنفية وعمر الأطرف والعباس السقاء، وعلى كل واحد من السيدين السبطين الطاهرين الحسنين لهذا البيت الشريف عمود نسب، وعقود حسب، ولهما على بني أبيهما شرف الأموية بالبضعة الشريفة، ولهما من المناقب مالا يسعه هذا الكتاب، ولا هذا موضع الإطناب، والله يرزق من يشاء بغير حساب.

وحدثني شيخنا حجة الأدباء شهاب الدين [٣٧٧] أبو الثناء محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الكاتب رحمه الله تعالى قال: كان شيخنا شيخ الإسلام شمس الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر المقدسي الحلبي يقول: لعن الله الرافضة ما خلونا نتهنا بحب آل بيت نبينا ـ يعني لتشنيع الناس على من أظهر محبتهم بالرفض. قال: ثم أنشدنا لنفسه:

إن شئت أن تمدح تحبهم لا لعلة ... فاحفظ بمدحك قوماً هم البدور الأهلة

حديثهم عن أبيهم عن جبريل عن الله

قلت: وكان الشيخ أبا الفرج ينظر في قوله لعن الله الرافضة إلى قول الإمام الحجة أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله:

يا راكباً قف بالمحصّب من منى ... ما بين قاطن خيفها والناهض

قم ثم ناد بأنني لمحمد ... وأخيه والسبطين لست بباغض

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

ولقد أصاب أهل هذا البيت الضيم أولاً وآخراً، ورموا من بني أبيهم بأعظم مما رموا به من بوائق الأعداء، فلقد قعد لهم خلفاء بني العباس بكل مرصد، ومزقوا أشلاءهم تارة بالاغتيال وتارة باليد وإلى هذا أشار ابن الرومي بقوله:

ألا أيها الأقوام طال ضريركم ... بآل نبي الله فاخشوا أو ارتجوا

أفي كل يوم للنبي محمد ... قتيل زكي بالدماء يضرج

بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكم ... لبلواكمُ عما قليل مفرج

أبعد المسمى بالحسين شهيدكم ... تضيء مصابيح السماء فتسرج

فليس البكاء أن تسفح العين إنما ... أحر البكا بين البكا المولج

أكلكم أمسى اطمأن وساده ... بأن رسول الله في القبر مزعج

لعل لهم في منطوي الغيب ثائراً ... سيسمو لكم والصبح في الليل مولج [٣٧٨]

فيدرك ثأر الله أنصار دينه ... ولله أوس آخرون وخزرج

أفي العدل أن يمسوا خماصاً وأنتم ... يكاد أخوكم بطنه يتبعج

أبـى الله إلا أن يـطـيـبـوا وتـخـبـثـوا　　وأن يسبقوا بـالـصـالـحـات وتـفـلـجـوا
وإن كـنـتـم مـنـهـم وكـان أبـوكـم　　أبـاهـم فـإن الـصـفـو بـالـرنـق يـمـزج

ومن هذا النوع قول أبي فراس بن حمدان، وقد عرض بذكر بني أمية مع بني العباس في قصيدة أولها:

الـديـن مـخـتـرم والـحـق مـهـتـضـم　　وفـيء آل رسـول الله مـقـتـسـم
والـنـاس عـنـدك لا نـاس فـتـعـرفـهـم　　سـوى الـرعـاء ولا شـاء ولا نـعـم
إنـي أبـيـت قـلـيـل الـنـوم أرقـنـي　　قـلـب تـكـاثـف فـيـه الـهـم والـهِـمَـمُ

منها:

يـصـان مـهـري لأمـر لا أبـوح بـه　　والـدرع والـرمـح والـصـمـصـامـة الـخـذم
وفـتـيـة قـلـبـهـم قـلـب إذا ركـبـوا　　يـومـاً ورأيـهـم رأي إذا عـزمـوا

منها:

يـا لـلـرجـال أمـا لـلـديـن مـنـتـصـر　　مـن الـطـغـاة أمـا لـلـذيـن مـنـتـقـم
بـنـو عـلـي رعـايـا فـي بـيـوتـهـم　　والأمـر تـمـلـكـه الـنـسـوان والـخـدم
مُـجـلـلـيـن فـأصـغـى وردهـم وشـل　　عـنـد الـورود ووافـى ودهـم لـمـم
والأرض إلّا عـلـى مُـلاكـهـا سـعـة　　والـمـال إلّا عـلـى أربـابـه ديـم

ومنها:

لا يـطـغـيـن بـنـو الـعـبـاس مـلـكـهـم　　بـنـو عـلـي مـوالـيـهـم وإن زعـمـوا
أتـفـخـرون عـلـيـهـم لا أبـاً لـكـم　　حـتـى كـأن رسـول الله جـدكـم
ولا لـجـدكـم مـسـعـاة جـدهـم　　ولا نـفـيـلـتـكـم مـن أمـهـم أمـم

ومنها:

هـلّا كـفـفـتـم عـن الـديـبـاج ألـسـنـكـم　　وعـن بـنـات رسـول الله شـتـمـكـم

ومنها:

مـنـكـم عـلـي أم مـنـهـم وهـل لـهـم　　غـنـى ابـن شـكـلـة إبـراهـيـم أم لـكـم
تـنـشـي الـتـلاوة مـن أبـنـائـهـم أبـداً　　وفـي بـيـوتـكـم الأوتـار والـنـغـم
إذا تـلـوا سـورة غـنـى إمـامـكـم　　قـف بـالـديـار الـتـي لـم يـعـفـهـا الـقـدم

ما في بيوتهم للخمر معتصر كلا وليس لهم فرد له حشم [٣٧٩]
الركن والبيت والأستار منزلهم وزمزم والصفا والحجر والحرم
حتى إذا أصبحت في غير صباحها باتت تنازعها الدوبان والرخم

ومنه قول بعضهم:

حبّ اليهود لآل موسى ظاهر وولاهم لبني أخيه باد
وكذا النصارى يعبدون تقرباً لمسيحهم عوداً من الأعواد
وإذا توالى آل أحمد مسلم قتلوه ونسبوه للإلحاد

ومن هذا النوع قول الشريف الرضي(١):

رمونا كما يرمى الظماء عن الرَّوا يذودوننا عن إرث جد ووالد
لئن رقد النُّصار عما أصابنا فما الله عما نيل منا براقد
لقد علقوها بالنبي خصومة إلى الله تغني عن يمين وشاهد
إلا ليس فعل الآخرين وإن علا على قبح فعل الأولين بزائد

ولقد صدق حيث يقول:

أنا ابن الأناجب من هاشم إذا لم يكن نُجُبٌ من نُجُبْ
ثلاث برود هم بالرماح وتلوى عمائمهم بالشهب

وتطارف ابن بصاقة حيث قال:

ومالي شفيع غير آل محمد وحبي لهم وهو الشفيع المشفع
فحبهم فرض على كل مسلم وحب سواهم سنة وتطوع

ومما قلته فيهم:

آل بيت النبي فيكم عظات ما ودعتها إذن ولا لحظات
كل يوم لكم يطل قبيل لا يؤدى لقاتليه ديات
وتروى من الدماء سيوف ما بها غلة وتجري قنات
وبكم للنبي كل أوان شلو حسم ممزق وشتات [٣٨٠]
كل أرض بها قبور لقتلى منكم أو الخائن منجاة

---

(١) ديوان الشريف الرضي: ٣٤١/١.

لا يضركم فوات دنيا فقد تم فمن الأخرى يسترد الفوات
قاتل الله من تعمد منكم مهجاً لا تبلها العبرات
وهم منكم أبوهم أبوكم هاشم غير أنكم أشتات
كلكم دوحة النبي ولكن منكم أخرجت له الثمرات
أخذوا إرث جدكم من يديكم ادعوه هذا هو الأفتيات
آل بيت النبي أنتم شموس زاهرات وأبحر زاخرات
عمدة المسلم الصلاة وليست بسوى ذكركم تصح الصلاة
ما عسى أن أقوله في علاكم وعليكم تنزل الآيات

وحدثني شيخنا حجة الأدباء أبو الثناء محمود بن سلمان الحلبي الكاتب قال: حكى قاضي القضاة محي الدين أبو المفضل يحيى بن محمد الأموي قال: كنت أجد في نفسي لتحامل بني أمية على آل البيت، وكنت أحدث نفسي أنني لو كنت ذلك الزمان لقمت بنصر آل البيت، وقلت في هذا شعراً منه:

ولو شهدت صفين خيلي لأعذرت وساء بني حرب هنالك مشهدي
أتحرزها أبناء حرب وعبشم وتحرمنها آل النبي محمد

قال: فنمت تلك الليلة، فرأيت علياً عليه السلام في الرواق الثاني من جامع دمشق، مسنداً ظهره إلى اسطوانة وقد أتى الناس للتسليم عليه، فجئت فيهم، فلما دنوت منه ضمني إليه، فاعتنقني، وقال: أهلاً بك كيف قلت؟ فقلت: ما الذي قلت يا أمير المؤمنين، فقال: ولو شهدت صفين خيلي، ففطنت. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ثم أنشدته الشعر فضمني وقبل رأسي، وقال: جزيت خيراً.

وحكي أن رجلاً كان يسكن إلى جانبه رجل شريف وكان مسرفاً على نفسه، فكان[٣٨١] يكره ذلك الرجل مجاورته لما هو عليه، فخرج يوماً فرآه الشريف فسلم عليه فأعرض عنه فلما نام الرجل تلك الليلة رأى فاطمة عليها السلام في نومه، فجاء يسلم عليها. فأعرضت عنه، فقال لها: يا بنت رسول الله ما ذنبي؟ فقالت: سوء فعلك مع ابني. فقال: يا بنت رسول الله، وما ترين ما يفعل؟ فقالت له: أوما كنت تحمله لأجلي. فلما أصبح بكّر إلى الشريف، فلما رآه الشريف ضحك وقال: جاءتك في النوم. فقال: نعم يا سيدي؟ فقال له الشريف: وجاءتني أيضاً، وقد تركت ما كنت تكره. قال: ثم حسنت توبته.

ومما ذكره الشيخ سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان[1] عن [أسماء بنت] عميس قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب، فلم يصلى العصر حتى غربت الشمس، فقال: يا علي أصليت العصر؟ فقال: لا يا رسول الله. قال رسول الله: اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فلقد رأيتها غربت ثم طلعت بعدما غربت، قال سبط ابن الجوزي: وقد طعن في صحة هذا الحديث جدي رحمه الله، فإنه ذكره في الموضوعات. قال جدي: فإن صلاة العصر صارت قضاء بغيبوبة الشمس، فرجوع الشمس لا يجعلها أداء. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: لم تحبس الشمس على أحد إلَّا على يوشع بن نون. هذا صورة كلام جدي. قال: وكان صالح بن أحمد أو أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه من علامات نبوة نبينا محمد ﷺ ومعجزاته. وقوله ﷺ: لم تحبس الشمس على أحد إلَّا على يوشع بن نون، فمعناه من بني إسرائيل، لأن هذه الأمة أفضل من بني إسرائيل ثم لا يخلو حبسها على يوشع إما أن يكون معجزة لموسى أو ليوشع، فإن كان لموسى [٣٨٢] فنبينا أفضل منه، وإن كان ليوشع فلا خلاف أن علياً أفضل من يوشع، إلَّا إن ثبت أن يوشع كان نبياً. قال ﷺ: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فإن قيل فحبسها ورجوعها مشكل، لأنها لو حبست أوردت لاختلف الأفلاك ولفسد النظام، قلنا: حبسها وردها من المعجزات أو الكرامات، ولا مجال للقياس في خرق العادات. قلت: وقول هذا القائل أن علياً أفضل من يوشع بمجرد استنباطه من قول النبي ﷺ: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، لا يقوم عليه من هذا حجة بالأفضلية، وأما المساواة فيحتمل للتشبيه وليس سوى ذلك. وأما حديث أسماء بنت عميس، فإن كان من الموضوعات كما قال ابن الجوزي فقد كفينا مؤنة توجيهه، وإن كان غير موضوع فتوجيهه أن الشمس كانت مستترة بغيم أو غيره استتاراً ملبساً أو وهم أن الشمس غربت ولم تكن غربت، فلما زال ما كانت مستترة به ظهرت. عدنا إلى بقية ما ذكره. قال ابن الجوزي عقيب ما ذكره: وفي الباب حكاية عجيبة جرت ببغداد ننقلها ممن مشايخنا خلف عن سلف حكاها جماعة قالوا: جلس أبو منصور المظفر بن اردشير العبادي الواعظ بالناحية يدرس بباب أبرز بعد العصر، وذكر حديث ردت الشمس ثم شرع بعده في فضائل أهل البيت، فذكر منها بعضها ولم يتمم، فنشأت سحابة عظيمة فغطت الشمس، فظن الناس أنها قد غربت، فأرادوا أن يتفرقوا، فأشار إليهم أبو منصور أن لا تتحركوا وأثبتوا وأدار وجهه إلى ناحية المغرب وارتجل في الحال:

(١) هذا القسم من مرآة الزمان للسبط ما زال مخطوطاً ولم يطبع بعد.

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك إن أردت ثناءهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجله [٣٨٣]
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لولده ولنسله

قال: فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحلى والثياب، وهذا أوان ذكرهم ولا نذكر إلا الذكور.

[أنساب العلويين]

فنقول: ولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثمانية أولاد ذكور وهم:

الحسن

ولد سنة ثلاث من الهجرة، وعق عنه رسول الله ﷺ وسماه حسناً، وكان علي قد سماه حرباً، وكان نقش خاتمه: العزة لله. وكان كثير التزويج والطلاق، فصار من رغب فيه لشرفه رغب عنه لملله. قال له مرة أبوه: يا بني أراك تكثر حب النساء، وإني أخاف عليك منهن، فأكثر ما يأتي الإنسان ما يكره من قبل ما يحب، وكان هكذا يقال أنه دست عليه امرأته جعدة بنت الأشعث فسقته، ويقال أن معاوية جعل لها مائة ألف درهم وتزويجها بيزيد، فوفى لها المال. وقال لها: أما يزيد فإني أظن به[١].

ونظر الحسن ليلة إلى النجوم فحمد وسبح ثم قال: اللهم بما أظهرته من قدرتك فيها لا تحوجني إلى أحد من خلقك، فسمعه أبوه؟ فقال: يا بني لا تسل شيئاً لم تنله الأنبياء. ولكن قل: اللهم لين لي قلوب عبادك.

وقال له يوماً: قم فاخطب لأسمع كلامك. فقام وقال: الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده، أما بعد. فإن القبور مجلسنا والقيامة موعدنا والله عارضنا. وإن علياً باب من دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً. فقام إليه علي فالتزمه وقال: يا بني بأبي أنت وأمي ذرية بعضها من بعض[٢].

وخطب يوماً فقال: إن الله لم يبعث نبياً إلا اختاره نفساً ورهطاً وبيتاً، والذي بعث محمداً

---

(١) الذهبي، سير: ٢٧٥/٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ٣٦٧/٦.

بالحق لا يتنقص إمروء من حقنا شيئاً إلا نقصه الله من عمله، ولا يلوين [٣٨٤] علينا دولة إلا كانت لنا عاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

وقال النبي ﷺ: إن ابني هذا سيد وعسى الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين(١).

وقال: اللهم إني أحبه وأحب من يحبه(٢).

وسئل ماذا سمعت من رسول الله ﷺ قال: سمعته يقول لرجل: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الشر ريبة، وإن الخير طمأنينة(٣).

وعقلت عنه أني بينا أنا أمشي معه إلى جنب حرين الصدقة، فتناولت ثمرة فألقيتها في فمي، فأدخل إصبعه فاستخرجها بلعابها فألقاها وقال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة(٤).

وعقلت عنه الصلوات الخمس وعلمني كلمات أقولهن عند انقضائهن: اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، أنه لا يزل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت وتعاليت(٥).

وعن عمير بن إسحاق قال: ما تكلم أحد كان أحب إلي أن لا يسكت من الحسن ابن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة كان بين الحسين بن علي وعمرو بن عثمان خصومة في أرض، فعرض الحسين أمراً لم يرضه عمرو، فقال له الحسن: ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه. قال: فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه(٦).

وجاءه رجل قال له: إن معاوية قال: إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه قومه، وإن لم يكن المخزومي تياهاً لم يشبه قومه، وإن لم يكن الزبيري شجاعاً لم يشبه قومه، وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه قومه. قال الحسن: ما أحسن ما نظر لقومه، أراد أن تجود بني هاشم فتفتقر، وتزهى بنو مخزوم فتبغض، وتحارب بنو الزبير فتتفانى، وتحلم بنو أمية فتحب.

---

(١) الذهبي، سير: ٢٥١/٣ وفيه استقصاء تخريج الحديث وهو حديث صحيح.

(٢) الذهبي، سير: ٢٥٠/٣ وقال عنه الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٣) الذهبي، سير: ٢٤٦/٣.

(٤) الذهبي، سير: ٢٤٦/٣.

(٥) الذهبي، سير: ٢٤٦/٣ – ٢٤٧ وقال عنه الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٦) ابن سعد، الطبقات: ٣٦٨/٦.

وقال له رجل: إن فلاناً [٣٨٥] يقع فيك، فقال: ألقيتني في تعب أريد الآن أن أستغفر الله لي وله.

وكان الحسن يصبغ وخرج يوماً على أصحابه وهو مختضب ثم قال:

نسوّد أعلاها وتأبى أصولها ... فليت الذي يسود منها هو الأصل

ودخل الحسن على معاوية فجرى بينه وبين مروان بن الحكم كلام ظهر فيه الحسن، ثم خرج وهو يقول:

ومارست هذا الدهر خمسين حجة ... وخمساً أرجى قائلاً بعد قائل

فلا أنا في الدنيا بلغت جميعها ... ولا في الذي أهوى ظفرت بطائل

وقد أسرعت فيَّ المنايا أكفها ... وأيقنت أني رهن موت معاجل

وحج الحسن عليه السلام خمس عشرة حجة ماشياً والجنائب تقاد بين يديه، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرات، حتى إن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفاً ويمسك خفاً.

وكان الحسن بن علي عليه السلام الخليفة بعد أبيه، والإمام الحق بلا تمويه، وبتمام أيامه تمت ثلاثون سنة حقاً، ثم تكون ملكاً عضوضاً. ولما اصطلح الحسن بن علي ومعاوية رضي الله عنهم صعد الحسن المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله هدى أولكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وقد كانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية، وأني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره لذي حق أديت إليه حقه أحق به مني، أو حق جدت به لصلاح أمة محمد ﷺ، فإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أو لشر يعلمه فيك، وإن أدرى لعله فتنة لكم أو متاع إلى حين. وأشار بيده إلى معاوية[1].

وقال رجل للحسن بن علي عليها السلام [٣٨٦]: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله ثم أثيرها بانياس من الحجاز ـ تصغير أناس ـ[2].

وتوفي الحسن سنة تسع وأربعين، وهو ابن ست وأربعين سنة، أصابه بطن، وقيل: بل دس عليه سم مات به[3].

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٣٨٣/٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ٣٨٠/٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ٣٩٩/٦.

وقال ابن عبدون:

وافى ابن هند وفي ابن الله المصطفى حسن   أتت بمعضلة الألباب والفكر

فبعضنا قائل ما اغتاله أحد   وبعضنا ساكن لم يؤت من حصر

ولما مات أذنت عائشة رضي الله عنها بدفنه في الحجرة مع رسول الله ﷺ وصاحبيه، ولم يعرض لمنعه سعيد بن العاص، وكان والياً على المدينة، فقام مروان دونه واستلئم بنو هاشم وبنو أمية للقتال، فأتى عبد الله بن جعفر، فأخذ بمقدم السرير، فقال له الحسين عليه السلام: ما تريد؟ فقال: عزمت عليك بحقي لا تكلمني بكلمة واحدة، فمضى إلى البقيع فدفنه هناك، وبلغ معاوية ما كانوا أرادوا في دفن الحسن، فقال: ما أنصفتنا بنو هاشم حين تزعم أنهم يدفنون حسناً مع رسول الله ﷺ وقد منعوا عثمان أن يدفن إلَّا في أقصى البقيع، إن كان ظني بمروان صادقاً لا يخلصوا إلى ذلك وجعل يقول: ويها مروان أنت لها[1].

والحسين

وبين الحمل به ومولد أخيه طهر واحد، ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، وعق عنه رسول الله ﷺ كما عق عن أخيه.

ومن حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: اللهم إني أحبه فأحبه.

وروى الحسين عنه ﷺ: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[2].

وذكر ابن بكار عن الحسين عن رسول الله ﷺ: إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره......[3] [٣٨٦].

ولما عهد معاوية إلى يزيد، وأمر بأخذ البيعة له امتنع، وكان الذين امتنعوا ثلاثة عبد الله بن عمر والحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، ولما أراد الخروج إلى العراق، أتى في طريقه عبد الله بن عمر، فقال له: أين تريد يا أبا عبد الله؟ قال: إلى العراق. قال: عزمت عليك ألا تفعل، قال: جاءني منهم وقر بعير كتبا، فقال: لا تفعل، فقد كان أبوك أعز عليهم منك وقد أسلموه. فأبى إلا أن يريد العراق. فقال: أما إذا خالفتني فاستودعك الله من قتيل[4].

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٣٨٨/٦ ـ ٣٨٩.

(٢) أحمد، المسند: ٢٥٩/٣ حديث رقم (١٧٣٧).

(٣) فراغ في الأصول.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ٤٢٢/٦.

وعن محمد بن الحسن قال: لما نزل عمر بن سعد بحسين وأيقن أنهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد نزل ما ترون من الأمر، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت حتى لم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء إلّا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، لرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً. فقتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بالطف بكربلاء، وعليه جبة خز دكناء، وهو صابغ بالسواد، وهو ابن ست وخمسين سنة. وقتل في أيام يزيد بن معاوية لخروجه عليه في جيش جهزه لقتاله ابن زياد، وكان أمير الجيش عمر بن سعد بن أبي وقاص، قتله شمر بن أبي جوشن، وكان أبرص وبه فسرت رؤيا رسول الله ﷺ إذ قال: رأيت كأن كلباً أبقع يلغ في دمي، وشرك في قتله جد القاضي شريك وهو أنس بن سنان النخعي، وأجهز عليه خولي بن سنان الأصبحي وهو الذي حز رأسه وأتى به ابن زياد وهو يقول[1]:

أوقــر ركــابــي فــضــة وذهــبــاً ... أنا قتلت الملك المحجبا [٣٨٨]
قــتــلــت خــيــر الــنــاس أمــاً وأبــاً ... وخــيــرهــم إذ يــنــســبــون نــســبــاً

فبعث ابن زياد بالرأس إلى يزيد.

وعن أم سلمة قالت: كان عندي النبي ﷺ ومعه الحسين. فقال له جبريل: أتحبه؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي تقتله، فبسط جناحه وأتى بتلك التربة، فبكى النبي ﷺ، ثم كان التراب عند أم سلمة في قارورة عندها، وكانت تريه الناس[2].

وعن ابن عباس قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذه؟ فقال: هذا دم الحسين لم أزل منذ اليوم التقطه، فوجدته قد قتل في ذلك اليوم[3].

وقد أحسن أبو الحسين الجزار حيث قال:

ويــجــيء عــاشــوراء يــذكــرنــي ... رزء الــحــســيــن أواخــر الأبــد
يــا لــيــت عــيــنــاً فــيــه قــد كــحــلــت ... لــمــســرة لــم تــخــل مــن رمــد
أولــيــت كــفــاً فــيــه قــد خــضــبــت ... مــن زنــدهــا مــقــطــوعــة بــيــد

(١) ابن سعد، الطبقات: ٤٤١/٦.
(٢) ابن سعد، الطبقات: ٤١٧/٦ ـ ٤١٨.
(٣) ابن سعد، الطبقات: ٤١٩/٦.

أمـا وقـد قـتـل الـحـسـيـن بـه		فـأبـوا الـحـسـيـن أحق بـالـكـمـد

وعلى قول الخوازي الحنفي حيث يرثي سيف الدين علي بن قزل المشد مسحة من هذا وهو:

عـاشـوراء يـوم قـد تـعـاظـم ذنـبـه		أدخـل فـيـه كـل خـطـب مـشـكـل
لـم يـكـفـه قـتـل الـحـسـيـن ومـا جـرى		حـتـى تـعـدى بـالـمـصـاب عـلى عـلـي

وكان المشد قد مات يوم عاشوراء.

عدنا إلى تمام الكلام، وقال الزبير بن بكار(١): فقدم رأسه وبنو أمية مجتمعون عند عمرو بن سعيد فسمعوا الصياح، فقالوا: ما هذا؟ قيل: بني هاشم، فأنشد مروان:

عـجـت نـسـاء بـنـي زيـاد عـجـة		كـعـجـة نـسـوتـنـا غـداة الأرنـب [٣٨٩]

ثم أتي يزيد بن معاوية بالرأس، فبكى يزيد وقال: قبح الله ابن مرجانة لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله، ثم التفت إلى العراقيين وقال: يا أهل العراق، لقد كنت أقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين، ثم أقبل على الرأس. وقال: والله لو كنت صاحبك لما قتلتك، ثم نكت ثنيته الكريمة بقضيب معه، ثم أنشد:

نـفـلـق هـامـاً مـن رجـال أعـزة		عـلـيـنـا وهـم كـانـوا أعـق وأظـلـمـا

فقال له علي بن الحسين: ليس هكذا، فقال: وكيف يا ابن أم، قال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾(٢).

وفي مقتله يقول سليمان بن قتة(٣):

وإن قـتـيـل الـطـف مـن آل هـاشـم		أذل رقـابـاً مـن قـريـش فـذلـت
فـإن يـتـبـعـوه عـائـذ الـبـيـت تـصـبـحـوا		كـعـاد تـعـمـت عـن هـداهـا فـضـلـت
مـررت عـلـى أبـيـات آل مـحـمـد		فـلـم أرهـا أمـثـالـهـا حـيـث حـلـت
وكـانـوا لـنـا غـنـمـاً فـأضـحـوا رزيـة		ألا عـظـمـت تـلـك الـرزايـا وجـلـت

(١) ينقل العمري هنا عن كتاب الزبير بن بكار، جمهرة أنساب قريش وأخبارها، والكتاب مفقود ما عدا قطعة منه في نسب بني أسد القرشيين، لهذا فإن المعلومات التي يقدمها نقلاً عنه في غاية الأهمية كونه حفظ لنا مادته.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ٤٥٦/٦.

فــلا يــبــعــد الله الــديــار وأهــلــهــا | وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
إذا افـتـقـرت قيس جبرنا فقيرها | وتـقـتـلـنـا قـيـس إذا الـنـعـل زلـت
وعــنــد غــنــي قــطــرة مــن دمــائــنــا | ســنـجـزيـهـم بـهـا حـيـث حـلـت
ألــم تــر أن الأرض أضـحـت مـريـضـة | لـفـقـد حـسـيـن والـبـلاد اقـشـعـرت

ومحمد بن علي

وهو ابن الحنفية، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس وكان فارس هيجاً، وسيل سحاب، وفلقة قمر، وغرة نجم، وكان حامل لواء أبيه يوم صفين، وكان يقدمه في كل حرب[1]، وقيل له: لما تقدم محمد ولا تقدم حسناً وحسيناً؟ قال: محمد يدي، وحسن وحسين عيناي، فأنا أقي بيدي عيناي. وأمه من سبي اليمامة، ولأهل السنة حجة ظاهرة على الشيعة بكون علي أولدها وهي من سبي أبي بكر إذ لو لم تصح خلافته [٣٩٠] لما صح سبيه، وجواب الشيعة إنه إنما نكحها بعقد النكاح لا بملك اليمين، والأول هو الثابت حتى يقوم دليل، وكان ابن الزبير قد سجنه بسجن عارم بمكة ليتابعه وهمّ بإحراق من معه من بني هاشم، وجمع لهم الحطب، فعاجله المختار وبعث إليهم خيلاً ورجالاً خلصتهم، فخرجوا إلى مأمنهم.

وذكر ابن الأثير[2]: إنه لما اجتمع الناس على عبدالملك خرج إلى الشام فبايعه، وأما الصحيح فهو أن المختار كان يقاتل له ويدعو إليه يقول: هو المهدي، ثم خاف المختار اشتداده، فقال: معي أثر أن المهدي يضرب بالسيف فلا يؤثر فيه وسأختبر. وكان ابن الحنفية قد ضرب إليه وجهه ليأتيه فصرفه عنه، وأتى رضوى فأقام به ورضوى بأطراف الشام مما يداني الكوفة وشيعته هم الكيسانية، وتزعم أنه لم يمت، وأنه مقيم بشعب رضوى عنده عسل وماء، وفيه يقول كثير:

ألا إن الأئــمــة مــن قــريــش | ولاة الــحــق أربــعــة ســواء
عــلــيٌّ والــثــلاثــة مــن بــنــيــه | هــم الأســبــاط لــيــس بــهــم خــفــاء
فــســبــط ســبــطُ أيــمــان وبــر | وســبــطٌ غــيــبــتــه كــربــلاء
تــغــيــب لا يــرى فــيــهــم زمــانــا | بــرضــوى عــنــده عــســل ومــاء

ولما تطاول على زعمهم برضوى مقامه، ولم تأنِ لنظرهم أيامه، قال السيد الحميري:

ألا قــل لــلــوصــي فــدتــك نــفــســي | أطــلــت بــذلــك الــجــبــل الــمــقــامــا

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٩٥/٧.
(٢) ابن الأثير، الكامل: ٢٥٠/٤.

أضر بمعشر والوك منّا | وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً | مقامك عنهم ستين عاماً
وما ذاق ابن خولة طعم موت | ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى | تراجعه الملائكة الكلاما [٣٩١]
وإن له به لمقيل صدق | وأندية تخبره كراما

ومن مشاهير ولده:

أبو هاشم عبد الله بن محمد:

قال ابن حزم[١]: له شيعة تعتقد أمامته بعد أبيه. وجمهور المؤرخين على أن الخلافة صارت إلى بني العباس بوصيته. قالوا: إن سليمان بن عبدالملك دس عليه حين انصرف عنه. وكان قد قدم عليه سماً، فلما أحس به عدل إلى الحميمة وبها محمد بن علي والد الخلائف، فأوصى به[٢].

ثم من مشاهير ولده:

الحسن بن محمد بن الحنفية:

وكان جليل القدر ملحوظاً في بني هاشم، وكان مشغوفاً بالعلم، ولم يخص في طلب الأمر. وقيل له في ذلك. فقال: سفر بعيد وطريق مخوف ورفقة غدارة. وكلاهما لم يعقب[٣].

ثم بقية أخوانهم جعفر وعلي وعون وإبراهيم بنو محمد، ولابن الحنفية عقب يعرفون بالحنفيين[٤].

ومن مشاهيرهم:

علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله رأس الذري بن جعفر بن محمد بن الحنفية وكانت أمه فاطمية. وكان أديباً شاعراً شهماً. وبلغ عضد الدولة أنه ساعٍ في دولة فضرب عنقه صبراً. انتهى ذكر ابن الحنفية.

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٦٦.
(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٦٦.
(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٦٦.
(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٦٦.

وأما أخوه عمر بن علي

وأمه الصهباء واسمها أم حبيب بنت ربيعة التغلبية من سبي خالد، فولد في خلافة عمر بن الخطاب فسماه باسمه[1]، وقدم مع إبان بن عثمان على الوليد بن عبدالملك فعرض عليه الصلة. فقال: ماجئت لهذا، إنما جئت لتوليني صدقة أبي، وكانت مع الحسن بن الحسن، فقال الوليد: أني لا أدخل على أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ غيرهم[2].

قال ابن بكار: وله ولد كثير بينبع.

ومن كنوز المطالب: أن عمر الأطرف من عقبه خلق كثير بالعراقين وطبرستان والحجاز واليمن.

قال: فالمذكور منهم:

ابنه أبو عمر محمد بن عمر وأمه أسماء بنت عقيل بن أبي طالب، وكان[٣٩٢] جليل المكانة، وممن سمته الشيعة للخلافة بخراسان، وهم به هشام فنجاه الله منه، ووفد على خالد بن عبد الله القسري فأجازه بمال جزيل، فقيل له بالمدينة: أرضيت بقبول الجائزة من خالد؟ فقال: ما قبلت معروف قسري إلّا لما رأيت من منكر قريش. وعُمِّر أبو عمر إلى دولة السفاح، وليس لعمر عقب إلّا منه.

ومن ولده عبدالرحمن بن أحمد بن عبد الله بن أبي عمر المذكور، وثار زمان المأمون ببلاد عك من اليمن، فكتب إليه المأمون كتاباً فيه: وقد عجبت منك تطلب الخلافة ولست بفاطمي. فكتب إليه جوابه: أتعجب من ابن وصي يطلب الخلافة ولا تعجب من ابن طليق نالها، يا أخي الدهر كله عجب وأشهره كلها رجب، ثم عدل عن الخطبة لنفسه وخطب للجواد بن علي الرضا، فبعث الجواد يقول له: اتق الله يا ابن عمي في دمي ودمك، فلا تتقرب لي بشيء لا أريده، فأناب ودخل في طاعة المأمون[3]. انتهى ذكر عمر الأطرف بن علي.

وأما أخوه العباس بن علي

وهو العباس الأكبر، وولده يسمونه السقاء، ويكنونه أبا قربة، قالوا: لأنه كان مع الحسين رضي الله عنه نوبة كربلاء، فعطش، فأخذ قربة فملأها وأتاه بها، وأمه أم البنين بنت حزام بن

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ١١٧/٧.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٦٦.

خالد[1]، فله بقية صالحة، وفي عقبه نباهة ما بين ولاية وإمارة وقضاء وغير ذلك. ومنهم بالعراق، ولهم بأرض مصر قرية بجهة فوة تعرف بمنية الشرفاء نسبة إليهم وهم بها في ثروة وعدد.

ومن مشاهيرهم:

أبو الفضل العباس بن الحسن بن عبيد الله بن السقاء. قال ابن الجراح[2]: كان شاعراً فصيحاً، صحب الرشيد والمأمون، وكان له منهما حال جليلة، وولى المأمون أخاه عبيد الله بن الحسن الحجاز واليمن.

وزعم صاحب زهر الآداب: أن العباس كان في طبقة ابن المهدي، وأنشد له [٣٩٣].

أباح لك الهوى بيض حسان ... سبينك بالعيون وبالثغور

نظرت إلى النحور فكدت تقضي ... فكيف إذا نظرت إلى الخصور

قال: وكان المأمون يقول: من أراد أن يستمع لهواً بلا حرج، فليسمع كلام العباس.

قال أبو دلف: دخلت على الرشيد وهو في طارمة على طنفسه، ومعه عليها شيخ جميل المنظر، فقال لي الرشيد: يا قاسم ما خبر أرضك؟ فقلت: خراب يباب خربها الأكراد والأعراب. فقال قائل: هذا آفة الجبل وهو أفسده، فقلت: فأنا أصلحه، قال الرشيد: وكيف ذاك، قلت: أفسدته وأنت عليَّ وأصلحه وأنت معي. فقال الشيخ: إن همته لترمي به من وراء سنه مرمى بعيداً. فسألت عن الشيخ، فقيل العباس بن الحسن.

وسئل العباس عن طيب عشرة جليس له، فقال: أنا لمجالسته أطرب من الإبل على الحداء والثمل على الغناء.

وذم رجلاً فقال: ما الحمى على الإصرار، وطول السقم على الأسفار، وعظم الدين على الأقتار بأشد من لقائه، ولا أعظم إيلاماً من بقائه.

وقال للمأمون: يا أمير المؤمنين إن لساني لينطق بمدحك غائباً، وقد أحببت أن يزيد عندك حاضراً، أفتأذن لي أمير المؤمنين. فقال: قل فوالله إنك لتقول فتحسن، وتحضر فتزين، وتغيب فتؤتمن، فقال له العباس: ما بعد هذا كلام يا أمير المؤمنين، أفتأذن بالسكوت؟ قال: إذا شئت[3].

(١) الزبيري، نسب قريش: ٤٣.

(٢) هو من المفقود من كتاب الورقة لابن الجراح.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢٦/١٢.

وذكر العباس رجلاً بليغاً، فقال: ما شبهت كلامه إلَّا بثعبان ينهال بين رمال، أو ماء يتغلغل بين جبال.

وقال ابن الجراح: كان فصيحاً كأن ألفاظه قوالب معانيه، وقيل له: أنت أشعر بني هاشم. قال: ما أحب أن أكون بالشعر موصوفاً لأنه[٣٩٤] أرفع ما في الوضيع، وأوضع ما في الرفيع.

وعزى رجلاً، فقال: أنني لم أتك شاكاً في عزمك، ولا زائداً في علمك، ولا متهماً لفهمك، ولكنه حق الصديق، وقول الشفيق، فاستبق التأوه بالصبر، وتلق الحادثة بالشكر، يحسن لك الذخر.

وقال إسحاق الموصلي: أتيت العباس مرة فسلمت عليه ثم تأخرت عنه، فقال لي: أدفنا نفسك، فلما استسقياك لفظتها.

وذم رجلاً فقال: الذليل من اعتز به، والخائن من اغتر به، والخائب من أمله، والسقيم من استشفاه.

ولما ركب المأمون لقتل ابن عائشة، فرأى العباس قد ركب بأهله ومواليه في السلاح، فقال له المأمون: سررت بالمخاض طمعاً بالولاة. فقال: معاذ الله أن أكون عليك مع عدو، فقال: ما هذا؟ قال: اتباع أمر الله في قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[1]. فقال: أنت المصدق.

ومن شعره قوله:

صادتك من بيض القصور	بيض نواعم في الخدور[2]
حور تحور إلي ضياءك	بأعين منهن حور
وكأنما بثغور من جني	الرضاب من الثغور
يصبغن تفاح الخدود	بماء رُمان النحور

ومنهم:

حمزة بن الحسين أخوه.

وكان شاعراً مكثراً من شعراء المدينة. ذكره صاحب الكمائم. قال: وأحسن ما وقع إليَّ من شعره قوله:

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

(٢) ب: ناعم في الخدور.

أحـــن إلـــى مـــنـــازلـــكـــم وأدري — أنـــي فـــي مـــنـــازلـــكـــم أمـــوت
وإن أدركـــت يـــومـــاً مـــن رضـــاكـــم — فـــمـــا أســـى عـــلـــى شـــيء يـــفـــوت

ومنهم:

علي الأعرج بن إبراهيم بن الحسن بن عبيد الله بن العباس[٣٩٥] السقاء.

قال ابن الربيب: كانت وفاته بالعراق سنة أربع وستين ومائتين، وكان ذا علم وأدب، ومكانة عند السلطان، فقال له الموفق: انظر في الحركة لأوجهك رسولاً إلى دعي الزنج، فقال له الأعرج: أنشدك الله أن تحقق دعواه، فإنني إن سرت إليه قال الناس: لو لم يتحقق الموفق أنه علوي ما أرسل إليه علوياً، فضحك وقال: ما أجمل العقل يبلغ به صاحبه ما أراد من غير تكليف، وأعفاه من ذلك.

إخوتهم عبيد الله وأبو بكر ويحيى رضي الله عنهم.

والشرف منهم للحسنيين الطاهرين وأولادهما وها نحن نذكر هذين السبطين:

السبط الأول، وهم أولاد الحسن بن علي

فنقول: أولاد الحسن بن علي: الحسن المثنى بن الحسن، وزيد بن الحسن، ومنهما العقب والشرف في بني الحسن بن الحسن، وكان يقال لهم حلى الحجاز.

وقيل للحسن بن الحسن: لم لا تطلب الخلافة؟ فقال: كيف أطلب مع العجز ما تركه أبي مع القدرة. وكان وصي أبيه على صدقة علي كرم الله وجهه، وأراده الحجاج بن يوسف على إدخال عمه عمر بن علي معه في الصدقة فأبى، وأتى عبدالملك بن مروان فوصله وقال: اكتبوا له إلى الحجاج كتاباً لا يجاوزه، فكتبوا له وأعاده مكرماً[١].

وبدا لعبد الملك يوماً أنه كتب إلى عامله على المدينة هشام بن إسماعيل بن الوليد: أن أقم آل علي يشتمون علياً، وآل الزبير يشتمون عبد الله بن الزبير، فأراد ذلك، فأتته أخته وكانت امرأة جزلة عاقلة، فقالت: يا هشام أتراك الذي يهلك عشيرته على يديه. راجع أمير المؤمنين، فقال: ما أنا بفاعل، فقالت: فإن كان لابد من أمر فمرّ آل علي يشتمون آل الزبير [٣٩٦] ومرّ آل الزبير يشتمون آل علي، فقال هذه أفعلها فاستبشر الناس بتخفيف الأمر، وكان أول من أقيم الحسن بن الحسن، وكان رجلاً رقيق البشرة عليه يومئذ قميص رقيق، فقال له هشام: تكلم فسب آل الزبير،

(١) الزبيري، نسب قريش: ٤٦.

فقال: إن لآل الزبير رحماً أبلها ببلالها، وأربها بربابها ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾[1]. فقال هشام لحرسي عنده: اضربه، فضربه سوطاً واحداً من فوق قميصة فخلص إلى جلده، فشرحه حتى سال دمه تحت قدمه، فقام أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي فقال: أنا دونه أكفيك أيها الأمير، فقال في آل الزبير وشتمهم. ولم يحضر علي بن الحسين وكان مريضاً أو تمارض[2].

وزيد بن الحسن بن علي:

وكان جميلاً وسيماً، كريم الكف، حسن اللباس، وفيه يقول قدامة بن موسى الجمحي يرثيه:

وإن يك زيد غالت الأرض شخصه ... فقال بأن معروف هناك وجود
وليس بقوال وقد حط رحله ... لملتمس المعروف أين يزيد
إذا قصر الوغل الدني نمى به ... إلى المجد آباء له وجدود
مباذيل للمولي محاشيد للقري ... وفي الروع عند النائبات أسود
إذا انتحل الغر الطريف فإنهم ... لهم أرث مجدٍ لا يرام تليد
إذا مات منهم سيد قام منهم ... كريم يبني بعده ويسود

وفيه يقول محمد بن بشير الخارجي يرثيه:

أعيني جودي بالدموع واسعدي ... بني رحم ما كان زيد يهينها
وما كنت تلقى وجه زيد ببلدة ... من الأرض إلا وجه زيد يزينها
وأنى لنا مثال زيد وجه مبلغ ... آيات الهدى وأمينها
فقل للتي تعلو على الصوت صوتها ... به لا أعان الله من لا يعينها

ثم ها نحن نذكر أولاد الحسن بن الحسن بن علي،

فنقول: ولد الحسن [٣٩٧] بن الحسن بت علي، محمداً وبه كان يكنى، والحسن المثلث، وإبراهيم، وعبد الله. وقال ابن بكار: وفيه البقية. ومن كنوز المطالب: أن الحسن المثنى ولد أيضاً إبراهيم الغمر، وجعفراً، وداود، وزيداً وسيأتي إن شاء الله على ذكرهم، وما في الكنوز من جواهرهم الثمينة بعد الانتهاء مما قاله ابن بكار.

---

(١) سورة غافر، الآية ٤١.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٤٧ ــ ٤٨.

وأنشد ابن بكار لعبد الله بن الحسن:

أنس غرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من أنس الحديث زوانياً ... ويصدهن عن الخنا الإسلام

قال ابن بكار: وحدثني عثمان بن عبدالرحمن العدوي قال: كان عبد الله بن الحسن[1] يقول لبنيه إذا اقحطوا: يا بني اصبروا فإنما هي روحة أو غدوة، ويأتي الله بالفرج.

وذكر الصولي أنه كان شيخ بيته المعظم، وكان يسمى الكامل لعلمه وحسنه وكرمه. وكانت له من عمر بن عبدالعزيز مكانة رفيعة، وكان من الأعيان الذي عينوا للخلافة من بني هاشم، وجاءته كتب الدعاة من خراسان. ويقال أن المنصور كان بايعه قبل الخلافة، ثم لما أفضت إليه حبسه وقتل ابنيه، ولما قدم على السفاح بالأنبار وهبه ألف ألف درهم، وكان مكرماً له. وأخرج يوماً سفط جوهر فقاسمه إياه، وسبّه رجل فأنشأ يقول:

أظنت سفاهاً من سفاهة ... أن أهجوها لما هجتني محارب
رأيها معاذ إلهي أنني بعشيرتي ... وروحي عن ذاك المقام لراغب

ومن كلامه قوله: صريع الاسترسال لا تقال عثرته.

وقال لابنه محمد: يا بني أني مؤد حق الله في تأديبك فأد إليَّ حق الله في استماعي، يا بني كفّ الأذى، وأفض الندى، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعو فيها نفسك إلى القول، فإن [٣٩٨] للقول أماكن يضر فيها الخطأ، ولا ينفع الصواب، واحذر مشاورة الجاهل، وإن كان ناصحاً كما تحذر مشاورة الجاهل إذا كان غاشاً. واعلم أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائماً ووجدت هواك يقظان، فإياك أن تستبد برأيك فإنه حينئذ هواك، ولا تفعل فعلاً إلا وأنت على يقين إن عاقبته لا ترديك، وإن نتيجته لا تجني عليك.

وعن محمد بن حرب قال: قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد حين أراد الاختفاء من أبي جعفر المنصور: يا بني أني مؤد إلى الله حقه علي في نصيحتك، فأد إلى الله حقه عليك في الاستماع والقبول. يا بني كفّ الأذى، وأفض الندى واستعن على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإن الصمت حسن على كل حال، وللمرء ساعات يضره فيهن خطأوه، ولا ينفعه فيهن صوابه، واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة، يا بني أحذر الجهل وإن كان لك ناصحاً كما تحذر العدو إذا كان لك عدواً أفيوشك الجاهل أن يورطك بمشورته في بعض اغترارك، فيسبق إليك مكر العاقل، وإياك ومعاداة

---

(١) ت، ك: الحسين.

الرجال فإنها لا تعدمك مكر حليم أو مبادرة لئيم. وتوفي عبد الله في حبس المنصور بالهاشمية سنة خمس وأربعين ومائة.

ثم نذكر ولد عبد الله بن الحسن:

فنقول: ولد عبد الله بن الحسن أولاداً منهم: محمد وإبراهيم وموسى وسليمان وإدريس الأصغر ويحيى.

فأما محمد وإبراهيم فكل منهما خرج على المنصور، خرج محمد بالمدينة وبيض، فخرج إليه عيسى بن موسى فقتله في النصف من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، ثم خرج إبراهيم بالبصرة وخرج إليه عيسى بن موسى فقتله في السنة المذكورة[٣٩٩] أيضاً ولهما دول، يأتي ذكرها.

وأما موسى بن عبد الله فإنه اختفى بالبصرة فأخذه المنصور وضربه سبعين سوطاً ثم عفا عنه. وكان يدعى الجون لسواد لونه، حملت به أمه بعد أن بلغت ستين عاماً. وكانت له شيعة يدعون إليه، وأقيمت له الخطبة في أماكن بالحجاز واليمن، وهو مستتر، وكان قد أواه ابن هرمه لتشيعه، وترك الخمر لأجله على تهتكه فيه، فقال له موسى: أني حرمتك لذتك، وعلمت أنك أنما تركت السكر لئلا يحملك على أن تنم بي، فدعني أسيح في أرض، فلما خرج من عنده ظفر به وقال فيه ابن هرمة شعراً بلغ المنصور، فدس عليه من سأله عن قائلها، فقال: من عض بظر أمه. فنقلت إلى المنصور فضحك، فقال لابن هرمة ابنه: لما شتمت نفسك؟ فقال: يا أحمق أليس يعض المرء بظر أمه خير من أن يأخذه ابن قحطبة، أو يكون في تلك السطور المصلبة، يعني رجالاً أمسكوا بسبب عبد الله فصلبوا.

وللجون شعر طائل منه قوله:

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلما ... تكرهت به طال عتبي على الدهر
إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم ... وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
تعودت مرّ الصبر حتى ألفته ... وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر[١]
ووسع صدري للأذى الأنس بالأذى ... وإن كنت أحياناً يضيق به صدري

ومنه قوله:

تولت بهجة الدنيا ... فكل جديد بها خلق

(١) البيت ساقط من ب.

وخـــان الـــنـــاس كـــلـــهـــم فـــمـــا أدري بـــمـــن أثـــق
فـــــلا كـــــرم ولا أدب ولا ديـــــن ولا خـــــلـــــق
ولـــســـت مـــصـــدق الأقـــوام إلـــى شـــيء وإن صـــدقـــوا

وأما سليمان بن عبد الله.

فكان ممن خرج بفخ مع الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن لما خرج على الهادي فقتله.

وقال البيهقي: إنه يعرف بسليمان المغرب آجر نفسه أجيراً لملاحٍ في البحر وعسيفاً لجمال في البر، وتطلبه ولاة بني العباس فدافعت عنه البربر، فقال فيهم:

روحـي الـفـداء لـعـصـبـة غـربـيـة أغـروا بـبـري وانـتـمـوا لـلـبـربـر
حـفـظـوا الـنـبـي وشـرعـه فـي آلـه بـأسـاً بـكـل مـشـطـب أو سـمـهـري
مـا ضـرهـا إذ نـابـذتـنـا هـاشـم ووفـت لـنـا إن لـم يـكـن مـن عـنـصـري

وهو القائل:

الـحـمـد لـلـه جـدنـا هـدى الـنـاس بـــه مـــن ضـــلالـــه وعـــمـــى
ونـــحـــن أبـــنـــاؤه وعـــتـــرتـــه ولـيـس مـنـافـي الأرض مـن سـلـمـا

ثم كان آخر أمره أن أتى تلمسان، وبها بنو أخيه إدريس، والإمامة بها فيهم، فأكرموه حتى مات، ثم بعده وقع بنيه وبنيهم فأخرجوهم إلى الغرب الأوسط.

قال ابن سعيد: وكان أشهر ولده **حمزة بن سليمان** وإليه ينسب سوق حمزة بالغرب. وتوارث بنوه الأمر هنالك حتى أتاهم جوهر المعزي فحمل كل مشهور منهم إلى المعز وخلعهم عن ملكهم، وبقيت منهم بقايا بالجبال والأطراف مشهورين مكرمون عند قبائل البربر. وهو والد محمد الداخل إلى المغرب.

وأما **إدريس الأصغر** فدخل المغرب ومات به.

وأما يحيى فخرج بالديلم في زمان الرشيد، فندب الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفاً لمحاربته. وكانت البرامكة رحمهم الله يتوالون أهل هذا البيت الطاهر، ويتغالون ولاية أئمته، فلاطفه الفضل وتلطف به حتى أصلح بينه وبين الرشيد، ثم غدر به الرشيد فحبسه ووسع عليه، ولم يزل في حبسه حتى مات. فهؤلاء أولاد عبد الله بن الحسن لصلبه.

ثم نذكر أولاد ولده:

فولد محمد بن عبد الله الخارج بالمدينة: عبد الله الأشتر، وعلياً، وحسناً، وطاهراً، وإبراهيم[1].

فأما الأشتر، فقتل بكابل بعد أن أولد ولداً اسمه محمد[2].

وأما **علي** فأخذ بمصر في زمان المهدي وحبس حتى مات[3].

ومن كنوز المطالب: إن شيعة محمد بن عبد الله زعموا أن ابنه علياً هو المنصوص عليه بالإمامة لا عمه إبراهيم بن عبد الله، واغروه بالظهور ولم يكن له رأي ولا تمكن، فهرب بعد قتل عمه إبراهيم حتى بلغ السند والهند فمات حيث لا يعرف.

وذكر الصولي أنه كان يشبه بأبيه في العلم، وأنه كان قد بنى داراً حسنة بالمدينة، فلما فرغ منها قال:

حسنت داري بعد علمي أنه	سيفوز بعدي الوارثون بحسنها
فلئن بنيت وكان غيري ساكناً	فلكم سكنت منازلاً لم أبنها

وأما حسين فقتل بفخ[4].

وأما طاهر، وأما إبراهيم فولد ولداً اسمه محمد، وكانت الخلفاء تخافه وتتوقع مغالبته[5].

ثم نذكر أولاد إبراهيم بن عبد الله الخارج بالبصرة.

فولد إبراهيم: الحسن، وإسماعيل[6]. وفي كنوز المطالب أن اسمه يوسف.

فأما الحسن، فولد عبد الله وكانت شيعة أبيه تلقبه الأمير وتؤهله للأمر. ودس بنو العباس من ركضه في جوفة فقتله وطل دمه، وله شعر منه قوله، وقد قيل له استتر في بيت:

وأنا أناس يعرف الناس أننا	خلقنا لتحريق البسيطة لا الأرض
وإن امرءاً لم يبد ما في ضميره	مخافة موت في الحياة لكالميت

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٥٤.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٥٥.

(٣) الزبيري، نسب قريش، ٥٤.

(٤) الزبيري، نسب قريش: ٥٤.

(٥) الزبيري، نسب قريش: ٥٥.

(٦) الزبيري، نسب قريش: ٥٥.

وتروى لغيره من أهل البيت.

وأما إسماعيل، فولد إبراهيم، وولد إبراهيم محمد المسمى طباطبا. وقام بالكوفة على عهد المأمون، ولم يتم له أمر، وإسماعيل لم يذكره ابن بكار وإنما ذكره غيره.

قال ابن بكار: وولد الحسن بن إبراهم عبد الله، وولد عبد الله[٤٠٢] موسى، وولد موسى ثلاثة وهم: عبد الله ومحمد وإبراهيم.

ومن كنوز المطالب: أن عبد الله بن الحسن بن إبراهيم الخارج بالبصرة، ولد إبراهيم الحبيس ومحمد العيص، ونقل أن الحبيس كانت الشيعة تأتيه، فخلد بحبس المدينة حتى مات. وأنشد له من شعره قوله:

كذا أقطع الدنيا حبيساً معذباً وحيداً طريحاً في الهوان مكبلاً

ولست أرى وجه السماء كمثلما تراه النصارى واليهود مكملاً

ولا ذنب إلا أنني ابن محمد بني الهدى هذا لعمري هو البلا

ونقل أن العيص كان طالب عافية وسكن المدينة، وأنشد له قوله:

عجبت لشيء بعدها وتنكرت سلمي فقلت من الحوادث فاعجب

فالسيف يخلق جفنه وحسامه بعد الدثور بقد بيض المقنب

فهؤلاء مشاهير بني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي.

وأما أولاد الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي، فولد أولاداً منهم: أبو جعفر عبد الله بن الحسن المثلث وعلي. وكان ممن أخذ ومات بحبس الرشيد، وطلحة والعباس[1].

فأما أبو جعفر، فولد ولدين وهما محمد وإبراهيم.

وأما علي فولد أربعة أولاد وهم: الحسين، وهو الذي خرج نوبة فخ وقتل بها. والحسن، ومحمد، وعبد الله.

وأما طلحة والعباس، فانقرض عقبهما[2]. فهؤلاء مشاهير أولاد الحسن المثلث.

ومن كنوز المطالب: أن الحسن المثلث ممن أخذ مع أخيه عبد الله وحبس بالهاشمية فمات به سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وستين سنة، وهو القائل للسفاح وقد أعطاهم

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٢.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٢ ـ ٤٣.

العطاء العظيم إنما سميت السفاح لسفحك المال لا الدم، فقد صدقت وصفك وأحسنت عطفك ووصلت رحمك، ورفعت في الثناء عملك.

وأما ولده علي فكان يعرف [٤٠٣] بالعابد، وكان لا يوافق أقاربه في طلب الخلافة، ويقول من اشتغل بغير الله لا يتفرغ لغيره.

وولد علي العابد أربعة: الحسين الخارج بفخ وذكره في الدول، والحسن وعبد الله ومحمداً. وكان محمد بن علي شاعراً طلب الخلافة وقتل عليها، وهرب من بني العباس إلى أن ظهر بخراسان وأضرمها ناراً، ورغب المهدي في أن يرجع إليه، فقال:

أبعد أن قتلوا أعلام سادتنا　　وجرعونا كؤوس الحتف والذل

وقد شهرت حسام الله مبتغياً　　في الأرض ما ضيعوا من سيرة العدل

أعطي يدي لأناس قطعوا رحمي　　هذا لعمرك مني غاية الجهل

فبلغت المهدي فحمي واغتاظ، واشتد في طلبه حتى ظفر به وقتل وحمل رأسه إليه، فقال المهدي: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم أنا لن ننتفع بها حتى نقطع أرحامنا.

ولم يذكر مؤلف الكنوز شيئاً من أخبار محمد وعبد الله ابني علي العابد بن المثلث، إلا أنه ذكر أن عبد الله بن العابد ولد علياً قال: وكان من شعرائهم وفضلائهم، وأنشد له الصولي:

ولست بمسلم نفسي مطيعاً　　إلى من لست آمن أن يجورا

ولكني إذا حذرت منه أخالف　　صارماً غضباً بتورا

وأنزل كل رابية براحٍ　　أكون على الأمير بها أميرا

ومن الكنوز أيضاً: أن الحسن المثنى ولد أيضاً مع من تقدم ذكرهم: إبراهيم الغمر، وجعفراً وداود وزيداً، فهؤلاء كلهم أخوة عبد الله بن الحسن المثنى والحسن المثلث بن المثنى وسيأتي ذكر بني الغمر في الدول.

وأما بنو جعفر فقد ذكر ابن حزم[١] أن بجهة متيجة وسوق حمزة بالغرب الأوسط منهم، ومنهم بكينمان من طلب الإمامة وقتل عليها. وقال غيره: إن منهم بقية بقم وقاشان والعراق.

ومن [٤٠٤] مشاهيرهم:

أبو علي محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي بن باغر بن عبيد الله بن عبد الله بن

---

(١) جمهرة أنساب العرب: ٤٤.

الحسن بن جعفر، هرب من الكوفة إلى مصر، فأكرمه جوهر المعزي، ولما وصل المعز خرج للقائه وتكلم في مجلسه، فقال المعز: وددت أن أولاد فاطمة كلهم هكذا، وولاه القضاء والصلاة والأوقاف بالرملة.

ومن شعره قوله:

علمت كثيراً غير أني جاهل	بتدبير رزق قد مهر الغمر
وفيَّ حياء ليتني ما عرفته	وعندي صبر حيث لا يوجد الصبر

ومنهم:

الأدرعيون، نسبة إلى الأدرع أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنى، لقب جدهم الأدرع، لأنه قتل أسداً[1].

ومنهم:

بنو الناقلة، انتقلوا من الرملة إلى آمد.

ومنهم:

الأشرف تاج العلي بن الأعز بن هاشم بن القاسم بن محمد بن سعد الله بن أحمد الأزرق بن محمد بن عبيد الله بن محمد الأدرع، ولد بين الحرمين في ربيع الثاني سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وتوفي في صفر سنة عشر وستمائة، وكان عمره مائة وثلاث عشرة سنة. وكان نسابة وكان ينكر نسب ابن دحية إلى دحية الكلبي. وكان شخص من أدباء النصارى يتعصب لابن دحية ويزعم أنه نسب صحيح، فقال تاج العلي:

يا أيها العيسى ماذا الذي	تروم أن تثبته في الصريح
إن أبا الخطاب من دحية شبه	الذي تذكره في المسيح
ما فيه من كلب سوى أنه	ينبح طول الدهر لا يستريح
أخرق لا يهدي إلى رشده	كالنار شراً وكلام كريح
فرده الله إلى غربه	أو هاهنا يستره في الضريح

فقال ابن دحية: [٤٠٥]

يا ذا الذي يعزى إلى هاشم	دمك عندي في البرايا نبيح

---

(١) ابن عنبة، عمدة الطالب: ٣٢٩.

الست أعلى الناس في حفظ ... ما يسند عن جدكم في الصحيح
يكون حظي منكم طعنكم ... في نسب زاك علىٍّ صريح
وأعجب الأمر شقاي بكم ... وإنني أحمى بقوم المسيح

وجرت له في آمد كائنة أوجبت إشهاره وحبسه بسعى قوم من بني الشمر، فقال:

وأفجعت الدين والدنيا بما حكمت فينا ... بنو الشمر بعد العز والشرفِ
أحيوا بآمد يوم الطف وارتكبوا ... منا الذي ارتكبوا قبل في السلف
أضحوا يسوموننا خسفاً بأمتنا ... يا أرض ويحك مات الحق فانخسفِ
أن يشهروني فإني النار في علم ... أو يحسبوني فإني الدر في الصدف

ثم كان من أمره أنه كتب شعراً إلى الظاهر صاحب حلب يتشفع به، فشفع فيه وأقدمه إليه.

وخلفه ابنه شرف العلي هاشم:

وحذا حذو أبيه حيث لا ترد نوافث فيه، وكان باقعة زمانه، وأسير لسانه، جرّع أعداء أبيه كأس الهوان، وأسقط رتبتهم في ذلك الأوان، ووزر بآمد ثم باطن الكامل حتى سلمها، وانقرضت منها دولة بني أرتق على يديه، ثم أمسكه الصالح واعتقله بقصر اللؤلؤة بالقاهرة، لأنه بلغه أنه كان يقول: ستقوم الدولة الفاطمية، وتكون اللؤلؤة سكن إمامها الذي يقوم، ولم يمنع أحد من الدخول إليه.

وحكى ابن سعيد قال: دخلت عليه فوجدت في عقله اختلالاً وهو يتحدث غير مكترث أنه يملك الأرض ويظهر العدل. وله شعر كثير منه قوله:

ويسأل في الأطلال مالا يجيبه ... ويطلب عيشاً قد مضى وتصرما
أيا برق ما أنصفتني بعد بينهم ... أريك له دمعاً وتبدى تبسما [٤٠٦]

ومات في محبسه سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

وأخوه فخر العلى طالب. وكان من جند الناصر بن العزيز، وله شعر لا مختار فيه.

....[١] ابن الحسن المثنى، فكثير منهم بالصعيد والاسكندرية وطبرستان والعراق. ومنهم من كانت له دولة بالحجاز واليمن، وسيأتي ذكرهم في الدول.

---

(١) فراغ في الأصول.

ومن مشاهير من لا دولة له منهم:

طراد بن أحمد السليماني:

قال مؤلف الكنوز: وممن لا يجب إهمال ذكره في هذا الكتاب من سائر السليمانيين طراد بن أحمد. ثم قال: ذكر البيهقي أنه من بني سليمان بن داود المذكورين، وأنه مكي المولد والمنشأ، وأنشد له قوله:

العز في رؤوس بني هاشم قد شيدوه بأبي القاسم
مكارم الدنيا لهم جمعت في ذاهب منهم وفي قادم

قال ابن الحصين: كان طراد قد علت سنه وظهر وهنه، وأطال مدحه في الأمير شكر. فلم يحظ منه بطائل، فلما كان في بعض الأيام جلس الأمير في محفل من الشرفاء وغيرهم، فدخل وسلم وجلس في أخريات المجلس، فقال له: يا أبا الهوادي بقيت تشعر؟ فقال: بالسين يا أمير الفاطميين في أيامك التي أملتها فخانتني حتى مللتها، ثم قال:

قد شعرنا حتى سئمنا من الشعر ولم يجد فيك يا ابن الكرام
فرجعنا للاتكال على الله وملنا إلى اختصار الكلام
وإذا ما الجود كان حروناً لم يفد صرفه بلين اللحام

قالوا: فما ظننا إلا أن رأسه يطير بين أيدينا، فما زاده والله على أن قال بعدما تبسم والتفت إلى من حوله: هذا رجل قد مل طول الحياة، لكونها في جهد وعين حط، وله رحم يجب أن توصل، وسن يتعين أن ترعى، ثم وعده بما وفى له من جميل النظر، وقتل في الحرب [٤٠٧] الكائنة بين العلويين بعد مهلك شكر المذكور.

ومن السليمانيين:

التهامي وهو أبو الحسن علي بن الحسن الحسني الشاعر

من أهل مكة المشرفة، وأهلة تلك الآفاق المنيرة لليالي منى وليلة جمع وعرفة، المفتر به مبسم ذلك الموسم المخضر بمرور سحابه مروط نجد وأذيال هضابه، ودخل مصر مستخفياً مدلاً بعزمه مستكفياً، وكانت معه كتب كثيرة من حسان بن مفرج بن دغفل البدوي متوجهاً بها إلى بني قرة موجهاً إلى ما أعلقته في إشراكه حبائل القدرة، فظفروا به ظفر اللئام، وقدروا عليه وقد ظن أنه ثمد لا ينفع الهيام. فقال: أنا من بني تميم كلمة دافع بها عن مقتله ومانع بجهده، وقد حان حلول أجله، فلما انكشفت حاله عرف أنه التهامي، وكان قد أخذ خبره، وأخذ في الدخول

تحت السرار قمره، فاعتقل في خزانة البنود سجن القاهرة إذ ذاك، ومربط قوم لا يرجى لهم فكاك ثم قتل سراً، ونقل إلى مسجد أعدوه له قبراً، وذلك في سنة ست عشرة وأربعمائة.

وكان عائص در، وقانص كلام حر، شريف النسب، طريف الأدب بما في غريرته، وما اكتسب فائق النظم كأنه ثغر رداح زانه الشنب، رائق الشعر كأنه كأس راح يزوح ابن سحاب بابنة العنب، لا أعرف له نظيراً من أهل زمانه الذاهب، وأوانه الذي ذهب بالنهار، وأبقى الغياهب وأرهب طائع الأيام، قالت أن لا تطلع إلا في مسح راهب، وله القصائد التي ما فيها بيت إلا يطوف به البادي والعاكف، ويأوي إلى حرمة الأمن والخائف، لا يهيم الحادي بغيرها إذا زمزم، ولا يهوم الركب إلا سكراً بسلاف نشيدها شوقاً إلى زمزم، لم يكن منه أبعد مرمى في تشبيه لا يخطئه، ومعنى على غير ما أخذ بأعناق [٤٠٨] بعضه بعضاً من الكلام لا يميطه.

وقد ذكره ابن بسام، فقال: كان مشتهر الإحسان، ذرب اللسان، مخلى بينه وبين ضروب البيان، يدل شعره على فوز القدح دلالة برد النسيم على الصبح، ويعرب عن مكانه من العلوم إعراب الدمع النموم عن سر الهوى المكتوم.

ومن شعره الذي جاوز الشعرى، وجاز دراً نظم به من سبح الثغور شعراً قوله(١):

قلمٌ يُقلم ظفر كل ملمةٍ ... ويرد حد شباتها مفلولا

ويضيء منه الطّرسُ ساعة يكتسى ... صدأ المداد ولا يضيء صقيلا

يلقى العدى من كتبه بكتائبٍ ... يجررن من زرد الحروف ذيولا

وترى الصحيفة حلبة وجيادها ... أقلامها وصريرهن صهيلا

نبلاً حباها من رؤس بنانه ... ريشاً ومن حلك المداد نصولا

وقوله(٢):

قلت لخلي وثغور الربى ... مبتسماتٌ وثغور الملاحِ

أيهما أحلى ترى منظراً ... فقال لا أعلم كلٌّ أقاح

منها:

فتىً ترى التيجان منه على ... بدر لبدر التم منه افتضاح(٣)

---

(١) الديوان: ٣٢.

(٢) الديوان: ٢٣ وهي من قصيدة في مدح الوزير المغربي.

(٣) في الديوان: فهل ترى التيجان.

إذا رأتــه قـلــقــت هـزةً　　كـأنـمـا فـي كـل تـاج جـنـاح
يـنـصـل فـي الـطـعـن جـراب الـقـنـا　　كـأنـهـا ألـسـنـةٌ فـي الـجـراح
فـي عـسـكـرٍ مـن نـفـسـه رايـة　　رأيـتـه أن عـلـم الـحـرب لاح
ومـا يـبـالـي عـنـد فـل الـعـدى　　أهـيـبـة فـلـتـهـم أم كـفـاح[1]

وقوله[2]:

يحكي جنى الأقحوان الغض مبسمها　　في اللون والريح والتفليج والأشر
لو لم يكن أقحواناً ثغر مبسمها　　ما كان يزداد طيباً ساعة السحر

وقوله[3]: [٤٠٩]

وللمجرة فوق الأرض معترض　　كأنها حبب يطفو على نهر[4]
وللثريا ركود فوق أرحلنا　　كأنها قطعة من فروة النمر[5]

منها[6]:

عرفت آباءه الشم الكرام به　　كذاك يعرف طيب الأصل بالثمر
قد كنت أهواه تقليداً لمخبره　　فصرت أهواه بالتقليد والنظر

وقوله[7]:

إن خلف الميعاد منك طباعٌ　　فعدينا إذا تفضلت هجرا
وسقام الجفون أسقمني فيك　　فليت الجفون تبرى فأبرا

منها[8]:

قلم دبَّر الأقاليم حتى　　قال فيه أهل التناسخ إمرا

---

(١) في الديوان: ولا يبالي بدلاً من وما يبالي، وجراح بدلاً من كفاح.
(٢) الديوان: ٤٣.
(٣) الديوان: ٤٢.
(٤) في الديوان: فوق الأفق بدلاً من فوق الأرض.
(٥) في الديوان: جلدة النمر بدلاً من فروة النمر.
(٦) الديوان: ٤٤.
(٧) الديوان: ٣٦.
(٨) الديوان: ٣٩.

ظفراً في يد الأماني تلقاه		وتلقاه في المنية ظفرا

وقوله[1]:

عبسن من شعرٍ في الرأس مبتسم		ما نفر البيض مثل البيض في اللمم
ظننت شبيبته تبقى وما علمت		أن الشبيبة مرقاة إلى الهرم
لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها		فلو أردت دوام البؤس لم يدم
لا تحسبي حسب الآباء مكرمة		عمن يقصر عن غايات مجدهم

منها[2]:

إذا بدا طبق التقبيل ساحته		فما على الأرض شبر غير ملتثم
كأن أرضك مغناطيس كل فم		والطبع يجذبها بالطوع والرغم
قد عظم الله تمليكاً ملكت به		بني عقيل وما يحوون من نعم[3]
مجربون على محبورةٍ غنيت		عن الأعنة واستغنوا عن الحرم
تصاهل الخيل من تحت الرماح بهم		كما تزاءرُ علب الأسد في الأجم[4]
قوم يرون اختصار العمر مكرمةً		فليس يعطى بهم سن إلى هرم[5]
محمرة بدم الأبطال أنصلهم		كأنما خضبوا الأرماح بالعنم[6]

منها في فرس أدهم [٤١٠][7]:

وأدهم واضح الأوضاح مشتركٌ		بين النهار وبين الليل مقتسم
محلولك علق التحجيل أكرعه		كما تعلّق بدو النار في الفحم
جرى فجلّى فحيًّا الصبح غُرّته		لثما ومسّح بالأرساغ والخدم

وقوله[8]:

---

(١) الديوان: ١.
(٢) الديوان: ٥.
(٣) في الديوان: الله أملاكاً بدلاً من الله تمليكا.
(٤) العجز في الديوان مختلف وهو: فليس يفضى بهم شيء إلى هرم.
(٥) البيت لم يرد في الديوان.
(٦) في الديوان: كأنما نصلوا بدلاً من كأنما خضبوا.
(٧) الديوان: ٦.
(٨) الديوان: ١٢٠ وهي من قصيدة يمدح بها المفرج بن دغفل.

لـقـد ظـلـم الـنـدى مـن قـاسَ يـومـاً ... نـدى كـف الـمـفـرج بـالـغـمـامِ
فـتـى جـبـلـت يـداه عـلـى الـعـطـايـا ... كـمـا جـبـل الـلـسـان عـلـى الـكـلام
فـطـوّقـنـي صـنـائـع لـيـس تـخـفـى ... وكـيـف خـفـاء أطـواق الـحـمـام
يـغـادر قـرنـه والـرمـح فـيـه ... صـلـيـبـاً بـيـن رهـبـان قـيـام
يُـكـفِّـنـه الـبـواتـر فـي دمـاءٍ ... وتـدفـنـه الـحـوافـر فـي قـتـام
فـيـسـمـعـهـم كـلام الـموت جـهـراً ... بـآذان مـن الـطـعـن الـتـؤامِ
بـنـوه لـجـيـشـه أبـداً إمـامـاً ... بـمـنـزلـة الـنـصـول مـن الـسـهـامِ

وقوله في رثاء ولده، ومات صغيراً[1]:

أبا الفضل طال الليل أم خانني صبري ... فـخـيـل لـي أن الـكـواكـب لا تـسـرى
بـنـفـسـي هـلال كـنـت أرجـو تـمـامـه ... فـعـاجـلـه الـمـقـدار في غـرة الـشـهـر
وشبـلٍ رجـونـا أن يـكـون غـضـنـفـراً ... فـمـات ولـم يـجـرح بـنـابٍ ولا ظـفـر
أحـمـلـه ثـقـل الـتـراب وأنـنـي ... لأخشى عليه الثقل من موطىء الذر
ووالله لـو أسـتـطـيـع قـاسـمـتـه الـردى ... فـمـتـنـا جـمـيـعـاً أو لـقـاسـنـي عـمـري
ومـا اقـتـضـت الأيـام إلّا هـبـاتـهـا ... فهلا اقتضتها قبل أن ملأت صدري
ولا حـزن إلّا يـوم واريـت شـخـصـه ... ورحت ببعض النفس والبعض في القبر
واعـلـم أن الـحـادثـات بـمـرصـدٍ ... لـتـأخـذ كـلـي مـثـلـمـا أخـذت شـطـري
وجـادت بـه الأيـام وهـي بـخـيـلـة ... وقـد يـنـبـع الـمـاء الـزلال من الـصـخـر
فـلا تـسـألـونـي عـنـه صـبـراً فـإنـنـي ... دفـنـت بـه قـلـبـي وفـي طـيـه صـبـري
فـلـو لـفـظـتـك الأرض قـلـت تـشـابـهـت ... مناظر بين البطن منها وفي الظهر[2] [٤١١]
فـلا فـرق فـيـمـا بـيـنـنـا غـيـر أنـنـا ... بـمـس الأذى نـدري وأنـك لا تـدري
نـنـافـس فـي الـدنـيـا غـروراً وإنـمـا ... قُـصـارى غـنـاهـا أن تـؤول إلـى الـفـقـر
طـويـت الـلـيـالـي والـلـيـالـي مـراحـلٌ ... إلـى أجـل يـسـري إلـيَّ كـمـا أسـري[3]

---

(١) الديوان: ٧٧.

(٢) «الظهر» ساقطة من ت.

(٣) البيت لم يرد في الديوان.

وقوله يصف الناقة[1]:

فلو حزمت من ضمرها بخزامها ... لجال على أوساطهن خزامها
هو الملك يبلى بسطه قبل وقتها ... سجود الملوك فوقها وقيامها
إذا عاينته من بعيد ترجلت ... وإن هي لم تفعل ترجل هامها
نمته إلى أعلى المراتب عُصبة ... تسود من قبل البلوغ غلامها
غلائلها أدراعها وسماعها ... صليل المواضي والدماء مدامها

منها[2]:

فمن زردٍ فوق العوالي كأنها ... خواتيم أودى في البنان التحامها
ومن زردٍ قد طار أنصافه كما ... تطاير عن أعلى البنان قُلامها

وقوله[3]:

وطعن كان الجيش في الروع جوهر ... ورمح عبيد الله سلك نظامه
وضرب يطيل السيف في الهام خاطباً ... به وصليل السيف مثل كلامه

وقوله[4]:

سرت تستريد الود والقلب ملكها ... وهل لي قلب غيره فأزيدها[5]
سل الله تهويم الكرى ليس غيره ... لعل الكرى يوماً عليك يُعيدها[6]

ومنها[7]:

ولو أمُّ عاف طفل آل مسيب ... لقاسمه دُرَّ الرضاع وليدها
فلو كان جود المرء يخلد ربه ... لدام على رغم الحسود خلودها

---

(١) الديوان: ١٤٤.

(٢) الديوان: ١٤٦.

(٣) الديوان: ٦١ والبيتان ساقطان من ب.

(٤) الديوان: ١٦٦ وهي من قصيدة في مدح الأمير معتمد الدولة قرواش بن المقلد العقيلي أمير الموصل.

(٥) وردت رواية البيت في الديوان هكذا:

سرت تستزيد الود بيني وبينها ... وهل لي ود غيرها فأزيدها

(٦) في الديوان: إليك يعيدها بدلاً من عليك يعيدها.

(٧) الديوان: ١٦٨.

وقوله[1]:

ولقد رأيت الصبح يرفع كفه ... بالضوء رفرف خيمةٍ من قار

والصبح قد عم النجوم كأنه ... سيل طغا فطما على النوار

منها[2]:

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها ... شُحباً مزررة على أقمار [٤١٢]

وترى السيوف الدارعين كأنها ... خلجاً تمد بها أكف بحار

وكأنما ملأو عياب دروعهم ... وغمود أنصلهم سراب قفار

فتدرعوا بمتون ماءٍ جامد ... وتقنعوا بحباب ماء جار[3]

يتزين النادي بحسن وجوههم ... كتزين الهالات بالأقمار

قد لاح في ليل الشباب كواكب ... إن أمهلت آلت إلى الأسفار

وتلهب الأحشاء شيب مفرقي ... هذا الضياء شواظ تلك النار

وقوله من مرثية ولده[4]:

حكم المنية في البرية جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يرى الإنسان فيها مخبراً ... حتى يرى خبراً من الأخبار

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلبٌ في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبني الرجاء على شفير هار

فالعيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيالٌ سار

ليس الزمان وإن حرصت مُسالماً ... خلق الزمان عداوة الأحرار

إني وترت بصارم ذي رونقٍ ... أعددته لطلابه الأوتار

يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسرار[5]

---

(١) الديوان:٥٥.

(٢) الديوان: ٤٩.

(٣) البيت ساقط من ب.

(٤) الديوان: ٤٧.

(٥) في الديوان: كواكب الأسحار بدلاً من كواكب الأسرار.

وهـلال أيـام مـضـى لـم يـسـتـدر	بـدراً ولـم يـمـهـل لـوقـت سـرار
وكـأن قـلـبـي قـبـره وكـأنـه	فـي طـيـه سـرٌّ مـن الأسـرار
إن الـكـواكـب فـي عـلـو مـحـلـهـا	لـتـرى صـغـاراً وهـي غـيـر صـغـار
ولـد الـمـعـزى بـعـضـه فـإذا انـقـضـى	بـعـض الـفـتـى فـالـكـل فـي الآثـار
جـاورت أعـدائـي وجـاور ربـه	شـتـان بـيـن جـواره وجـواري
أشـكـو بـعـادك لـي وأنـت بـمـوضـع	لـولا الـردى لـسـمـعـت فـيـه سـراري
والـشـرق نـحـو الـغـرب أقـرب شـقـة	من بعد فلك الخمسة الأشبار [٤١٣]
وأكـف نـيـران الأسـى ولـربـمـا	غـلـب الـتـصـبـر فـارتـمـت بـشـرار
وفـشـت حـيـانـات الـتـفـات وغـيـرهـم	حـتـى اتـهـمـنـا رؤيـة الأبـصـار
وربـمـا اعـتـضـد الـحـلـيـم بـجـاهـل	لا خـيـر فـي يـمـنـى بـغـيـر يـسـار

وقوله[1]:

ويـا رب أرقـش ذي ريـقـة	يـحـلـى الـخـطـوب بـهـا والـخـطـب
إذا مـا جـعـلـت لـه لـهـدمـا	مـن الـنـفـس طـال الـرمـاح الـسـلـب
وبـيـض تـرقـرق مـاء الـفـرنـد	مـنـهـن بـيـن سـوافـي الـشـطـب
يـطـرق لـلـرمـح حـتـى يـصـيـر إلـى	مـا تـحـب بـمـا لا يـجـب
إذا الـطـعـن فـي ضـربـات الـسـيـوف	كـمـثـل الـخـنـادق فـيـهـا الـقـلـب
ولـون الأسـنـة مـمـا خـضـبـن	كـلـون الـدخـان مـلاه الـلـهـب
ومـيـثـاء خـيـم فـيـهـا الـربـيـع	وألـقـى عـلـى كـل أفـق طـنـب
وألـقـت ثـغـور الأقـاحـي الـلـثـام	وشـقـت خـدود الـشـقـيـق الـنـقـب
فـمـن شـاسـة قـال مـا يـرف	ومـن شـمـة قـال مـسـك يـشـب
كـأن عـلـى الـجـو فـضـفـاضـة	مـسـامـيـرهـا فـضـة أو ذهـب
كـأن كـواكـبـه أعـيـن تـراعـى	سـنـا الـفـجـر أو تـرتـقـب
فـلـمـا بـدا صـفـقـت هـيـبـة	تـسـتـر أحـداقـهـا بـالـهـرب
وشـقـت غـلائـل ضـوء الـصـبـاح	فـلا هـو بـادٍ ولا مـحـتـجـب

---

(١) الديوان: ٢٢.

وقوله[1]:

قصرت جفوني أم تباعد بينها ... أم صورت عيني بلا أشفار

خفت الكرى حتى كان غرارهُ ... عند اغتماض العين وخز غرار

وقوله[2]:

وفي الهوادج رئم لو هصرت ضحى ... ماء النضارة في خديه لانعصرا

هيفاء فاترة ألحاظ مقلتها ... واقتل اللحظ للعشاق ما فترا

[٤١٤] إن كنت ممن له في نفسه إرب ... فامنع جفونك يوم الموقف النظرا

ترمى الجمار وتذكي في قلوبهم ... جمراً يكون له أنفساهم شررا[3]

ورب صب تمنى أنه حجر ... في البيت حين أكبت تلثم الحجرا

وقوله[4]:

نفس الشريف كحلةٍ موشيةٍ ... وإذا تناهت طرزت بجدودها

فإذا اعتبرت أصوله وفروعه ... أيقنت أن دخانها من عودها

ومحاسن الأشياء في تركيبها ... طوق الحمائم خلقة في جيدها

وفضائل الإنسان تتبع أصله ... قطع الصوارم تابع لحديدها

أترى نبيها من ولادة حاملٍ ... لا تنسل الأشبال غير أسودها

إن كان أولاد الوصي كواكباً ... فاعلم بأنك أنت سعد سعودها

نقلوا فضائلهم إليك كأنها ... زرجونة نقلت إلى عنقودها

وقوله[5]:

أكلف أقلامي لتبلغني المنى ... وقد عجزت عنها الردينية السمر

فإن لم تنل بالسمر تخضبها الدما ... فأهون بأقلام يخضبها الحبر[6]

---

(١) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٢) الديوان: ٨٤.

(٣) البيت لم يرد في الديوان.

(٤) الديوان: ٩٧.

(٥) الديوان: ٧٤.

(٦) في الديوان: وإن لم تنل بالبيض بدلاً من فإن لم تنل بالسمر.

فعد عن الأقلام واستنصر القنى ... وسيفك إن النصل في حده النصر

سأنفي الأذى عني وشيكاً بفتيةٍ ... طعانهم نظم وضربهم نثر

وما تنجح الأقلام إلَّا بكاتب ... ومخلب غير الليث في كفه ظفر

سهام إذا ما راشها ببنانه ... أصيب بها قلب البلاغة والنحر

يخبر عما الضمير كأنما ... سواد سويدا واتهن به حبر

فيا عجباً للطرس كيف جفافه ... وفي كل عقد من مساربها نهر

ولا عجباً أن يلفظ الدرقائلا ... فعادته أن يلفظ اللؤلؤ البحر

وقوله في الكتاب(١):

لما تأمل ما حواه كميهم ... رقصت بنات الرعب في أحشائه [٤١٥]

فكأن أسطره خميس عرمرم ... وهلال رايته استدارة رائه

وقوله(٢):

يخفى النوال بجهده فيذيعه ... وأماتة المعروف من أحيائه

ما زال يطرد ما له بعطائه ... حتى حسبنا المال من أعدائه

وقوله(٣):

يبش بالوفد حتى خلت وافده ... وافى يهنيه بالتأخير في الأجل

علا فما يستقر المال في يده ... وكيف يمسك ماءً قنة الجبل

وقوله(٤):

ساس الأقاليم العظام بكفه ... فلم يفل شبا الخطوب شباه

متصرف أنى يشاء بكفه ... ويمينه لا في يمين سواه

قلم بخلقته المنايا والمنى ... كالصل فيه سمه وشفاه

وقوله(٥):

---

(١) الديوان: ٩١.

(٢) الديوان: ٩٠، ٩١.

(٣) الديوان: ١٧٦.

(٤) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٥) الديوان: ١١٣.

والبيض من تحت الغبار كأنها ... جمر تألق في دخان رماده[1]
يكسو المدجج مجسداً بدمائه ... فيعود منه لابساً لحداده[2]

وقوله[3]:

أرأيت سيفاً غير طرفك صارماً ... يفري رقاب القوم في أغماده[4]
إن الهوى ضد العقول لأنه ... يبغي جآذره على آساده[5]

وقوله[6]:

خليلي هل من رقدة استعيرها ... لعلي بأحلام الكرى استزيرها
هلالية الأنساب والبعد والسنا ... فلست بغير الوهم يوماً أزورها[7]
يحف بها في الظعن من آل عامرٍ ... بدور دجىً هالاتهن خدورها
إذا خطرت من دار حمدة خطرة ... على مهجتي كاد الهوى يستطيرها[8]
واطلب منها رد نفس بكفها ... وهل رد نفساً قبلها مستعيرها [٤١٦]

منها في ذكر الليل والناقة[9]:

وسرت والليل الأحم شبيبة ... على كل أفق والصباح قتيرها[10]
بهرجاً مرقالٍ أمون كأنما ... على سية من قوس نبع جريرها[11]
يخيل لي أن الفيافي مصاحف ... ودامي آثار المطى عشورها

وقوله[12]:

---

(١) في الديوان: تألق في خلال بلادٌ من تألق في دخان.
(٢) ورد عجز البيت في الديوان هكذا: فيعود منه بضد لون حداده.
(٣) الديوان: ١١١.
(٤) في الديوان: غير لحظك بدلاً من غير طرفك.
(٥) في الديوان: ضريت بدلاً من يبغى.
(٦) الديوان: ١٥٥.
(٧) في الديوان: تزورها بدلاً من أزورها.
(٨) في الديوان: ذكر علوة بدلاً من دار حمدة، على كبدي كاد النوى بدلاً من على مهجتي كاد الهوى.
(٩) الديوان: ١٥٦.
(١٠) في الديوان: نثيرها بدلاً من قتيرها.
(١١) في الديوان: بفضلة بدلاً من بهرجاً.
(١٢) الديوان: ١٧٢.

أحب النوى لا عن قلى غير أنني　　　أرى أم عمرو والنوى أبداً معا

وفيها وفي أترابها لي منظر　　　هو الروض لو صادفت في الروض مربعا

منها[١]:

فتىً ماله للوافدين وإنما　　　يضاف إليه في الكلام توسعا

إذا باشر الدنيا فللجود لا لها　　　وإن هجر الدنيا فعنها ترفعا[٢]

يراقب أحياء المسا لورده　　　إذا راقب المرء الظلام ليهجعا

وما أحد في كتبه أو كتيبة　　　بأسجع منه في الكلام واشجعا

سعى للعلى حتى إذا ما أصابها　　　أتته العلى تسعى إليه كما سعى

وقوله[٣]:

ولما وقفنا للوداع ودمعها　　　ودمعي بشأن الصبابة والوجدا

بكت لؤلؤاً رطباً وفاضت　　　مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقدا

وقوله[٤]:

أقرح الدمع خدها فرأينا　　　قهوةً شعشعت بماء قراح[٥]

وترشفت ريقها فكأني　　　أرشف الطل من ثغور الأقاحي[٦]

وقوله[٧]:

زرعت بخدها روضاً بلثمي　　　ففي وجناتها منه اخضرارُ

لعينك وخزة في كل قلب　　　أأشفار جفونك أم شفار

كأن مواقع التقبيل منه　　　رماد جامد والخد نار

وقوله[٨]:

---

(١) الديوان: ١٧٣.

(٢) في الديوان: فإن يلبس الدنيا بدلاً من إذا باشر الدنيا.

(٣) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٤) الديوان: ١٦٠.

(٥) في الديوان: خمرة بدلاً من قهوة.

(٦) في الديوان: رياض بدلاً من ثغور.

(٧) الديوان: ٦٥.

(٨) البيت لم يرد في الديوان.

تـبـــدو أبـــوتـــه بـــغـــرة وجـــهـــه وعلى شمائله وإن لم ينسب [٤١٧]

وقوله[١]:

وتـمـج فـي قـرطـاسـه أقـلامـه ظـلـمـا مـواقـع نـقـعـهـا أنـوار
فـصريرها مـن حسنه في سمعنا نـغـمٌ وفـي سـمـع الـمـعـادي زار[٢]
إن الـمـخـالـب فـي يـد لـيـث الشـرى قـضـب وفـي يـد غـيـره أظـفـار

وقوله[٣]:

واشـقـر كـالـديـنـار رق أديـمـه وراق لـي إن كـان بـاللـحـظ يشرب[٤]
أغـر كـأن الـوجـه مـنـه مـفـضـض ومـا قـارب الأرسـاغ والـكـل مـذهـب[٥]

منها في السيف والرمح[٦]:

من البرق في الهامات يصدق ومضه عـلـى أن أيـمـاض الـصـوارم خـلـب[٧]
كـأن سـنـان الـرمـح سـلـك مـنـظـم ورؤوس العدى فيه الجمان المثقب[٨]

وقوله[٩]:

لـقـد نـسـيـت طـيء بـجـودك حـاتـماً وأغـنـاهـم عـن عـائـب الـفـخـر حـاضـره
ومـن جـاد مـن طـيء شـكـرنـاك دونـه لإعـطـائـك الـجـود الـذي هـو نـاشـره
ومـن يـرد الـغـدران رجـع شـكـره عـلـى الـمـزن أن الـغـدر مـمـا تـغـادره
إذا مـا احـتـمـى بـالـجـيـش مـلـك فـإنـما بـذكـر أبـي الـذّواد تـحـمـى عـسـاكـره
مـواهـبـه مـمـا أفـادت سـيـوفـه ولـولا بـروق الـمـزن مـا انـهـل مـاطـره

وقوله[١٠]:

---

(١) الديوان: ١٠٢.
(٢) في الديوان: نار بدلاً من زار.
(٣) الديوان: ١٨٥.
(٤) البيت لم يرد في الديوان.
(٥) في الديوان: فهو مذهب بدلاً من والكل مذهب.
(٦) الديوان: ١٨٥.
(٧) جاءت رواية صدر البيت في الديوان هكذا: ويصدق في الهامات إيماض سيفه.
(٨) في الديوان: سلكٌ بكفه وجمع أعاديه بدلاً من سلك منظم ورؤوس العدى فيه.
(٩) الديوان: ١٦.
(١٠) الأبيات لم ترد في الديوان.

والأقحوان على الشقائق ناثراً أوراقه نثر القطار سحابها
فتراهما كالكأس عند طلوعها هذا لها راح وذاك حبابها

وقوله[1]:

أصاب العلى في أول الأمر إنما تصيب بأولاها الرماح الشواجر
هو الطاعن النجلاء لا يبلغ امرؤٌ مداها ولو أن الرماح مسابر
يلبيه من آل المفرج إن دعا أسود لها بيض السيوف أظافر
[٤١٨] تراه لقرع البيض بالبيض مصغياً كأن صليل الباترات مزاهر
وحفت به الآمال من كل جانب كما حف أرجاء العيون المحاجر
بسيفك نالت طيء ما لو أنها تمنته لم تبلغ إليه الضمائر

منها[2]:

كأن سنان الرمح سلك لناظم غداة الوغى والدارعين جواهر
يرد أنابيب الرماح سواعداً ومن زرد الماذي فيها أساور
له بين أوداج الكماة موارد وبين صدور المارقين مصادر
تعمد حبات القلوب كأنما خواطره عند القلوب خواطر

وقوله في لابس أخضر[3]:

يستن في خضر البرود كأنه غصن ثنته الريح في أوراقه
وكأنما زرت جيوب قميصه فوق الصباح فتم من أطواقه

وقوله[4]:

ومدامة نظم الراح لجيدها عقداً فحلاها وكان عاطلا
جعلوا غلائلها الكؤوس فالبست من نورها بيض الكؤوس غلائلا
وإذا السقاة تناولوها طرزت بالنور أطرافاً لهم وأناملا
بعث السقاة كؤوسها فكأنما بعثوا الكواكب يمنة وشمائلا

---

(١) الديوان: ١٩٣.
(٢) الديوان: ١٩٣.
(٣) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٤) الأبيات لم ترد في الديوان.

وقوله[1]:

فتاة أرى الدنيا بما في نقابها ... وألقى بما في مرطها جنة الخلد

من الورد خداها من الدر ثغرها ... على أن رياها من العنبر الورد

وقوله[2]:

رفع في ديل فلق الضحى ... كما رفعت بيض الحسام غماد

وأحدق بالليل الصباح كأنه ... بياض بعين الظلام سواد

وقوله[3]:

وأحداق الحدائق ناظرات ... إليّ بأعين الزهر البديع [٤١٩]

رقرق لؤلؤ الأنواء فيها ... كما امتلأت عيون من دموع

ولست بواثق بجفون عيني ... وقد أظهرت ما أخفت ضلوعي

ومن يستكتم الأجفان حباً ... فقد ألقى هواه إلى مذيع

وقوله[4]:

والصبح قد أخذت أنامل كفه ... في حل حب للظلام مزرر

وقوله[5]:

بيضاء تسحب ليلا حسنة أبداً ... في الطول منه وحسن الليل في القصر

وأما بنو زيد الجواد [بن الحسن][6] المثنى:

فمنهم:

الطبرستانيون الأئمة بها وسيأتي ذكرهم في الدول إن شاء الله[7].

وأما من سواهم منهم ـ أعني من بني زيد الجواد ـ فقد ذكر مؤلف الكنوز: أن زيداً

---

(١) الديوان: ٢٠١.

(٢) الديوان: ٢٢١.

(٣) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٤) البيت لم يرد في الديوان.

(٥) البيت لم يرد في الديوان.

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول.

(٧) ذكرهم بالتفصيل في الجزء الرابع والعشرين، القسم الأول، وقد صدر بتحقيقنا عن مركز زايد للتراث والتاريخ فانظره.

الجواد بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ولاه أبو جعفر المدينة لأنه لم يدخل في شيء مما دخل فيه أهله من طلب الأمر. وكان كريماً أديباً، وفيه يقول أبو عاصم محمد بن حمزة:

له حق وليس عليه حق ... ومهما قاله الحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقاً ... عليه لغيره وهو الرسول

ومن بنيه البطحانيون والشجريون.

والبطحانيون من ولد محمد البطحاني(١) بن القاسم بن الحسن بن زيد هذا(٢).

ومنهم :

الحسين بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد. وكان من شرفاء مكة وشعرائها ومن شعره قوله:

عدمت خليلاً لا يدوم له عهد ... ولا يستقيم الدهر من صفوه وُدُ

له كل يوم ألف ذنب مستر ... لها ألف عذر إن هذا هو الجهد

والشجريون من ولد عبدالرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد الجواد(٣).

ومن ولده

طلحة بن القاسم بن علي بن أحمد بن الحسين بن الشجري.

ذكر ابن سعيد أنه لقيه بشهراباان من ثنيات بغداد في طريق خراسان، وهو بأرض له شجر تعرف بالرقة عارياً من خلل الحضارة خالياً [٤٢٠] بالآداب، قال: إن أباه أحيا تلك الأرض حتى صارت تمد أشجارها، وترن أطيارها، وتسيح أنهارها، قال: ولمامات أبي ورثنا هذه الأرض منه واشتغلنا بها، ولم أكن قد ذقت حلاوة الأدب حتى اجتاز بنا نور الدين علي بن حميدان النهاوندي آيباً إلى بلده بعدما تأدب ببغداد وتهذب، فحالت بينه وبين مقصده الوحول والسيول، فأقام عندنا مدة، فدخل كلامه سمعي فرغبت إليه أن يقيم عندنا مدة فأقام فهوى غلاماً لأجله حتى التحى الغلام، فأخذنا أهل هذا المكان وأنا واحد منهم، قال: وأنشدني لنفسه:

مرت اللذات إلّا ... ذكرها في كل فن

---

(١) ب: البطحاوي. وسمي البطحاوي لجلوسه الدائم في وادي بطحان بالمدينة. انظر: ابن عنبة، عمدة الطالب: ١١٧.

(٢) ابن عنبة، عمدة الطالب: ١١٣، ١١٧.

(٣) ابن عنبة، عمدة الطالب: ١٣٩.

والـلـيـالـي خـادعـات بـعـد هـذا بـالـتـمـنـي

قال: وأنشدني للنهاوندي:

طـاب الـزمـان فـطـيـبـوا والـكـؤوس أنـيـبـوا
وراجـعـوهـا سـرورا وبـعـد ذلـك تـوبـوا

ومنهم:

محمد بن الحسين بن الحسن بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد الجواد، وكان له أحد عشر أخاً كل منهم اسمه علي، ويختلفون بكناهم[١].

ومنهم:

بنو عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد الجواد، وهم أحد عشر أخاً تفرقوا على البلدان في طلب الأمر وتحكمت فيهم الحوادث[٢].

فأشهرهم جعفر بن عيسى وخرج ببلاد الرُّخج وله شعر.

ومنهم أعني ولد زيد الجواد:

ناصر بن مهدي العلوي الرازي الوزير كان يكتب السر للإمام الناصر، ثم ولي نقابة الطالبيين، ثم وزر فاستبد واستخف بالكبراء، وآخر أمره أن الناصر عزله وحبسه في موضع خفي حتى مات سنة سبع عشرة وستمائة وهو آخر ما في الكنوز من ولد الحسن ابن علي[٣].

عدنا إلى قول ابن بكار قال: [٤٢١] وأما أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي، فولد إبراهيم خمسة وهم: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وعلي، ومحمد، فأما إسماعيل فولد: الحسن وإبراهيم، وولد الحسن بن إسماعيل: الحسن بن الحسن، وولد إبراهيم: الحسن وإسماعيل والقاسم ومحمداً وهو الذي خرج مع أبي السرايا بالكوفة، وأما إسحاق فولد: عبد الله الجدى وله ذكر، وأما علي فولد الحسن، وولد الحسن: محمد وإبراهيم وكلاهما له ذكر، فهؤلاء هم جملة المشاهير من ولد إبراهيم بن الحسن بن علي[٤].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٠.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل: ٢٧٦/١٢.

(٤) الزبيري، نسب قريش: ٥٦.

وأما أولاد جعفر بن الحسن بن الحسن، فولد جعفر: إبراهيم وحسناً، وولد حسن: عبد الله، وولد عبد الله: عبيد الله، وولاه المأمون الكوفة ثم مكة[1].

وأما أولاد داود بن الحسن بن الحسن بن علي، فولد: عبد الله وسليمان، وولد سليمان: محمد، وأخذ المدينة أيام أبي السرايا[2].

وأما ولد زيد بن الحسن بن علي، فولد الحسن وولاه المنصور المدينة هذا ما ذكره ابن بكار إلا ما نبهنا[3].

ومما ذكره غيره، فقال: ولد علي بن الحسن بن علي: محمداً، وولد محمد أولاد منهم: جعفر، وولد جعفر: محمد، وموسى، وولد موسى أولاداً منهم: إبراهيم، وجعفر، فقام إبراهيم باليمن في عهد المأمون واستولى عليه، ثم قام بعده عمه محمد ثم خلع نفسه، ودخل في طاعة المأمون ومات في صحابته بجرجان.

وأما جعفر بن موسى، فولد الحسن، وولد الحسن: محمداً وعلياً، وقام محمد بالمدينة زمان المعتمد ثم قام بعده أخوه.

وأما زيد بن الحسن بن علي المذكور آنفاً، فولد الحسن، وولد الحسن السيدة نفيسة رضي الله عنها كانت تحت إسحاق بن جعفر الصادق وأولدها ولداً اسمه القاسم[4]، وهي السيدة الجليلة ذات الصلاح والبركات الظاهرة والآثار الباقية وقبرها ما بين مصر والقاهرة وبركاته حافة بهما وبمن [٤٢٢] فيهما، ولا يستطيع ذو عقل صحيح، وفكر سليم أن ينكر فضائلها ما يظهر على الزائرين لضريحها من أمائر اليمن، وتسهل لهم من نجاح المقاصد وبلوغ المطالب.

ولقد كان عندي وقفة في أمرها لكلام وعته أذني وقبله خاطري لقول سمعته من بعض أكابر العلماء[5]، ثم ظهر لي خطأ رأيه فيه لأمور نويتها، وسألت الله فيها بشرفها وسلفها، فلم ألبث أني رأيتها ولو لم يكن الأمر كذلك لما انعقد عليها إجماع الجم الغفير في مثل هذا الإقليم العظيم قبليه وبحريه، ريفه وحوفه، وأهل حاضرته وباديته، وقاصيه ودانيته، وعامره وشاسعه، فإنك لا تجد أحداً به لا يتوسل بها، ويتحسب بذممها وكلهم على لسان واحد بأن أسبابها تقرب كل

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٥٦.

(٢) الأصفهاني، مقاتل: ٥٤٠.

(٣) الزبيري، نسب قريش: ٥٦.

(٤) ابن عنبة، عمدة الطالب: ١١١.

(٥) يبدو أن العمري يشير هنا إلى فتوى الشيخ ابن تيمية بعدم جواز زيارة القبور، فكنى عنه بقوله: بعض أكابر العلماء.

بعيد، وأن بابها للنجح باب صحيح مجرب، وهي في مشهد عظيم اعتنت به الهمم، واعتلت في إشادة ذكره الأمم، ويحمل إليه من الشمع والزيت وقناديل الذهب والفضة وستور الحرير وغير ذلك ما يقام عليه ديوان كامل، لا تراح أقلامهم ولا تغلق دفاترهم.

وأما عبد الله بن الحسن بن علي، فولد إدريس. وولد إدريس: عمر، وولد عمر عبد الله، وولد عبد الله: علياً، وولد علي: أحمد، وولد أحمد: ميموناً، وولد ميمون: حمود، وولد حمود: علياً، والقاسم، فقام علي بن حمود على سليمان بن الحكم الأموي بالأندلس وتلقب بالناصر، واستقام له الأمر، وتمت له كلمة الخلافة هناك، ثم قام بعده أخوه القاسم ويلقب بالمأمون، ثم ثار على القاسم المأمون ابنا أخيه إدريس ويحيى، فقام إدريس بطنجة، وقام يحيى بالجزيرة الخضراء وتلقب بالمعتلي، ثم استقل سنة ثم قتل، ثم عادت الدولة الأموية بالأندلس على ما كانت وراجعت كفؤها منهم كأنها عنه [٤٢٣] ما بانت وسيأتي أن شاء الله ذكرهم مبسوطاً في موضعه[١].

وأما **الأدارسة** بفاس فقد قدمنا ذكر الداخلين إلى الغرب من أهل هذا النسب، وللناس أقوال شتى في الداخلين إلى الغرب، إلا أنه لا ينكر عارف بالنسب أن الذين بالمغرب من أولاد الحسن، والذين بالمشرق من أولاد الحسين، وإلى هذا ذهب الشريف الجواني والذي أقوله أن أهل هذا البيت الطاهر كالمصابيح حيث كانوا أضاءوا، وكالسرج حيث كانوا أفاءوا فما كانوا في مكان إلّا كانوا قبلته إن كانوا في المشرق شموسه أو في المغرب كانوا أهلته، فرحمهم الله ورحمنا بهم ورضى عنهم وعنا بسببهم.

[أنساب آل الحسين]

وأما السبط الثاني وهم أولاد الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين:

وهم وإن كانوا هم وإخوتهم[٢] أولاد الحسن لأب وأم، فإنهم أهل التقدم عند شيعة هذا البيت وجمهرة النسب الشريف منهم، ولهم التفضيل، ولجملتهم في عدد المناقب حسن التفضيل، ومنهم الأئمة الأطهار، ومنهم تدفقت الجداول والأنهار، وعنهم أخذت علوم أهل البيت، ورويت عنهم الرواية، ونقلت الآثار[٣]، ونقدت الأخبار، ونحن نذكرهم وبالله التوفيق وكلامنا فيهم على ثلاثة أقسام:

---

(١) ذكر العمري تفاصيل كثيرة عن دولة الأدارسة في الأندلس، انظرها في الجزء الرابع والعشرين.

(٢) في الأصول: اخوته.

(٣) في كلام العمري هذا بعض التجوز ذلك أن بني الحسين وإن كانوا منارات هدى، وأعلام تقى، ومشايخ علم =

فالأول في ذكر الأئمة منهم.

والثاني في ذكر طبقات ولد الحسين إلى آخر ما ذكره ابن بكار وقد جعلته ثلاثين طبقة دخل بعض الأئمة المشار إليهم فيهم، فأما الأئمة الحادثة موالدهم بعد ابن بكار فاكتفينا بذكرهم في القسم الأول.

الثالث في مشاهير من تملك منهم أو ممن انتسب إليهم.

فالأول نقول: ولد الحسين بن علي، علياً الأكبر وقتل مع أبيه يوم كربلاء، وكان يحمل في جيش بن زياد ويقول[1] [٤٢٤]:

أنا علي بن الحسين بن علي أنا وبيت الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وليس هو من الأئمة، وإنما ذكرناه أنه غير علي أخيه زين العابدين، ليزول اللبس لموافقة التسمية.

ثم يرجع إلى ذكره إذ هو الذي عليه عمود النسب فنقول: وولد الحسين بن علي.

علياً الأصغر

وأمه أم ولد، وهي شهريار بنت يزدجرد شهريار، ومنه العقب، وكان أبر الناس بأمه، وكان لا يأكل معها في صحفة واحدة، فسئل عن ذلك، فقال: أخشى أن تسبق يدي إلى ما وقعت عينها عليه فأكون قد عققتها[2].

وسقط ابن له في بئر وهو قائم يصلي فما زال عن مصلاه، فقيل له في ذلك، فقال: ما شعرت إني كنت أناجي رباً عظيماً.

وكان قوم بالمدينة تجيئهم الذهب صرراً في الليل ولا يعلمون ممن، فلما مات فقدوها، فعلموا أنها كانت منه[3].

وكان له ابن عم لا يصله، فإذا كان في الليل تنكر وأتاه بالدنانير، فيعطيه إياها ولا يعلمه

= ولهم العلوم الجمة، إلّا أن أبناء الحسن لهم أيضاً علوم جمة تناقلها العلماء جيل بعد جيل ومنهم أئمة كبار وصلت إلينا الكثير من آثارهم التي تدل على طول باعهم في العلم.

(١) الزبيري، نسب قريش: ٥٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٢٦٨.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١/٣٨٣.

بنفسه، فكان لا يزال يشكو جفاه له، فلما مات انقطع عنه طارق الليل ودنانيره، فعلم حينئذ الخبر، فجاء إلى قبره يبكي عليه.

وقيل له: إن نافع بن جبير يقول: كان معاوية يسكته الحلم وينطقه العلم، قال: كذب بل كان يسكته الحصر وينطقه البطر.

وقيل له: ما أشد بغض قريش لأبيك، فقال: لأنه أورد أولهم النار وآخرهم العار.

ومن كلامه الندبة، وهي التي لا يكاد شيعي ذو نباه يخلو من حفظها، وهي طويلة.

ومنه وقد سمع وهو يحاسب نفسه ويناجي ربه ويقول: يا نفس حتام إلى الحياة سكونك، وإلى الدنيا وعمارتها ركونك، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من الإفك، ومن فجعت به من إخوانك، ونقل إلى البلاء من جيرانك [٤٢٥].

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بوال دواثر

خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم ... وساقتهم نحو المنايا المقابر

تخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمتهم تحت التراب الحفائر

قال ابن بكار: وكان يكنى أبا الحسن ـ وزعم آخرون أنه يكنى أبا محمد ـ والأول أثبت، وهو الملقب زين العابدين، وكان نقش خاتمه: حزن وشقي قاتل الحسين، وما توفيقي إلا بالله.

ولد بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في الثالث من شعبان، وقيل في الخامس، وقيل في منتصف جمادى الأولى، وتوفي يوم السبت ثالث عشر المحرم سنة خمس وتسعين، وقد أناف على سبع وخمسين سنة بالمدينة، ودفن بالبقيع، ويقال أن الوليد بن عبدالملك دس عليه سماً مات به[1].

وكان علي الأصغر مع أبيه، وهو يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً، فلما قتل الحسين، قال عمر بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض، قال علي بن الحسين: فغيبني رجل منهم وأكرم نزولي واختصني، وجعل يبكي كلما دخل وخرج حتى كنت أقول إن يكن عند أحد خير فعند هذا إلى أن نادى منادي عبيد الله بن زياد ألا من وجد علي بن الحسين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم، قال: فدخل علي والله وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول: أخاف وأخرجني إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم. وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر، فدخلت على ابن زياد، فقال: ما اسمك، فقلت: علي بن الحسين، قال: أولم يقتل الله علياً، قال: قلت: كان أخي يقال له علي، أكبر مني، قتله الناس، قال: بل الله قتله، قلت: الله يتوفى الأنفس حيث

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٦٤/٤١.

موتها، فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد حسبك من دمائنا، بالله إن قتلته إلا قتلتني معه فتركه، فلما [٤٢٦] صار إلى يزيد بن معاوية قام رجل من أهل الشام، فقال: إن سباياهم لنا حلال، فقال علي بن الحسين: كذبت ما ذاك لك إلا أن تخرج من ملتنا، فأطرق يزيد ملياً ثم قال لعلي بن الحسين: إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك فعلت، وإن أحببت وصلتك ورددتك إلى بلدك، قال: بل تردني إلى المدينة، فرده ووصله[١].

وكان يقول: أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً[٢].

وقال له رجل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ، فقال: منزلتهما اليوم[٣].

وعن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه قال: قدم المدينة قوم من أهل العراق، فجلسوا إليّ فتذاكروا أبا بكر وعمر، فسبوهما ثم ابتركوا في عثمان ابتراكاً، فقلت لهم: أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذي قال الله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾[٤] قالوا: لسنا منهم، قلت: أنتم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[٥] قالوا: لسنا منهم، قال: قلت لهم أما أنكم فقد برأتم من الفريقين أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[٦] قوموا عني لا قرب الله دوركم فإنكم مستترون بالإسلام ولستم من أهله[٧].

وولده الإمام أبو جعفر محمد الباقر:

لقبه باقر علم الدين، ولقب بهذا لأنه كان بقر بطن العلم، واطلع على [٤٢٧] ما فيه، وأمه

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٥٨.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٥٨.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٨٨/٤١.

(٤) سورة الحشر، الآية ٨.

(٥) سورة الحشر، الآية ٩.

(٦) سورة الحشر، الآية ١٠.

(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٨٩/٤١.

أم عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي، ونقش خاتمه: العزة لله جميعاً، ولد بالمدينة سنة سبع وخمسين، يوم الجمعة ثالث صفر. وقيل: رجب، وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة أربع عشرة ومائة ودفن بالبقيع[1].

قال الحافظ ابن عساكر[2]: مات مسموماً.

وفيه يقول مالك بن أعين الجهمي[3]:

إذا قيل أين ابن بنت الرسول ... نلت بذلك فرعاً طوالاً

نجوم تهلك للمدلجين ... جبال تورث علماً جبالا

وسئل: لم فرض الله الصوم، فقال: ليجد الغني مس الجوع، فيحن على الضعيف.

وجهز رجلاً إلى العراق، فقال له: أبلغ أهل الكوفة، أني بريء، ممن بريء من أبي بكر وعمر[4].

وقال لابنه جعفر الصادق: إن سبهما من الكبائر فلا تصل خلف من يسبهما[5].

وقال يوماً لأصحابه: أنه يدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ حاجته من الدنانير والدراهم، قالوا: لا، فتبسم، ثم قال: فلستم إذا بإخوان[6].

وكان يقول: المسترسل موقى والمحترس ملقى.

وأتى يوماً قبر أبيه فوقف عليه ثم أطال النظر إليه وقال:

ما غاص دمعي عند نائبة ... ألا جعلتك للبكا سببا

أني أجل ثرى حللت به ... من أن أرى بسواه مكتئبا

وحج هشام بن عبدالملك فدخل المسجد الحرام متكئاً على يد سالم مولاه، ومحمد ابن علي بن الحسين جالس في المسجد، فقال له: اذهب إليه فقل له يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة، فقال له محمد: يحشر الناس على مثل قرصه النقي فيها الأنهار مفجرة، فرأى هشام أنه قد ظفر به، فقال: الله أكبر اذهب فقل له ما

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٦٨/٥٤.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٧٠/٥٤.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٧١/٥٤.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٨٦/٥٤.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٨٧/٥٤.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٩٣/٥٤.

أشغلهم عن الأكل [٤٢٧] والشرب يومئذ ففعل، فقال له محمد بن علي: قل له هم في النار أشغل، ولم يشغلوا أن قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قال: فظهر عليه محمد بن علي(١).

ولده جعفر الصادق

لقبه الصادق، ويكنى أبا عبد الله، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، وكان يقول: ولدني الصديق مرتين بتبجح بهذا، ونقش خاتمه: أنت غياثي فأعصمني من النار.

ولد بالمدينة يوم الاثنين رابع وعشرين ربيع الأول، وقيل: ثامن شعبان سنة ثلاث وثمانين، وتوفي يوم الاثنين منتصف رجب، وقيل: شوال سنة ثمان وأربعين ومائة مسموماً في العنب، ودفن بالبقيع وعمره خمس وستون سنة وثلاثة أشهر ويوم(٢).

وله معرفة العلم اللدني والأسرار المخفية، وعنه أكثر ما ينقل من أخبار أهل البيت عليهم السلام وعلومهم، وله الكلام المشهور في حقائق الأمور، والحديث في الحدثان والكائنات، وغلامه جابر إليه ينسب علم الكيمياء، يقال أنه أخذه عنه(٣).

ومن كنوز المطالب: إن الشيعة الخراسانية الذين قاموا بدعوة بني العباس خاطبوه بأن يخطبوا له ويقوموا بدعوته، فلم يجبهم إلى ذلك لما كان عنده من العلم والأثر في دوله بني العباس، وزعموا أنه كان ينفق من تحت مصلاه من غير أن يكون هنالك شيء.

وبلغه أن الحكم(٤) بن عياش الكلبي قال حين قتل زيد:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان علياً سفاهةً ... وعثمان خير من علي وأطيب

فبلغه قوله، فرفع يديه إلى السماء وهما يرعشان وقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلبك، فبعثه بنو أمية [٤٢٩] إلى الكوفة، فافترسه الأسد، واتصل خبره بالصادق فخر لله ساجداً ثم قال: الحمد لله الذي أنجزنا ما وعد.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٢٧٨/٥٤.
(٢) ابن عنبة، عمدة الطالب: ٣٤٥.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣٢٧/١.
(٤) كذا في الأصول، والصواب: الحكيم وهو الأعور الكلبي الشاعر الشامي المشهور.

وولده موسى الكاظم هذا لقبه

وقيل الحليم والأول أشهر، ويكنى أبا الحسن وأبا إبراهيم، وأمه أم ولد بربرية يقال لها حميدة، ونقش خاتمه كرم الله علي أوجب طمعي في رحمته[1].

وكان أبوه مفرط المحبة فيه، وكان الكاظم يلبس زي الأعراب، وكان كثير التردد بين الحرمين، ومولده ومنشأه بالمدينة، ورامت الإمامية إظهار دعوته في البلاد، فلم يقدر على ذلك، فجرت في الخفية على عاداتها مع آبائه.

وذكر له أن الهادي قد همَّ به، فقال لأهل بيته: بماذا تشيرون؟ قالوا: نرى أنك تتباعد عنه، فإنه لا يؤمن شره، فقال:

زعمت سخينه أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلّاب

ثم رفع يديه إلى السماء وقال: إلهي كم لي من عدو قد شحذ ظبة مديته، وأرهف شبا حده، وذاف لي قواتل سمه، ولم تنم عيني عن حراسته، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن ملمات الجوانح، صرفت ذلك عني بحولك وقوتك لا بحولي وقوتي، فألقيته في الحفير الذي حفر لي خائباً مما أمَّله في دنياه، متباعداً مما رجاه في أخراه، فلك الحمد على ذلك قدر استحقاقك سيدي، اللهم خذه بعزتك، وأفلل حده عني بقدرتك، واجعل له شغلاً فيما يليه، وعجزاً كما يناويه، اللَّهم واعدني عليه عدوى حاضرة يكون من غيظي شفاء ومن حنقي عليه وفاء، وصل اللهم دعائي بالإجابة، وأنظم شكايتي بالتغيير، وعرفه عما قليل ما توعدت الظالمين، وعرفني ما وعدت في إجابة الظالمين المضطرين إنك ذو الفضل العظيم والمن الكريم، قال: ثم تفرق القوم فما [٤٣٠] اجتمعوا إلا بقراءة كتاب جاء بموت الهادي.

ومن كنوز المطالب حكى ابن سعيد أنه زار المشهد الكاظمي ببغداد إذ توجه صحبة ابن العديم حين جهز رسولاً إليها، قال: لما وصلنا إلى بابه تلقانا من خدامه من أنزلنا على بعد، ووجدنا في الطريق إليه صورة قبر متطامن يداس، فسألنا عنه، فقيل: هذا قبر ابن الحجاج الشاعر، أوصى أن يدفن في طريق هذا المشهد ليداس بأقدام زواره، فلما وصلنا إلى الباب تلقانا الشرفاء من ولد الكاظم، فأمرونا بنزع الأخفاف، فلما دخلنا رأينا من الجمع المحتفل، وأواني الذهب والفضة والستور والشموع والطيب ما ملك أبصارنا، ولما حللنا بالروضة التي فيها قبر الكاظم رأينا قبراً آخر ذكروا أنه قبر حفيده محمد الجواد ابن علي الرضا بن موسى الكاظم، وفي ذلك المشهد ما يطول ذكره، ويهول أمره، فقام داعي القوم فاستقبل القبر، وكان من دعائه: اللهم بحق ذرية

---

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٩٩.

نبيك الذين هم سفن النجاة، وأبواب الجنة، وغمائم الرحمة، ومعادن البركة، وأعلام الأرض، ومصابيح الإيمان، ومر على هذا النوع بما أبكى العيون وأقلق القلوب، ثم ذكر ما جرى عليهم في الآفاق من المحن، وأن ذلك يكون وسيلة لهم، وذخراً إلى يوم القيامة حيث شفاعة جدهم ﷺ قائمة والأنفس على حوض أبيه حائمة.

قال: ثم سألت أحد عقلاء الشرفاء الذين بذلك المكان، وقد توسمت فيه الرجاحة والخير كيف يحتمل هذا بنو العباس؟ فقال: منعوه بجهدهم ثم لما رأوا غلبة القلوب على ذلك، وإنكار العالم لإنكاره أعانوا عليه بالأموال والسلطان ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

وقال: إنه شهد به يوم عيد [٤٣١] الغدير، وذكر ما يهوله من احتفالهم به وقيام خطيبهم فيه، وذكر ما كان يوم الغدير، وما قاله رسول الله ﷺ فيه، ثم لا تحلق جماعاتهم لاستماع مدائح الشعراء لأهل البيت، قال: ولم أسمع فيه سباً للصحابة ولا مثل سوء.

قلت: وللكاظم كلام جزل وشعر فحل وألطف ما سمع من شعره قوله:

وكـم أرسـلـت نـحـوك مـن رسـول	ومـا أدى الـهـوى مـثـلـي رسـول
يـقـول بـجـهـده فـي كـل فـن	ولـكـن لـيـس يـدري مـا يـقـول
ولـيـس بـصـدره قـلـبـي فـيـلـقـى	إلـيـك هـوى أنـا مـنـه قـتـيـل

ومن كلامه قوله: من لم يعرف الزيادة فهو في النقصان، ومن كان في النقصان فالموت خير له من الحياة.

وكان الرشيد يحبه ويهابه، وكان الناس يقولون له فيه، فيقول: ليس يأتيني منه شر إنه متورع عن سفك الدماء، قال له: ما تغشانا، فقال له: إن غشيتك ذللت لطلب الدنيا، وأن غشيتني أنت وصلت رحما طالما قطعت، وكان الرشيد يزوره ويتفقده.

ولد بالأبواء سابع صفر، وقيل رابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة وتوفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رجب، وقيل لست خلون منه سنة ست وثمانين ومائة، وعمره خمس وخمسون سنة ودفن بمقابر قريش ببغداد. وكان عند ابن شاهك في دار معتقلاً بها موسعاً عليه فيها فسمّه الرشيد في رطب.

وولده علي الرضا هذا لقبه

ويكنى أبا الحسن، وأمه أم ولد اسمها مكتوم، وقيل أم البنين، ونقش خاتمه: أنا ولي الله، وولد بالمدينة يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة، وقيل منتصفه سنة ثمان وأربعين ومائة، وتوفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم سنة ثلاث ومائتين، وعمره خمس وخمسون [٤٣٢] سنة

ودفن بأرض طوس، وكان المأمون قد عهد إليه فتنكر له بنو العباس فخافهم فسم في العنب على يد عبد الله بن بشير، ولما أحس بالموت تمثل بقول الشاعر:

فليت كفافاً كان خيرك كله وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

ثم جاءه رسول يقول له: ما توصي به؟ فقال للرسول: قل له يوصيك ألا تعطي أحداً ما تندم عليه، وليس في الإمامية من خطب له بعد الحسن بن علي غيره.

وأتى المأمون بنصراني فجر بهاشميه، فلما رآه أسلم فغاظة ذلك، وسأل الفقهاء، فقالوا: هدر الإسلام ما قبله، فقال الرضا: اقتله فإنه أسلم حين رأى البأس، وقد قال الله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[1].

وعن أبي الصلت قال: كنت معه وقد دخل نيسابور وهو راكب على بغله شهباء فغدا في طلبه العلماء، وقالوا له: بحق أبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته منهم، فقال: حدثني أبي الكاظم، قال: حدثني أبي جعفر الصادق، قال: حدثني أبي باقر العلوم النبوية قال: حدثني أبي زين العابدين علي بن الحسين، قال: حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي، قال: حدثني أبي سيد العرب علي بن أبي طالب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، فقال الإمام أحمد لما سمع هذا: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه، وقيل إنه قرئ على مصروع فأفاق.

ودخل عليه بخراسان قوم من الصوفية، فقالوا له في كلام قالوه: إن الأمة تحتاج أن لا يلي أمرها إلا من يأكل الخشف ويلبس الخشن ويركب الحمار[٤٣٣] ويعود المريض، وكان الرضا متكئاً فاستوى جالساً وقال: قد كان يوسف يلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب، ويجلس على متكئات فرعون، ويحك أنما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز، إن الله لم يحرم لبوساً ولا مطعماً، ثم تلا ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[2].

وقال له الفضل بن سهل في مجلس المأمون: يا أبا الحسن الناس مجبورون، قال: الله أعدل من أن يجبر ثم يعذب، قال: فمطلقون، قال: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه.

---

(١) سورة غافر، الآيات ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٢.

وسئل عن قول جعفر الصادق: لا جبر ولا تفويض أمر بين أمرين فما معني الأفعال، فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا فقد قال بالتفويض، الأمر بين أمرين وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا[1] به وترك ما نهوا عنه.

وكان الرضا أسود، كانت أُمه أمةً سوداء، حكي أنه دخل حماماً فامتد للراحة في بيت من بيوته، فحركه أحد العامة وقال: يا عبد يا عبد قم فاخدمني، فقام فخدمه فبينا هو كذلك إذ دخل الحمام نفر من خدامه، وقالوا له: ما هذا الذي تصنع فذكر لهما ما جرى بينهما، فقاموا ليضربوا الرجل، فقال لهم الرضا: دعوه ليس له ذنب، وإنما الذنب لأبي إذ وضع ذرية النبوة في أمة سوداء.

ولما أصار المأمون إليه العهد، وقام ابن المهدي ببغداد كان كل منهما أسود، فلما دخل المأمون طوس قرأ على حائط مر به: يا من غرر في طلب الخلافة برأسه حتى أدركه بعد قطع رأس أخيه بأي عقل صرفتها عن أهل بيتك إلى بيت بينه وبين بيتك عداوة القرابة، واحن الثأر، وحقود القتل مع ما تدعي من علوم المسلمين والفلاسفة، لقد أصبحت ظافراً [٤٣٤] منهما بخفي حنين، وجئت وأنت نهار بين ظلامين، فقيل: إن هذا الكلام فعل في خاطره فعلاً عظيماً، ولم يزل به يفكر حتى سم الرضا ثم نهض إلى بغداد فظفر بابن المهدي، ثم قال: الآن خلصت من الظلامين.

ولما أصار إليه المأمون العهد حول الشعار إلى الخضرة، وقال له المأمون يوماً وهو يلعب معه: ما الشاهد على حقكم في هذه الإمامة، فقال الرضا: حق أظهرته لا يحتاج إلى شاهد، ثم كتب إليه:

سأشكر ما أوليت من وصل فرقه ... مقطعة الأرحام في الغرب والشرق

رعيتم لنا حقاً أضاعوه قبلكم ... فلا ضيع الرحمن مالك من حق

ووجد المأمون مرة على الرضا، فكتب إليه الرضا:

أعذني من الهجران واستأنف الردا ... وجدد بعهد الصلح من وصلنا عهدا[2]

ولا تطلع الواشين في غير عادر ... فإني سليم الصدر لا أعرف الحقدا

فرجع له إلى ما كان عليه.

---

(١) ت، ك: ابروا.

(٢) ب: واستأنف الرضا.

ومن كلامه: لا يسلك طريق القناعة إلَّا رجلان إما مستقلل يريد أجر الآخرة أو كريم يتنزه عن لباس الناس.

وقوله: أصحب السلطان بالحذر، والصديق بالتواضع، والعدو بالمداراة، والعامة بالبشر.

وعزى الفضل بن سهل، فقال له: التهنئة بأجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصاب.

ولما توفي دفنه المأمون بطوس في قبة الرشيد إلى جنبه.

وذكر الحافظ ابن عساكر: أنه مات فجأة من عنب أكثر منه، وقيل بل سم ـ والله أعلم ـ.

ولده[1] محمد الجواد هذا لقبه

ويلقب أيضاً بالتقي، ويكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد مكية يقال لها الخيزران، ونقش خاتمه: المهيمن عضدي، وزوجه المأمون ابنته، وأنفذها معه إلى المدينة، وكانت الإمامية تدعو له سراً، ثم خافه المعتصم فأحضره وأحسن إليه وأظهر السرور لمجاورته [٤٣٥] فأقام ببغداد حتى مات وصلى عليه الواثق وهو ولي عهد، ودفن عند جده الكاظم بالجانب الغربي.

وكان كريماً يهب كلما يملك، وقال له رجل: أعطني على قدر مروتك، قال: لا يسعني، قال: أعطني على قدري، فأعطاه مائتا دينار.

وولد ببغداد يوم الجمعة في رمضان، وقيل: في رجب سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفي يوم الثلاثاء في ذي القعدة، وقيل: في ذي الحجة سنة عشرين ومائتين، وعمره خمس وعشرون سنة، سمه المعتصم، ودفن بمقابر قريش ببغداد.

ولده علي العسكري ويلقب بالهادي

وقيل: المنتخب، وقيل: الفتاح، ويكنى أبا الحسن، وأمه أم ولد اسمها سمانة، ونقش خاتمه: حفظ العهود نيل السعود، ولد بالمدينة في رجب، وقيل: في ذي القعدة، وقيل: في ذي الحجة سنة عشرين ومائتين. وتوفي يوم الاثنين ثالث رجب، وقيل: في الخامس والعشرين منه سنة أربع وخمسين ومائتين سمه المعتز.

وكان المتوكل قد خافه فأشخصه حتى أقام ببغداد، وقيل له عند موته: ألك حق توصي به، قال: نعم، روحي والذي أتلفها هو الحاكم في الدنيا، وقد أسندت الأمر إلى حاكم الآخرة فلم يمهل الله المعتز، فخلع وقتل في السنة الآتية.

---

(١) ب: والده.

وولده الحسن العسكري هذا لقبه

ويكنى أبا محمد، وأمه أم ولد يقال لها حديث، ونقش خاتمه: أنا شهيد الله، وقيل له العسكري لأنه ولد بالعسكرية، بسر من رأى، واعتكف فيها في دار أبيه حيث دفق على مطالعة العلم والعبادة إلى أن مات في خلافة المعتمد، وعمره تسع وعشرون.

ومن دعائه: اللهم لا تكلني إلى أحد من خلقك وإن كان فيّ محبّا ولي مكرماً، فإن المخلوق من شأنه التغيير والنقص.

وترك جارية حاملاً أخذها المعتمد، فولدت عنده في داره فغيبه ثم هرب من داره على ما يذكر.

وولد العسكري [٤٣٦] بالمدينة يوم الاثنين رابع ربيع الآخر وقيل: في عاشره سنة اثنتين ومائتين، وتوفي يوم الأحد، وقيل: الجمعة، ثاني ربيع الأول سنة ستين ومائتين وقيل أن المعتمد سمه، ودفن مع أبيه.

وولده المنتظر القائم الحجة

ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد اسمها نرجس، ونقش خاتمه: أنا حجة الله، ولد بسر من رأى صبيحة الجمعة تاسع عشر رمضان، وقيل: نصف شعبان سنة ستين ومائتين، وطلبه المعتمد فخيف عليه فتغيب، وللشيعة في أمره أقوال.

ومن كنوز المطالب: أنه انتقل بعد وفاة الموفق إلى حبس المعتمد إلى أن فر من محبسه، ودخل دار أبيه وجده وغاص هنالك في السرداب المشهور، والإمامية تنتظره إلى الآن، وتزعم أنه يشبه في طول حياته الخضر، وأنه يخرج فيملأ الأرض عدلاً، وتسمى الفرقة القائلة بهذا الوقفية.

وكانت ملوك العجم توقف بغلة على باب السرداب ليركبها إذا خرج، فلما جدد أبنية ما هنالك وقف على السرداب وقال: يا ابن عم أنا صاحب الوقت ومني يخاف مثلك إذا خرج، فأخرج فها أنا بين يديك، وأطال الوقوف وترديد هذا القول، فلما لم يجد مجيباً صرف البغلة.

والمشهد العسكري بين تكريت وبغداد من الجانب الغربي، وهو مسور كالحصن، وبه مساكن ودكاكين من بناء الناصر، والأصل بناء عضد الدولة بن بويه، وللمشهد حرم مختص بالترب الكريمة، وفيه القبة العظمى فيها مدفن الإمامين الهادي والعسكري، وعليهما قبتان من بناء مسلم بن قريش العقيلي، وبقربهما دار العسكري، وفيها السرداب ينـــزل إليه بدرج من الرخام الملون ينـــزل منها إلى مكان كالبيت المستطيل في غاية الزخرفة وفي آخره روزنة صغيرة قدر ما

يدخل منها الذراع، زعموا أن الإمام دخل منها إلى علم الله، ثم منها يكون خروجه، وقومة السرداب يمنون على من مكنوه من أنه يدخل يده هناك ليدعوا، فهؤلاء [٤٣٧] هم أئمة أهل البيت عليهم سلام الله ورحمته وبركاته.

ذكر طبقات ولد الحسين[١] إلى آخر ما ذكره ابن بكار

وهي ثلاثون طبقة لم أرتبها على حكم علو القعدد ولكن على حكم تقديم ابن بكار.

قال: فولد علي الأصغر بن الحسين: حسناً ولا بقية له، وحسين الأكبر ولا بقية له، ومحمد بن علي وهو أبو جعفر، قلت: هو الباقر، وعبد الله، وزيد بن علي[٢]، وقتل بالكوفة، قتله يوسف بن عمر زمان هشام بن عبدالملك بعث إليه، فأخذ بمكة هو وداود ابن علي واتهمهما أن يكون عندهما مال لخالد بن عبد الله القسري حين عزل خالداً، فقال كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي حين أخذ زيد بن علي وداود بن علي[٣]:

يـأمـن لـه الـظـبـي والـحـمـام ... ولا يـأمـن أهـل الـنبي عـنـد الـمـقـام

طـبـت بـيـتـاً وطـاب أهـلـك أهـلا ... أهـل بـيـت الـنـبـي والإسـلام

رحـمـة الله والـسـلام عـلـيـكـم ... كـلـمـا قـام قـائـم بـسـلام

حـفـظـوا خـاتـمـاً وجـرَّ رداءٍ ... وأضـاعـوا قـرابـة الأرحـام

قال: ويقال أن زيداً بينا هو على باب هشام في خصومة عبد الله بن الحسن في الصدقة ورد كتاب يوسف بن عمر في زيد وداود ومحمد بن عمر بن علي وأيوب بن سلمة، فحبس زيداً وبعث إلى أولئك فقدم بهم، ثم حملهم إلى يوسف بن عمر غير أيوب ابن سلمة، فإنه أطلقه لأنه من أخواله، قال: وبعث زيداً إلى يوسف بن عمر بالكوفة فاستحلفه ما كان عنده من المال وخلى سبيله حتى إذا كان بالقادسية لحقته الشيعة فسألوه الرجوع معهم والخروج ففعل، ثم تفرقوا عنه إلا نفرا فنسبوا إلى الزيدية، ونسب من تفرق عنه إلى الرافضة[٤].

قال: يزعمون أنهم سألوه عن أبي بكر وعمر فتولاهما، فرفضته الرافضة، وثبت زيد في الزيدية فقتل وانهزم أصحابه[٥].

---

(١) «ذكر طبقات ولد الحسين» ساقطة من ت، ب.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٥٨.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٦٧/١٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٦٧/١٩ ـ ٤٦٨.

(٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٦٤/١٩.

وفي ذلك يقول [٤٣٨] سلمة بن الحر بن يوسف بن الحكم[١]:

وأمتنا جحاجح من قريش فأمسى ذكرهم كحديث أمس
وكنا أس ملكهم قديماً وما ملك يقوم بغير أس
ضمنا منهم ثكلاً وحزناً ولكن لا محالة من تأس

وعن الزهري قال: دخل زيد بن علي مسجد المدينة نصف النهار في يوم حار، فرأى سعد بن إبراهيم في جماعة من القرشيين قد حان قيامهم فقاموا فأشار إليهم، فقال لهم سعد بن إبراهيم: هذا زيداً يشير إليكم، فوقفوا له فجاءهم، فقال: أي قوم أنتم أضعف من أهل الحرة، قالوا: لا، قال: فأنا أشهد أن يزيداً ليس شراً من هشام، فما لكم، فقال سعد لأصحابه: مدة هذا قصيرة، فلم ينشب أن خرج فقتل[٢].

وعن عبد الكريم بن شعيب الحجبي قال: أقبل زيد بن علي فدخل المسجد وفيه نفر من قريش قد لحقتهم الشمس في مجلسهم، فقاموا يريدون التحول، فلما توسط زيد المسجد تخوف أن يفوتوه فحصبهم فوقفوا له، فقال لهم: أقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي؟ قالوا: نعم، قال: ثم مات يزيد. قالوا: نعم، قال: فكأن حياة بينهما لم تكن، قال: فعلم القوم أن زيداً يريد أمراً[٣].

ومما ذكره ابن عساكر[٤]: أن زيداً قام بالعراق واجتمع بالناس وكاد يتم له الأمر، فحاربه جيش هشام وأصيب بسهم وحمل وأحضر أصحابه طبيباً فانتزع السهم فصاح زيد، ثم مات رحمه الله ودفنه أصحابه في حفرة وأجروا عليها الماء خوفاً من جيش هشام أن يخرجوه ويمثلوا به، وكان معهم مولى سندي فدل عليه فأخرج وقطع رأسه وصلبت جثته وجهز رأسه إلى هشام فنصبه على باب دمشق ثم كان من أمر ابنه يحيى ما نذكره في موضعه.

وها نحن نذكر تتمة أولاد علي بن الحسين:

فولد أيضاً عمر بن علي، وقيل له: هل فيكم أهل البيت إنسان مفترضة [٤٣٩] طاعته، فقال: لا والله ما هذا فينا، من قال هذا فينا فهو كذاب، وذكرت له الوصية، فقال: والله مات أبي فما أوصى بحرفين، قاتلهم الله والله إن هم إلا يأكلون بنا[٥].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٦٨/١٩.
(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٦٩/١٩.
(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٦٩/١٩ ـ ٤٧٠.
(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤٧٢/١٩.
(٥) الزبيري، نسب قريش: ٦١ ـ ٦٢.

وولده أيضاً: علي بن علي، ومحمد الأصغر لا بقية له، وعبدالرحمن بن علي درج، وحسيناً الأصغر بن علي، وسليمان، وحسيناً الأصغر الثاني وهو أصغر إخوته، وقد روي عنه الحديث، والقاسم ولا عقب له[1].

الطبقة الثانية أولاد محمد الباقر بن علي بن الحسين.

فولد محمد بن علي، جعفر ابن محمد، وإبراهيم، وعبيد الله درجا، وعلياً[2].

الطبقة الثالثة أولاد جعفر بن محمد وهو الصادق.

فولد جعفر: إسماعيل، وعبد الله، وموسى، وإسحاق، ومحمداً، وعلياً، والعباس ولا بقية له[3].

الطبقة الرابعة أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق.

فولد محمداً، وعلياً[4].

الطبقة الخامسة أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

فولد محمد بن إسماعيل: جعفر بن محمد، وإسماعيل بن محمد[5].

الطبقة السادسة أولاد موسى الكاظم.

فولد موسى بن جعفر: علياً، وإبراهيم، والعباس، والقاسم، وإسماعيل، وجعفراً، وهارون، وحسناً، وأحمد، ومحمد، وعبيد الله، وحمزة، وزيداً، وعبد الله، وإسحاق، وحسيناً، والفضل، وسليمان.

وزيد بن موسى هذا ذكر مؤلف الكنوز أنه زيد النار، وقد ذكره ابن الربيب وسمى بهذا لكثرة من أحرقهم بالبصرة من المتحرفين عن أهل البيت أيام فتنته وفي زمان المأمون[6].

وإبراهيم أخوه هو المسمى بالجزار وقد قام باليمن[7].

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٦٢.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٦٣.

(٣) الزبيري، نسب قريش: ٦٣.

(٤) الزبيري، نسب قريش: ٦٣.

(٥) الزبيري، نسب قريش: ٦٤.

(٦) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٣٤.

(٧) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٣٤.

وزيد هذا ولد زيداً المسمى زيد الجنة، وحمل إلى بغداد في محنة الفاطميين أيام المتوكل، وكان من لطف الله به أن جعل ابن أبي داود يمتحنه، فقال للمتوكل: كلما يصدر من هذا أنا مطلوب به، رأيت والله رجلاً ما في خاطره من الدنيا مثقال ذرة، وأمير المؤمنين أحوج إلى أن يستغفر الله مما فعل معه، فأحسن إليه وأطلقه، فقيل له[٤٤٠]: هلا سرت إلى ابن أبي داود تشكره فأتاه، فقال له: سألتك عن سعيك في تخليصي، كان للدنيا أو للآخرة، قال: يا سيدي ومن أين لرجاء الدنيا قبلك طريق، إنما خلصتك لله ولجدك[1]، قال: فجزاؤك إذا عليهما، فدمعت عينا ابن أبي داود وقال: المجالس بالأمانات، الإسلام أعين حظاً أن تكون أنت خليفة لأهله.

وأما العباس بن الكاظم، فمن ولده: محمد بن جعفر بن محمد بن موسى بن العباس، ويعرف بضعيف، كان بالبصرة وكان يضعف في عقله بزعمهم، وإنما كان محدثاً فلما كثر كلامه على المغيبات أرسل إليه بنو العباس قوماً ليقتلوه، فأتوه في صوره شيعة يظهرون التوجع لأهل البيت والقيام بما ضيع من حقوقهم، فقال لهم: دعوني مما تقولونه من غير ضمائركم وأمضوا إلى ما أرسلتم إليه مما هو مقدر من قبل أن أخلق، قالوا: وماذا أرسلنا إليه، قال: أرسلتم لقتلي، فنظر بعضهم لبعض فعلم مرادهم، فقال: لا يظهر على غيبه أحداً، وإنما أنا محدث انظر بنور الله واقتبس من مشكاة نبوته، قالوا: فاغفر لنا فإنا مأمورون، فقال: ليس لي ذلك سيحكم الله بيني وبين من قتلني أو شارك في قتلي، ولو توزعتموه فقتلوه رحمه الله.

أما حمزة بن الكاظم، ممن ولده: الشريف ابن أميرك الموسوي النيسابوري، ولم أقف على صلة نسبه، ولا على حقيقة اسمه ذكره أبو زكريا بن منده في تاريخ أصبهان قال: إنه قدم عليها وطاف أقطار البلاد، وكان أديباً شاعراً، حافظاً للحديث، مشهوراً بحفظ الغرائب، متنزهاً عن أخذ الغرائب.

ومن شعره الذي أنشد له قوله:

ودعتهم ولي الدنيا مودعة ... ورحت ومالي سوى ذكراهم وطرُ
يا ساعة ليت الساعة اقتربت ... ويا غرامي أنت النار تستعر [٤٤١]

وذكر مؤلف الكنوز: أنه زيد بن الحسين بن الحسن بن محمد بن أبي القاسم أحمد ابن القاسم بن حمزة بن الكاظم.

وقال: ومن المنسوبين إلى موسى الكاظم، ولم أقف له على اتصال بنسب مسلسل جمال الإسلام أبو القاسم علي بن موسى الموسوي المروزي، وذكره الباخرزي وأخبره أنه سعد بضيافته

---

(١) ب: ولجدتك.

في رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة، فرأى من دسته المطروح، وزنده المقدوح خيراً وخيرا ونعيما، وملكاً كبيرا، وأنشد له شعراً غير طائل.

ومن سروات البيت الكاظمي الشريف ذو المناقب الطاهر أبو أحمد الحسين بن ...[١] وكان سيداً جليلاً إليه النقابة وعليه تعقد في المواسم الذؤابة، وكان كبير القدر، نابه الذكر، مرشحاً للخلافة، يخاف ويرجى[٢].

ثم ولده المرتضى ذو المجدين أبو القاسم لسان المتكلمين، ولولاه لم يحفل بأهل الاعتزال، ولا عد للشيعة مذهب يدون لهم فيه كتب، وله المصنفات الممتعة، و الشعر الحسن، وأولع فيه يذكر الطيف ومن شعره قوله[٣].

والرضى ذو الحسبين، أبو الحسن محمد وهو الشريف الرضى، الشريف الوضيىء، كوكب ذلك الأفق، ومطلب تلك الطرق، وخلوق ذلك الخلق، وسر تلك الأسرة التي تنكس لها الكواكب خاضعة العنق، ابن النبي والوصي، وفاطمة وعلي، من تلك الطينة الطاهرة، والفطنة الزهراء الزاهرة، طلع في سماء الشرف هلالاً، وجمع من سحاب الكرم زلالاً، خلع زمانه على معاطف الدنيا جلالاً، وجمع أوانه للمكارم حلالاً، أشرق من بيت النبوة مشكاة أنوار، وأغدق في نسب النبوة كنانة أمطار، وكان هو وأخوه المرتضى ممن تأدب على ابن دريد، وأدى إليه أدبه ما أخذه بأيد.

وحكى ابن دريد أنه رأى في منامه أن علياً كرم الله وجهه أتاه بالحسنيين رضي [٤٤٢] الله عنهما، وقال له: خذ ابني فأدبهما، فأصبح يقص رؤياه على من حضره فما أكمل كلامه حتى أتاه الشريف الطاهر بولديه المرتضى والرضى، وقال له: خذ ابني وأدبهما، فأخذهما وأحسن أدبهما، فأما المرتضى فكان إماماً باحثاً ذا رأي ونظر، وأما الرضى فكان أديباً شعره أرق أنفاساً من نسيم السحر، وأرق اختلاساً من النفاث إذا سحر، فشابه ما رق بما راق وشاب لطف الحجاز بحلاوة العراق، وقال ففات القول وفاق على أن كلاً منهما كان في العلم والعمل بارعاً، وفي التصرف في مذاهب العشاق يدع ساكن الجزع على ظبياته جازعاً، إذ أن المرتضى بالعلم أشهر، والرضى في الشعر أمهر، وكان ملء الصدور والعيون، ولا تزال الخلفاء تخاف وثوبه، وهمت بإقامته بنو بويه، وكاد أمره يتم لولا معاجلة الأقدار الصابي الكاتب بنكبته وحط رتبته، فإنه كان

---

(١) فراغ في الأصول بقدر كلمة.

(٢) ابن عنبة، عمدة الطالب: ٣٥٥.

(٣) لم يذكر العمري شعره. وهو غير موجود في الأصول الخطية.

الساعي له عندهم، والداعي إليه أشياع قلوبهم، وكانت نفسه تحدثه بمعالي الأمور، وفي ذلك يقول:

أشتر العز بما شئت ... فما العز بغالي
ليس بالمجنون عقلاً ... من شرى عزاً بمالِ

وكان إليه نقابة الطالبيين، وكان ينصب إليه كرسي في مجلس الخليفة إذا حضره والخلفاء تراه بعين التعظيم وتراه متطلباً للأمر، وجلس مرة في مجلس الطائع فشم لحيته، فقال له الطائع: أتشم منها رائحة الخلافة، فقال: لا ولكن رائحة النبوة، فعز عليه هذا وعظم لديه، وزوى عنه جانباً من وجه، فلم تلن له حصاة الرضا ولا جزع، ثم دخل بينهم الناس بما عاد له وجه رضاه، ثم مدحه الرضى بقصيدة قال فيها:

مهلاً أمير المؤمنين فإننا ... في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا في السيادة معرق [٤٤٣]
إلّا الخلافة ميزتك فإنني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

وكان إليه النظر في المظالم، وإمرة الموسم، فتخطا النظراء ووطئهم بميسم، وعدى الأكفاء وهو مفتر المبسم، ساد بغير مشقة، وسار ذكره وما طوى للبيداء شقة، بل ورث السؤدد عن آبائه، وبعث هممه حتى شد بالفرقد طنب خبائه.

وكان في نقابة الطالبيين قطب دائرتهم، وخطب نائرتهم، وخطيب مجامعهم، إذا حضر يتكلم وهم سكوت، ويتقدم وأجرأ من فيهم لو نظر إليه شزراً كاد يموت، وله في النظر في المظالم ما كشط بصباح العدل غياهبها، وكشف من دفاتر الأيام معايبها، وكشر بقلم تواقيعه بابا فرض نوائبها.

وكان في إمرة الموسم مأوى الطارق، ومثوى الجود الذي يشغل يد السارق، وكان لا يزال محسوداً على فضله، مفصلاً فضفاض ظله، لا يفيض له إناء الرزق، ولا يكف عنه عرب اللسان، منغصاً عليه العيش، منكداً طول العمر، وكان لا يستروح إلا أيام الحجيج، ومع هذا تشغل عليه العيون، وتذكى عليه الحرين، ويخاف منه لا يفر إلى مصر لمكان الفاطميين منها، ودليل على جملة حاله قوله:

من يشتري مني جميع فضلي ... بساعة من عيش أهل الجهل
كنت أرى العقل نفاق مثلي ... حتى غدوت كاسداً بعقلي

يُسير بالوفود إلى البيت العتيق، ويعود وبين مسراه وتاوئبه عنى كل فريق ومنى كل رائد،

تسرح سوامه جنبات الطريق، يبني بكل عالية البقاع قبابه، وينوح في كل مشرفه البقاع ركابه، والجنائب بين يديه تقاد، والأعلام الخضر على رأسه منشورة إلَّا ما غلبت عليه في الوسط حوة السواد، وهو العلم الخليفتي الساري بخفارته الركب، السائر سائر الحجيج، مؤملاً كرمه السكب، مظهراً هنالك [٤٤٤] ما يكاتمه، مصدراً أوامره، والكتب كتبه، والخاتم خاتمه، متعهداً أرضا له بها علائق وجد، وعلائم مواريث أب وجد، ومربى صبا، منشاؤه إما تهامة أو نجد، يلذ من ماء وجرة نهلة بفمه، ويستطب من أرواح نعمان نسمةً لسقمة، ويشتم بنجد شيحة حاجريَّة فيفرشها خده، ويشم بارق النقى فيذكر عهده، وبان لشر قلب أرثت الذكرى وقده، وتحن فنشرب دمعه ولا العذيب ولا برده، ويتعرض له رسل الشوق والركب هاجد، فيوقظه من بين نوامهم وحده، ويستبعد المدى فيتمنى في وهدةٍ من الأجارع رقده، يبكي بالعراق نهاره كله على ليل تهامه، ويتطلب الكرى لعل له في الطيف إلمامة يهوى ترابها لا لحبيب ويكثر تذكرها لا لحاجة.

إلَّا أن أشعاره عليها نسيب كان لقلبه الموجع، وصدره النافث بما ينفث به المصدوع، يصرف همومه في شعره تارة بنسيب بكى به بغير دموع، وتارة برثاء يوقد النار إلَّا أنها مما تجن الضلوع، وما ذلك كله منه لحب غانية فتنته، ولا لدفين دفنه إلَّا ما كتمته جوانحه، وأكنته من أمنية بطلب الخلافة لم تطل إليها يده، ولم يطيق تجرع الصبر عليها جلده، ولو كانت له ولأهل بيته ما عدت محلها، وكانوا أحق بها وأهلها، ولكنه علم سبق ووعد صدق.

وقد كنت اخترت شعره في عنفوان الصِّبا، وقلت في أوله: أما بعد حمد الله مختار الرضى، والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد القمر المضيء، وعلى آله وصحبه ذوي النسب الوضيء، فلما كان شعر الشريف الرضى في الذورة والسنام، وهو من الشعر حيث هم من الإسلام اخترت منه، ومن أخصب تخير، وما محاسن شيء كله حسن[٤٤٥] ومنه قوله في البرق[1]:

ألـم بـنـا كـنـبـض الـعـرق وهـنـاً	فـلـمـا جـازنـا مـلأ الـسـمـاء
كـأن ومـيـضـه أيـدي قـيـونٍ	تـعـيـد عـلـى قـواضـبـهـا جـلاء

وقوله في الحكمة[2]:

أرى الناس يهوون الخلاص من الأذى	وتـكـمـلـة الـمـخـلـوق طـول عـنـاءِ
ويـسـتـقـبـحـون الـقـتـل والـقـتـل راحة	وأتـعـب مـيـتٍ مـن يـمـوت بـداءِ

---

(١) الديوان: ١/١٩.

(٢) الديوان: ١/١٠.

وقوله في المدح[1]:

هو الليث لا مستنهضٌ عن فريسةٍ ... ولا راجع عن فرصةٍ لحياءِ
هو النابه النيران في كل ظلمة ... ومجرى دماء الكوم كل مساءِ
ومعلى حنين القوس في كل ساعة ... بسهم نضالٍ أو بسهم غلاءِ
فخار لو أن النجم أعطي مثله ... ترفع أن يأوي أديم سماءِ
مغارس طالت في ربى المجد فالتقت ... على أنبياء الله والخلفاءِ

وقوله في جيش[2]:

وجيش مضرٌّ بالفلاة كأنه ... رقاب سيول أو متون نهاءِ
كأن الربى زرت عليه جيوبها ... وردته من بوغائها برداء

وقوله في رثاء ابن الطائع[3]:

إنا بنو الدنيا تسير ركابنا ... وتغالط الإدلاج والإسراءَ
كمصاب أبلج من ذؤابة هاشم ... ولج القبور وأزعج الخلفاءَ
وتر الردى من لو تناول سيفه ... يوماً لنال من الردى ما شاءَ
قبر تشبث بالنسيم ترابه ... دون القبور وعقّل الأنواءَ
فالصبر عن ولدٍ تجيء بمثله ... أولى ولكن تندب الأبناءَ
فالابن للأب إن يعرض حادث ... أولى الأنام بأن يكون وقاءَ
وإذا ارتقى الآباء أمنع نجوةٍ ... فدع الردى يستنزل الأبناءَ [٤٤٦]
ورد الزمان به وأورده الردى ... بغياً فأحسن مرةً وأساءَ

وقوله في التسلية والتأسي[4]:

ودهر لا يصح به سقيم ... وكيف يصح والأيام داءُ
تنال جميع ما تسعى إليه ... فسيان السوابق والبطاء
إذا ما الحر أجدب في زمان ... فعفته له زاد وماء

---

(١) الديوان: ١٠/١.
(٢) الديوان: ١١/١.
(٣) الديوان: ٢٣/١.
(٤) الديوان: ٣٨/١.

أقول لفتية زجروا المطايا — وخف بهم على الإبل النجاء(1)
ردوا واستفضلوا نطفاً فحسبي — من الغدران ما يسع الأناء
أمر بداركم فأطيل شوقاً — ويمنعني من النظر البكاء

وقوله يفتخر(2):

فجربني تجدني سيف عزم — يصمم غربه وزناد راءِ
واسمر شارعاً في كل نحر — شروع الصِّل في ينبوع ماء

وقوله في الرثاء(3):

انظر إلى هذا الأنام بعبرة — لا يعجبنك خلقه ورواءه
لا تعجبن فما العجب فناؤه — بيد المنون بل العجيب بقاءه
من طاح في سيل الردى أباؤه — فليسكن طريقه أبناؤه

وقوله في رثاء والدته(4):

أبكيك لو نقع الغليل بكائي — وأقول لو ذهب المقال بدائي
طوراً تكاثرني الدموع وتارةً — آوي إلى أُكرومتي وحيائي
كم عبرة موهتها بأناملي — وسترتها متجملاً بردائي
فارقت فيك تماسكي وتجملي — ونسيت فيك تعززي وإبائي
كم زفرة ضعفت فصارت أنةً — تممتها بتنفس الصعداء
وتداول الأيام تبلينا كما — يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء
وكأن طول العمر روحة راكب — قضى اللغوب وجد في الإسراء [٤٤٧]
لو كان مثلك كل أمٍّ برّةٍ — غني البنون بها عن الآباء
ما مات من نزع البقاء وذكره — بالصالحات يعد في الأحياء
رُزآن يزدادان طول تجدد — أبد الزمان فناؤها وبقائي
شهد الخلائق أنها لنجيبة — بدليل ما ولدت من النجباء

---

(١) ب: لفتية جزروا.

(٢) الديوان: ١٧/١.

(٣) الديوان: ٣٣/١.

(٤) الديوان: ٢٧/١.

دخرت لنا الذكر الجميل إذا انقضى ... ما يدخر الآباء للأبناء
كم آمرٍ لي بالتصبر هاج لي ... وقدر أن يكون دوائي
معروفك الساري أنيسك كلما ... ورد الظلام بوحشة الغرباء
وضياء ما قدمته من صالح لك ... في الدجى بدل من الأضواء
كان ارتكاضي في حشاك مسبباً ... ركض الغليل عليك في أحشائي

وقوله في ذكر الفوارس(١):

ومدربين على اللقاء تفيأوا ... ظل الرماح لكل يوم لقاء
قومٌ إذا مرهوا بأغباب السرى ... كحلوا العيون بأثمد الظلماء
يمشون في حلق الدروع كأنهم ... صم الجلامد في غدير الماء
ببروق أدراع ورعد صوارمٍ ... وغمام قسطلةٍ ووبل دماء

وقوله في الغزل(٢):

قال لي صاحبي غداة التقينا ... نتشاكى حر القلوب الظماء
ما ترى النفر والتحمل للبين ... فماذا انتظارنا بالبكاء
لم يقلها حتى انثنيت لما بي ... أتلقى دمعي بفضل ردائي

وقوله في الرثاء(٣):

أحبابي الأدنين كم ألقى بكم ... داءً يمض ولا أداوي الداء
ألا يكن جسدي أصيب فإنني ... قسمته فدفنته أعضاء

وقوله(٤):

تعزيت مستأنساً بالبعاد ... والليث في كل أرض غريب [٤٤٨]
وطاب مقامك في معزل ... تطلع من جانبيه الحروب
بضرب كما اشترطته السيوف ... وطعنٍ كما اقترحته الكعوب
إذا خضب الرمح أدمى به ... كأن السنان بنان خضيب

(١) الديوان: ٢٨/١.
(٢) الديوان: ٣٧/١.
(٣) الديوان: ٣٦/١.
(٤) الديوان: ٧٦/١.

وقوله[1]:

ومعركٍ صافحتْ أيدي الحمام به ... طُلى الرجال على الخُرصان من كثبِ
حلت حُباها المنايا في كتائبهِ ... بالضرب فاجتثتِ الأجساد بالقضب
تلاقت البيض في الأحشاء فاعتنقت ... والسمهري من الماذي واليلب
بكت على الأرض دمعاً من دمائهمُ ... فاستضحكت عن ثغور النور والعشب[2]

وقوله في البرق[3]:

وبرق رقيق الطرتين لحظته ... إذا الجو خوار المصابيح أكهبُ
فمر كما مرت ذوائب عشوة ... تقاد بأطراف الرماح وتجنب
فما الليل إلّا فحمة مستشفة ... وما البرق إلّا جمره تتلهب

وقوله في الحكمة[4]:

إذا الله لم يعذرك فيما ترومه ... فما الناس إلا عاذل أو مؤنبُ
وللحلم أوقات وللجهل مثلها ... ولكن أيامي إلى الحلم أقرب[5]
يرون احتمالي غصة ويزيدهم ... لواعج ضغن أنني لست أغضب
نصحت وبعض النصح في القول هجنة ... وبعض التناجي بالعتاب يعتب
وفي الوطن المألوف للنفس لذة ... وإن لم ينلنا العز إلّا التغرب
وما الخيل إلا كالقداح نجيلها ... لغنم فأما فائز أو مخيب

وقوله في يوم حرب[6]:

ويوم بلألاء السيوف مفضض ... وجو بمحمر الأنابيب مذهبُ[7]
ترى اليوم محمر الخوافي كأنما ... على الجو كأس من دم يتصبب[8]

---

(١) الديوان: ١١٢/١.
(٢) في الديوان: فاستغربت بدلاً من فاستضحكت.
(٣) الديوان: ١٠٩/١.
(٤) الديوان: ١٠٧/١.
(٥) في الديوان: أوقاتي بدلاً من أيامي.
(٦) الديوان: ١١٠/١.
(٧) في الديوان: بحمراء بدلاً من بمحمر.
(٨) في الديوان: نهار بدلاً من ترى.

ولـو كـان أمـراً بـاقـيـاً عـقـلـوا لـه ... ولـكـنـه الأمـر الـذي لا يـجـرب [٤٤٩]

ومـا الـخـيـل إلَّا كـالـقـداح نـجـيـلـهـا ... لـغـنـم فـأمـا فـائـز أو مـخـيـب

وقوله في الفخر(١):

ونعتي كنعت البدر ينسب بينكم ... جهاراً وما كل الكواكب ينسبُ

وقالوا عجيب عُجبُ مثلي بنفسه ... فأين على الأيام مثل أبي أبُ

وقوله في المدح(٢):

لـكـل مـجـتـهـد حـظ مـن الـطـلـب ... فاسبق بعزمك سير الأنجم الشهبِ

وارقَ الـمـعـالـي الـتـي أوفـى أبوك بـهـا ... فـكـم تـنـاولـهـا قـوم بـغـيـر أبِ

لـولا وقـارك فـي نـصـل ضـربـت بـه ... فـاضـت مـضـاربـه مـن خـفـة الـطـرب

وحـسـن رأيـك فـي الأرواح يـنـهـضـهـا ... إلـى الـطـعـان ولـولا ذاك لـم تـثـب

وعـصـبـة جـاذبـوك الـعـز فـانـقـبـضـت ... أكـفـهـم عـنـد دراك الـغـر بـالـطـلـب

شـابـهـتـهـم مـنـظـراً إذ فـقـتـهـم خـبـراً ... إن الـرديـنـي مـعـدود مـن الـقـصـب

هـابـوا ابـتـسـامـك فـي دهـيـاء مـظـلـمـة ... ولـيـس يـوصـف ثـغـر الـلـيـث بـالـشـنـب

يـا ابـن الـذيـن إذا عـدوا فـضـائـلـهـم ... عـد الـنـدى ضـربـهـم فـي هـامـة الـنـشـب

لا يـسـتـشـيـرون إلَّا كـل مـنـصـلـت ... حـامـي الـحـقـيـقـة طـلاع إلـى الـنـوب

يـقـرون حـتـى لـو أن الـضـيـف فـاتـهـم ... حـثـوا إلـيـه صـدور الأيـنـق الـنـجـب

إن أوردوا الـمـاء لـم يـنـهـل جـيـادهـم ... حـتـى تُـعـل بـرقـراق الـدم الـسـرب

وقوله في السيف(٣):

جـذلان يـركـع إن مـال الـضـراب بـه ... مـصـلـيـاً فـي مـحـاريـب مـن الـيـلـب

إذا انـتـضـاه لـيـوم الـروع تـحـسـبـه ... يستل من غمده خيطاً من اللهب

وإن أشـاح بـه سـال الـحـمـام لـه ... فـي مـضـربـيـه فـلـم يـرقـأ ولـم يـصـب

ومن لطائفه قوله في المدح(٤):

---

(١) الديوان: ١/١١١.

(٢) الديوان:١/٩٨.

(٣) الديوان: ١/١٠٠.

(٤) الديوان: ١/١٠١.

نفسي تقيك فكم وقيتني بيدٍ وقد أطاف بي الرامون من كثب[1]
إذا اتقيت بك الأعداء راميةٍ فواجبٌ أن أوقيك النوائب بي [٤٥٠]

وقوله في ركب[2]:

إذا ذعرتهم نبأةٌ غادرتهم وقد أيقظوا من بين أجفانها القضبا
سروا وخيول الليل دهم وعرسوا وقد غادروها في طراد الكرى شهبا
يضوع هجير السير بين رحالهم إذا ما نسيم الليل في ثوبه هَبّا

وقوله في وصف الخيل[3]:

وجرداً ضربن الليل في أم رأسه وجزن بنا إعجازه والغواربا
ومرت حواميها على لمة الدجى تجاذب بالإدلاج منها الذوائبا

وفي الطعن[4]:

وطعن كدفاع الغمام تحثه يمطرن الدماء الصوائبا
له شرر يرمي الرماح بلفحه يكاد يرى ماء الأسنة ذائبا

وقوله في الكأس[5]:

إذا أنصفت فهي في مئزر وتبرز إن أُترعت في نقابِ
سمائي مذهبة بالبروق وأرضى مفضضة بالحباب
أعاقر بالضم كأس العناق وأسلك باللثم خمر الرضاب
عناق كما ارتج ماء الغدير ولثم كلثم الثرى للسحاب

وقوله في بدو الصباح[6]:

وليل ترى الفجر في عطفه كما شاب بعض جناح الغرابِ
يغار الظلام على شمسه إلى أن يواريها بالحجاب

---

(١) في الديوان: الظ بدلاً من أطاف.
(٢) الديوان: ١/١٩٣.
(٣) الديوان: ١/١٥٥.
(٤) الديوان: ١/١٥٥.
(٥) الديوان: ١/١٢٠، ١٢٢.
(٦) الديوان: ١/١٢١.

وقوله[1]:

فهب لي ذنباً واحداً كنت قلته ... فما زلة من حازم بعجيبِ
فيا حسن حال الود ما دمت مذنباً ... أتوب وما دامت تعدد ذنوبي

وقوله في السفينة[2]:

ومطرورة الصدر خفاقةٍ ... تطير مجاذيفها كالعذبْ [451]
تعانقك الريح في صدرها ... ويشتاقك الماء حتى يشبْ
إذا أطردت بك خلت القصور ... ترعد بالبعد أو تحتجبْ

وقوله في الغزل[3]:

عشقت ومالي يعلم الله حاجة ... سوى نظري والعاشقون ضروبُ
ومالي يا لمياء في الشعر طائل ... سوى أن أشعاري عليك نسيب
وفي القلب داء في يديك دواءوه ... ألا رُبَّ داءٍ لا يراه طبيب

وقوله في الحكمة[4]:

ولا علم لي بالغيب إلا ظليعةً ... من الحزم لا يخفى عليها المغيبُ
أجرب من أهواه قبل فراقه ... فيصدق منه الغدر والود يكذبُ

وقوله في الغزل[5]:

رجعت ودمعي جازع من تجلدي ... يروم نزولاً للهوى فيهاب
وأثقل محمول على العين ماؤها ... إذا بان أحباب وعز إياب

وقوله في الحكمة[6]:

وإذا قلب الزمان لبيبٌ ... أبصرَ الجدَّ حرب عقل ولُبٍّ
ومن العجز إن دعا بك عزمٌ ... ورأك الحسامُ غير مكبِ

---

(1) الديوان: ١/١٦٧.
(2) الديوان: ١/١٠٥.
(3) الديوان: ١/١٧٠.
(4) الديوان: ١/٨٠.
(5) الأبيات لم ترد في الديوان.
(6) الديوان: ١/٥٣.

وقوله يذكر العيد(١):

هو عيد ولا يمر على وجهك يوم الا يروق ويصبي
راحلٌ عنك وهو يرقب لقيا ك إلى الحول عن علاقه صبٍّ

وقوله في الفخر والوصف(٢):

مثواي إما صهوة أو غارب ومناي إما زاعف أو قاضبُ
ما مذهبي إلا التقحم بالقنا بين الضلوع وللرجال مذاهب
وركبت أعجاز النجوم بفتية مثل النجوم طوالع وغوارب
غلبٌ كأنهم الصقور جوانحا وكأن أكناف الجياد مراقب [٤٥٢]
متلفت وذرى الرمال كأنها دون النواظر عارض متراكب
وعليَّ تضمير الجياد لغارة فيها خضيب بالدماء وخاضب
أنا أكلة المغتاب إن لم أجنها شعواء يحضرها العقاب الغائب
وكأنما فيها الرماح أراقم وكأنما فيها القسى عقارب
ولقد وقفت على الأعادي وقفةً فيها لمن أبقى المنون تجارب
تحت العجاج وللدروع قعاقع ضرباً وغربان الرماح نواعب
والنقع قد كتم الربى فكأنه سيل تحير والحياد قوارب
من كل نافذة المغار كأنها في قلب حاملها فم متثاوب
ومطاعن وليّ بها فكأنه مما يجر من العوالي حاطب

وقوله في الحكمة والأدب(٣):

قد عز من ضنت يداه بوجهه إن الذليل من الرجال الطالبُ
من أجل هذا أبعدت الناس ورضيت أن أبقى ومالي صاحب
دنيا تضر وما تسروذا الورى كل تجاذبها وكل عاتب
وإذا نعمت فكل شيء ممكن وإذا شقيت فكل شيء عاتب
فاحذر مباغضة الرجال فإنها تدمي ويقدر أن يقول العائب

---

(١) الديوان: ١/٥٤.

(٢) الديوان: ١/٨٣.

(٣) الديوان: ١/٨٤.

وقوله[1]:

إنّا معاشر لا تبلى مطارفنا ... إلّا وهنّ لطلاب الندى سلبُ
موقرون وأيدي الحكم طائشة ... والجد يقبض من أطرافه اللعب

وقوله[2]:

وخطة ضيم فِتُّها غير لاحقٍ ... بي العار إلا ما نفضت ذوائبي
على همهٍ أيدي المنون سياطها ... تسوق بها الآمال سوق النجائبِ

وقوله في كتيبة[3]:

تخوض الليل يلمع جانباها ... كأن الصبح قد حدر النقابا [٤٥٣]
وتغدو كالكواكب لامعاتٍ ... تمزق من عجاجتها الحجابا
يصافحها شعاع الشمس حتى ... كأن الظُّبي ذهباً مُذابا

وقوله في الشيب[4]:

وقالوا الشيب زار فقلت أهلاً ... بنور ذوائب الغصن الرطيبِ
فما ستر الشباب عليَّ عيباً ... فأفزع أن ينم على عيوبي
فليس الحظ للبطل المحامي ... ولا الإقبال للرجل المهيب
عليَّ سداد نبلي يوم أرمي ... ورب النبل أعلم بالمصيب

وقوله[5]:

في كل دارٍ تعدو المنون ومن ... كل الثنايا مطالع النوبِ
يفوز بالراحة الفقيد ... وللفاقد طول العناء والتعب

وقوله[6]:

أنا ابن الأناجب من هاشم ... إذا لم يكن نجب من نجب

---

(١) الديوان: ١/١٨٤.
(٢) الديوان: ١/٨٩.
(٣) الديوان: ١/٩٦.
(٤) الديوان: ١/١٠٢.
(٥) الديوان: ١/١٤٩.
(٦) الأبيات لم ترد في الديوان.

ثلاث بـرودهـم الـرمـاح وتـلـوي عـمـائـمـهـم بـالـشـهـب

وقوله في الرثاء[1]:

نـعـم إنـهـا الـدنـيـا سـمـام لـطـاعـمٍ وخـوف لـمـطـلـوب وهـمٌّ لـطـالـب

وإنـا لـنـهـواهـا عـلـى الـغـدر والـقِـلـى ونـمـدحـهـا مـع عـلـمـنـا بـالـمـعـايـب

وقوله[2]:

أكـاد أريـب فـيـك إذا الـتـقـيـنـا مـن الأنـفـاس والـنـظـر الـمـريـبِ

وإن بـعـد الـلـقـاء عـلـى اشـتـيـاقـي تـلاقـيـنـا بـألـحـاظ الـقـلـوب

وقوله[3]:

كـفـى أسـفـاً لـلـقـلـب مـا عـشـت أنـنـي بـكـفـي عـلـى عـيـنـي حـثـوت مـن الـتـربِ

ألا لا جـوى مـس الـفـؤاد وكـذا الـجـوي ولا ذنـب عـنـدي لـلـزمـان كـذا الـذنـب

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري كأنك من عيني نقلت إلى قلبي [٤٥٤]

وقوله[4]:

أمـا اتـقـى الله عـلـى ضـعـفـه مـعـذب الـقـلـب بـلا ذنـب

يـا مـاطـلاً لـي بـديـون الـهـوى مـن دل عـيـنـيـك عـلـى قـلـبـي

وقوله[5]:

أنـتـم عـلـى الـبـعـد هـمـومـي إذا غـبـت وأشـجـانـي عـلـى الـقـربِ

لا اتـبـع الـقـلـب إلـى غـيـركـم عـيـنـي لـكـم عـيـن عـلـى قـلـبـي

وقوله[6]:

ولـقـد مـررت عـلـى ديـارهـم وطـلـولـهـا يـبـد الـبـلـى نـهـب

وتـلـفـتـت عـيـنـي فـمـذ خـفـيـت عـنـي الـطـلـول تـلـفـت الـقـلـب

(١) الديوان: ١/١٤٤.
(٢) الديوان: ١/١٨٨.
(٣) الديوان: ١/١٦٥.
(٤) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٥) الديوان: ١/١٧٤.
(٦) الأبيات لم ترد في الديوان.

وقوله[1]:

شربنا من الأيام كأساً مريرةً ... تدار بأيدٍ لا نرد شرابها
نعاتبها والذنب منها سجية ... ومن عاتب الخرقاء ملَّ عتابها

وقوله[2]:

لا الوجد منقطع الزفير ... ولا مزار الدمع غب
ما أخطأتك النائبات ... إذا أصابت من تحب

وقوله في التعزية بولد[3]:

إذا السنان الطرير كان لنا ... فدعه يستبدل الأنابيبا
وهل يخون الطعان يوم وغىً ... إن نقص السمهري أنبوبا
وما افتراق الشبول عن أسد ... بمانعٍ أن يكون مرهوبا
يطيح مستصغر الشرار عن الزند ... ويبقى الضرام مشبوبا

وقوله في الثريا[4]:

وهابت جوانبك النائبات ... زمانا وقد تقدم الهائبُ
وهل نحن إلا مرامي السهام ... نحفر نابل ذائب [٤٥٥]
نسر إذا جازنا طائش ... ونجزع إن مسنا صائب
طرائد تطلبها النائبات ... ولا بد أن يدرك الطالب
عواري من سلب الهالكين ... يمد يداً نحوها السالب
أمدت عليك العيون القلوب ... فليس يرى مدمع ناضب

وقوله[5]:

أتعجب من غضبي جهلةً ... ومن ذا يضام فلا يغضبُ
إذا إبلي مطلت رعيها ... فهل ينفع البلد المعشب

---

(١) الديوان: ٧٣/١.
(٢) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٣) الديوان: ١٣٤/١.
(٤) الديوان: ١٣٦/١.
(٥) الديوان: ١٩٢/١.

وهل نافعي ظاهر باسمٌ ... ومن خلفه باطن مقطب

وقوله[1]:

لذلتها هانت عليَّ ذنوبها ... فلم أدرِ من نبذي لها من جناتها
هم استلدغوا رقش الأفاعي ونبهوا ... عقارب ليلٍ ما تنام حماتها
هم نقلوا عني الذي لم أفه به ... وما أفة الأخبار إلا رواتها
واملتم إن تدركونا طوالعا ... دعونا ستسعى للمعالي سعاتها
لنا وعلينا إن لبثنا هنيهة ... قطاف رؤوس أينعت ثمراتها
فوا أسفاً كم من نفوس عزيزة ... تموت وفي أكبادها حسراتها

وقوله[2]:

تسنمتموها طوال الذُّرى ... فصبراً على بعد مهواتها
ومن أمطرته سماء الغنى ... هوى في سيول قراراتها
ألم تعلموا أن أيامكم ... تعد إلى حين ميقاتها
فكيف وثقتم بأعوامها ... ونحن نظن بساعاتها
فلا تطلبن لهم عثرة ... ستأتيهم هي من ذاتها

وقوله[3]:

أعددتكم لدفاع كل مُلمةٍ ... عني فكنتم عون كل ملمة [٤٥٦]
واتخذتكم لي جنة فكأنما ... نظر العدو مقاتلي من جنتي
فلأنقضن يدي يأساً منكم ... نفض الأنامل من تراب الميتِ

وقوله[4]:

يا باني البيت على غرةٍ ... أمامك المنزل والبيتُ
وإنما الدنيا على طولها ... ثنيةٌ مطلعها المَوْتُ

---

(١) الديوان: ٢٠٤/١.
(٢) الديوان: ٢١٢/١.
(٣) الديوان: ٢١٠/١.
(٤) الديوان: ٢٠٨/١.

وقوله[1]:

مالي إلى الدنيا الغرورة حاجة ... فليخز ساحر كيدها النفاثُ
طلقتها ألفاً لأحسم داءَها ... وطلاق من عزم الطلاق ثلاث

وقوله في الطعنة[2]:

ونافذة تمطق عن نجيعٍ ... تمطق شارب اللبن الصراحِ
وأخرى في الضلوع لها هدير ... هدير الفحل قرب اللقاحِ

وقوله في فرس أشقر بنقط بيض[3]:

وأشقر يشرق صبغ المدام ... كما اعتلق الفجر دون الصباح[4]
يجول الصباح بأعطافه ... مجال الفواقع في كأس راحِ

وقوله[5]:

ومعركة خضتها كالرداح ... منطقة بعوالي الرماح
تخضب منها جباه الظبي ... وترمد فيها عيون الرماح

وقوله[6]:

ورثوا المعالي بالجدود وبعدها ... بضراب مرهفةٍ وطعن رماحِ
بمناقب بيض الوجوه مضيئةٍ ... أبداً تُكاثرُ ألسن المُدّاحِ
ومهابة عمت بغير تكبر ... وصرامة أدمت بغير جراحِ
حلم كحاشية الرداء ودونه ... بأس يدق عوامل الأرماحِ

وقوله[7]: [٤٥٧]

كلفت عينك نظرةً مزؤدةً ... منعتك لذتها مدامع تسفحُ
للذل بين الأقربين مضاضة ... والذل ما بين الأباعد أروحُ

---

(١) الديوان: ٢١٨/١.
(٢) الديوان: ٢٣٠/١.
(٣) الديوان: ٢٣٦/١.
(٤) في الديوان جاء عجز البيت كالتالي: انهبت جلدته للسلام.
(٥) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٦) الديوان: ٢٣٩/١.
(٧) الديوان: ٢٤٥/١، ٢٤٦.

وإذا رمتك من الرجال قوارضٌ ... فسهام ذي القربى القريبة أجرحُ

لو لم يكن لي في الصدور مهابةٌ ... لم يطعن الأعداء فيّ ويقدحوا

نظروا بعين عداوة لو أنها ... عين الرضى لاستحسنوا ما استقبحوا

وقوله[1]:

لا تيأسن من أن تعود ... عوائد وتهب ريحُ

ولكل شيء آخر ... إما جميل أو قبيحُ

وقوله[2]:

ويوم ظباة السمهرية تلتظى ... نيرانه والبيض بالبيض تقدحُ[3]

كأن انخفاض البيض ثم ارتفاعها ... مصاريع أبواب تجاف وتفتح

وقوله في أبيه وكان قد حبس[4]:

شقيت منك بالعلاء الأعادي ... والمعالي ضرائرُ الحسادِ

إن سما بالنفاق غيرك ... فالأعوال ملوية على الأطوادِ

أو تعاطى مداك فالمرء مسبو ... ق إذا كف من عنان الجوادِ

كم جبان لويت عنه فأمسى ... وجل العين من قراع الرقادِ

مستطيراً كأن هداب جفنيه ... على الناظرين شوك القتادِ

ظن بالعجز أنَّ حسبك ذل ... والمواضي تُصان في الأغمادِ

كل حبس يهون عند الليالي ... بعد حبس الأرواح في الأجسادِ

قد تداركت ما تمنيت والأحشاء ... مزرورة على الأحقادِ

رب يوم شهدته والمنايا ... تطرح الطعن من رؤوس الصِّعادِ

والظبى تقذف الغمود وماء ... النقع جار على الربى والوهادِ

إنما نحن مشبهوك وما الأشبا ... ل إلا طلائع الآساد[5] [٤٥٨]

نحن ذاك الغرار من هذه البيض ... وذاك الشرار من ذا الزناد

---

(١) الديوان: ١/٢٥٠.

(٢) الديوان: ١/٢٥٠.

(٣) في الديوان: ذبال بدلاً من ظباة، بأيماننا بدلاً من نيرانه.

(٤) الديوان: ١/٢٨١.

(٥) في الديوان: طبائع بدلاً من طلائع.

وقوله[1]:

والليل بين النجوم تحسبه … يخطر في نثرةٍ من الزردِ
للنفس أن تبعث العزائم والرأ … ي وكل الفعال للجسدِ
من كل طاغي الغرار تلحظه … من غمده في طريق قددِ
ولأمةٍ سال فوقها زرد … كالماء في قطعة من الزبدِ

وقوله[2]:

سللنا رقاب العيس من خلل الدجى … تلاعبها أشطانها والمقاودُ
وقد حف بالبدر النجوم كأنه … هدي تهاداه الإماءُ الولائد
وفي أعين القوم انضمامٌ من الكرى … وطرف السرى بين الأزمة شاهد
فمضطرب في كوره مترنح … وآخر مكبوب على الرجل ساجد[3]
وغائرةٍ قد وفر النوم لحظها … تسفه جفنيها الهموم العوائد
رددناكم والسُّمر بين ظهوركم … تعقل فيها الموت والموت شارد
أسنة فهر في صدور جيادهم … كأن قناها للجياد مقاود
فأنا من القوم الذين إذا سطوا … تبرى من التاج العظيم المعاقد
سياطهم بيض الظبي وسجونهم … إذا غضبوا دون العلاء الملاحد
يعرفك الإخوان كل شديدة … وخيرُ أخٍ من عرفتك الشدائد
بهم صح عندي أن كل صبيحة … مجاجة سم والليالي أساود
تفرد بالعلياء عن أهل بيته … وكل يهديه إلى المجد والد
وتختلف الأشجار في ثمراتها … إذا شرقت بالري والماء واحد

وقوله[4]:

وبارق طالعنا من فجر … مستعير عن زفرات الرعد[5]

---

(١) الديوان: ٢٨٥/١.

(٢) الديوان: ٢٨٩/١.

(٣) في الديوان: عرزه بدلاً من كوره.

(٤) الديوان: ٣٠٧/١.

(٥) جاء البيت في الديوان كما يلي:

أبارقٌ طالعنا من نجد … يضيء في عارضه المربد

يقرن أعناق الري بالوهد ... وليلة صدية الفرندِ[1] [٤٥٩]

بيض النجوم واحمرار الوقد ... مثل سماطي نرجس ووردِ

أو مُقلٍ صحائح ورمد ... تنازع اللحظ وليس تعدي

وقوله[2]:

لك القلم الماضي الذي لو قرنته ... بحرى العوالي كان أجرى وأجودا

إذا انسل من عقد البنان حسبته ... يحول على القرطاس برداً معمدا

يعازل منه اللحظ عيناً كحيلة ... إذا عاد يوماً ناظر الرمح أرمدا

وإن مج نصل من دم الضرب ... أحمراً أراق دماً من مقتل الحطب أسودا

وقوله[3]:

سأحمد عيشاً صان وجهي بمائه ... وإن كان ما أعطى قليلاً مصردا

فلست لنفسي طالباً غير قوتها ... كفاني من الغدران ما تقع الصدى

أرى بين نيل العز والذل ساعة ... من الطعن يقتات الوشيح المقصدا

فمن أخرته نفسه مات عاجزا ... ومن قدمته نفسه مات سيدا

وقوله[4]:

وبحر دم تعوم الطير فيه ... وترقى بين أمواج الطرادِ

تراها في مزوج النقع حمراً ... كما طار الشراد عن الرماد[5]

وقوله[6]:

أدار علينا الخمر حتى كأنها ... فواقعها على لونها المتوردِ[7]

نفض لنا عنها حبابا كأنه ... قذى يتمشى بين أجفان أرمد

---

(١) جاء صدر البيت في الديوان كما يلي:

يفقأن بالمصدر عين الورد

(٢) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٣) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٤) الديوان: ٣١١/١.

(٥) في الديوان: الزناد بدلاً من الرماد.

(٦) الديوان: ٣٦٤/١.

(٧) جاء صدر البيت الأول في الديوان كما يلي: جلونا عليه الخمر حتى تكشفت.

وقوله يهنئ بولد[1]:

كأني به جارٍ على حكم سيفه ... يعاهده على أن لا يبيت على حقدِ
وعطف خِرصان الرماح كأنها ... من الدم في أطرافها شجر الوردِ

وقوله[2]:

ما عددت منك إلا نطفة سلكت ... إلى المعالي طريق الماء في العودِ[3] [٤٦٠]
نشرت منها خِماراً في الفخار طوى ... مع النوائب تيجان الصناديد

وقوله[4]:

وما هذه الدنيا لنا بمطيعةٍ ... وليس لخلقٍ من مداراتها بُدُّ
أكل قريب لي بعيد بوده ... وكل صديق بين أضلعه حقد
إذا كان لا يمضي الحسام بنفسه ... فللضارب الماضي بقائمه الحد
أب هو على منه في الفضل والعلى ... وأمضى يداً والنار والدها الزند

وقوله[5]:

قد جرد الشيب في فَوْدَيّ أبيضهُ ... يا ليته في سواد الشعر مغمودُ
بيض وسود برأسي لا يسلطها ... على الذوائب إلا البيض والسود

وقوله في الخيل[6]:

وسوابح لا تستقر على الثرى ... مرحاً كأن الترب شوك قتادِ[7]
من كل تلعاء المناكب جيدها ... يغنى عن القربوس يوم طراد
تجري فترشف الصعيد نسورها ... طرداً وتلفظه على الأكتاد[8]

---

(١) الديوان: ٣٠٦/١.
(٢) الديوان: ٢٩٨/١.
(٣) في الديوان: الأماني بدلاً من المعالي.
(٤) الديوان: ٣١٣/١.
(٥) الديوان: ٢٥٧/١.
(٦) الديوان: ٣١٨/١.
(٧) جاء صدر البيت في الديوان كما يلي:
يزجرن جُرداً لا تقر على الثرى
(٨) في الديوان: الخيل ترتشف بدلاً من تجري فترشف.

وتكاد تمسح من دماء جراحها ... آثار ما نقشت على الأطواد

وقوله[1]:

ولرب أبلج أن أهلَّ جبينه ... جمحت إليه خواطر ونواظر[2]

أن أحل بيداً فالخلاء محافلٌ ... أو قاد خيلاً فالسروج منابر

يوم تود السمر أن صدورها ... لتعد ما كسبت يداك خناصر

ولوا وأيديهم على هاماتهم ... فكأنما تلك الأكف معاجر

وكأن رمحك حالبٌ لدم الطُّلى ... وكأن سيفك في الجماجم جازر

وقوله[3]:

ويوم تخرقت فيه الصفوف ... وخضت إليه دماء الغزارا

فعانقت من بيضه في النجيع ... شقيقاً ومن سمره جلنارا [٤٦١]

وقوله[4]:

في معرك سحب العجاج ذوائباً ... سوداً به فوق النجيع الأحمرِ

وكأنما الجرباء لمة أخنس ... ولها المجرة مفرق لم تستر[5]

وكأنما ثغر الظلام نجومه ... فتساقطت فوق الرماح الخطر

أفل السنان عن الطعان كأنه ... المريخ بعد طلوعه كالمشتري

وتقعقعت بين الكلى قصد القنا ... فكأن كل حشى ربابة ميسر

عثرت بأرياش القشاعم شمسه ... والطعن في هفواته لم يعثر

وقوله[6]:

ورمح طرفه يزداد لحظاً ... إذا ما غض منه دم ممارُ

صموت بين أطراف العوالي ... وفي طعن القلوب له خوار

---

(١) الديوان: ١/٤٠٠.

(٢) في الديوان: فلثم بدلاً من ولرب.

(٣) الديوان: ١/٤٠٤.

(٤) الديوان: ١/٤٣٣.

(٥) في الديوان: أحلس بدلاً من أخنس.

(٦) الديوان: ١/٤٣٧.

وقوله(١):

مـجـاهـلاً لا أظـن الـذئـب يـعـرفـهـا ولا خـطـا قـائـف فـيـهـا عـلـى أثـرِ
يـنـسـى بـهـا الـيـقـظ الـمـقـدام حـاجـتـه ويـصـبـح الـمـرء فـيـهـا ميـت الـخـبـر

وقوله(٢):

ألا رب دويـــة خـــضـــتـــهـــا وقـــد قـــيـــد الـــعـــيـــن ديـــجـــورهـــا
كـــأن الـــســـمـــاء بـــهـــا لامـــةٌ وزهـــر الـــنـــجـــوم مـــســـامـــيـــرهـــا

وقوله(٣):

طـــلـــعـــت والـــلـــيـــل مـــشـــتـــمـــل ســـــابـــــغ الأذيـــــال والأزرِ
فـــاســـتـــقـــامـــوا فـــي رحـــالـــهـــم يـــبـــتـــغـــون الـــضـــوء بـــالـــنـــظـــرِ
فـــامـــتـــريـــنـــا ثـــم قـــلـــت لـــهـــم لـــيـــس هـــذا مـــطـــلـــع الـــقـــمـــرِ

وقوله(٤):

أودي ومـــا أودت مـــنـــاقـــبـــه ومـــن الـــرجـــال مـــعـــمـــر الـــذكـــر
لـــو لـــم يـــعـــارضـــه الـــحـــمـــام إذاً لـمـضـى عـلـى غـلـوائـه يـجـري [٤٦٢]

وقوله يتغزل بسوداء(٥):

تـأبـى طـلائـع بـيـض ذرّ شـارقـهـا في عارضي أن تكون البيض من وطري
إنـي عـلـقـت سـواد الـلـون بـعـدكـم عـلاقـة تـشـمـت الـظـلـمـاء بـالـقـمـر
لو لم يكن فوق لون البيض ما رقمت صبغ الـغـوالـي عـلـى الأجـيـاد والـعـذر
الـلـيـل أسـتـر لـلـخـالـي بـلـذتـه والـصـبـح أفـضـح لـلـساري عـلـى غـرر
ولـلـفـتـى فـي ضـلال الـلـيـل مـعـذرة ومـالـه فـي الـضـحـى إن ضـل مـن غـرر
وكيف يذهب عن قلبي وعن بصري من كـان مـثـل سـواد الـقـلـب والـبـصـر

وقوله في طعنات الرماح(٦):

---

(١) الديوان: ١/٤٢٣.
(٢) الديوان: ١/٤٧٥.
(٣) الديوان: ١/٤٦٨.
(٤) الديوان: ١/٤٥٥.
(٥) الديوان: ١/٤٧١.
(٦) الديوان: ١/٤٦٢.

لهم كل شهقى بالنجيع كما رغا قراسية رد العجيج على الهدرِ
لها رقصات بالدماء كأنما تشقق عن أعراف أحصنه شقر
وغير ألوان القنا طول طعنهم فبالحمر تدعى الآن لا بالقنا السمر
مغاوير في الجلى مغابير للحمى مفاريج للغمى مداريك للوتر
إذا نزل الحي الغريب تقارعوا عليه فلم يدر المقل من المثري
كأن عفاة المرء ذي الطول منهم يمدون أرشاء الدلاء إلى البحر
له رائد يلقاك من دون شخصه جلالا كما دل الضياء على الفجر

وقوله[1]:

راحت نوازع من أحشاي تتبعهم على بقايا لبانات وأوطار[2]
تضوع أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار[3]
فلم يزالا إلى أن نم بي نفسي وحدث الركب عني دمعي الجاري

وقوله[4]:

عش في الأنام بلا عين ولا أذنٍ أو لا فعش أبد الأيام مصدورا[5]
من كشف الناس لم يسلم له أحد والناس داءٌ فخل الداء مستورا

وقوله[6]: [٤٦٣]

قد هززناك للندى فوجدنا ورقاً ناضراً وفرعاً نضارا
توقد النار للقرى وعليها حسب لوخبا الوقود أنارا
أنت من معشر كرام أجادوا أدب الجود في المهود صغارا[7]
في صيال الأسود إن نزل الخطب عليهم وفي حياء العذارى
كلقاح تأبى على العصب دَرّاً وعلى المسح تستهل غزارا

(١) الديوان: ١/٤٧٣.
(٢) في الديوان: قلبي بدلاً من أحشاي.
(٣) في الديوان: التنزول بدلاً من القدوم.
(٤) الديوان: ١/٤٨٠.
(٥) في الديوان: كن بدلاً من عش.
(٦) الديوان: ١/٣٨٩.
(٧) رواية البيت في الديوان كما يلي:
صبية من معاشر حذقوم أدب الجود والعلاء صغارا

وقوله في حصان كميت[1]:

طار للهيجاء كل حصان ... تتراءى به عقابا مطارا
مثل لون العقار تحسبه ... ناراً يثير الطعان منه شرارا

في الشهب[2]:

يلحق الرمح ولو كان القنا ... كسياط الأعوجيات قصارا
وأغر الخلق والخلق له ... نسب ردد في السيف مرارا
وبياض الخلق على رتبةٍ ... من بياض زان وجهاً وعذارا
قد نزلنا دار كسرى بعده ... أربعاً ما كن للذل ظؤارا
أسفرت أعطانها عن معشرٍ ... شغلوا المجد بهم عن أن يُعارا
وإذا لم تدر ما قوم مضوا ... فسل الآثار واستنب الديارا
ناب عرف الطيب عن نار القرى ... في لياليهم إذا الطارق حارا
كل موقود من التاج له ... نهر يسقى يلنجوجاً وغارا
ذي ضياء إن جلا عرنينه ... ضوء الليل وما أوقد نارا
وغمام يرجم الودق بها ... كأكف الحج يرمون الجمارا
كل دهماء ترى القطر بها ... من لجين وترى البرق نضارا

وقوله[3]:

تكاد تسبق أيديها نواظرها ... إلى الطريدة لو لا اللجم والعذرُ
ما كل مثمرة تحلو لذائقها ... إن السياط لها من مثلها ثمر
ألوم من لا يعد اللؤم منقصة ... وضاع عتب مُسيءٍ ليس يعتذرُ[٤٦٤]

وقوله[4]:

إنما المرء كالقضيب تراه ... يكتسى الأخضر الرطيب ليعرى
والجليد الذي إذا الدهر أبكى ... منه قلباً جلى على الناس ثغرا

---

(١) الديوان: ١/٣٩٠.
(٢) الديوان: ١/٤٤٦.
(٣) الديوان: ١/٤٨٣.
(٤) الديوان: ١/٤٥٨.

وقـرتــه روائـع الـدهـر حـتـى | لـم يـرع غـيـر مـرة واسـتـمـرا
عـجـبـاً سـمـتـك الـسـلـو وعـنـدي | مـس جـرح مـن الـردى لـيـس يـبـرا
أجـد الـقـلـب بـعـد لـومـي أسـخـى | فـكـأن الـلاحـي بـمـا قـال أغـرى
زاد عـذلاً فـزاد قـلـبـي ولـوعـاً | رب آس أراد نـفـعـاً فـضـلا

وقوله[1]:

أشـكـو لـيـالـيّ غـيـر مـعـتـبـة | إمـا مـن الـطـول أو مـن الـقـصـرِ
تـطـول فـي هـجـركـم وتـقـصـر فـي | الـوصـل فـمـا نـلـتـقـي عـلـى قـدر
يـا لـيـلـة كـاد مـن تـقـاصـرهـا | يـعـثـر فـيـهـا الـعـشـا بـالـسـحـر[2]

وقوله[3]:

تـجـاف عـن الأعـداء بـقـيـاً فـربـمـا | كـفـيـت ولـم تـعـقـر بـنـاب ولا ظـفـرِ
ولا تـبـر مـنـهـم كـل عـود تـخـافـه | فـإن الأعـادي يـنـبـتـون مـع الـدهـر
وهبك أتقيت السهم من حيت يتقى | فـمـن لـيدٍ ترميك من حيث لا تـدري

وقوله[4]:

بـقـاء الـفـتـى مـسـتـأنـف مـن فـنـائـه | ومـا الـحـي إلا كـالـمـغـيـب فـي الـرمسِ
ويـجـري عـلـى مـن مـات دمـعـي ومـالـه | بـكـيـت ولـكـنـي بـكـيـت عـلـى نـفـسـي
فـلا يـبـعـدنـك الله مـن مـتـفـرد | رأى الـمـوت أنـسـاً فـاسـتراح إلـى الأنـس
كـأن حـداد الـلـيـل زاد سـوادهـا | عـلـيـك ورد الـضـوء مـن مـطـلـع الـشـمـس
أرى كـل رزء دون رزئـك قـدره | فـلـيـس يـلاقـيـنـي لـيـومـك مـا يـنـسـي

وقوله[5]:

إذا ضـربـوا فـي الأرض فـهـي مـهـالـك | وإن أوطنوا الأبيات فهي مجالسُ [٤٦٥]
يـكـون مـزرُّ الـمـرء غُـلاً لـعـنـقـه | مـن الـخـوف حـتـى يـنـزع الـثـوب لابـس

---

(١) الديوان: ٤٧٣/١.
(٢) في الديوان: تقاربها بدلاً من تقاصرها.
(٣) الديوان: ٤٨٥/١.
(٤) الديوان: ٥١٠/١.
(٥) الديوان: ٥٠٣/١.

وقوله[1]:

خذي حديثك في نفسي عن النفس ... وجد المشوق المعنى غير ملتبس

الماء في ناظري والنار في كبدي ... إن شئت فاغترفي أوشئت فاقتبسي

تلذ عيني وقلبي منك في ألم ... فالقلب في مأتم والعين في عرسِ

لعل ظبياً على الجزعاء يسمح لي ... بالرشف من ريقه الممنوع باللعس

يقول مني كأن الحب أوله ... فكيف ذكرني هذا الضنا ونسي

يا بؤس الدهر ألقاني بمسبعة ... وقال لي عند غيل الضيغم احترس

لقد زللت ولكن هفوة أمما ... أيام ارجو الندى الجاري من اليبس

يستبدلون بي الأبدال معجزةً ... من يرضَ بالعير يهجر كاهل الفرس

وقوله[2]:

أحب ثرى أرض أقمت بجوها ... وإن كان في أرضٍ سواها مغارسي

إذا كنت لي غيثاً فأنت غرستني ... ومورق عودي بالندى مثل غارسي

وقوله[3]:

ومعتادة بالطيب ليست تغبه ... منعمة الأطراف تدمي من اللمسِ

إذا ما دخان الند من ردنها علا ... على وجهها أبصرت غيماً على شمسِ

وقوله في مليحة كتبت نون ذهب على شفتها[4]:

ركبت صبغة الهلا ... ل على صبغة الغلسْ

في خمار من اللمى ... وقميص من اللعسْ

وقوله[5]:

كنا نعظم بالآمال بعضكم ... ثم انقضت فتساوى عندي الناسُ

لم تفضلونا بشيء غير واحدةٍ ... هي الرجاء فسوى بيننا الياسُ

---

(١) الديوان: ٥٠٨/١.

(٢) الديوان: ٥٠٥/١.

(٣) الديوان: ٥١٤/١.

(٤) الديوان: ٥١٤/١.

(٥) الديوان: ٥١٤/١.

وقوله [٤٦٦][1]:

عـهـدي بـهـا تـسـعـى عـن وجـل ... ظـمـأى الـوشـاح ولـلـبـرى غـصُ[2]
فـرعـاء إن نـهـضـت لـحـاجـتـهـا ... عـجـل الـقـضـيـب وأبـطـأ الـدعـصُ

وقوله[3]:

ألـحـقـت ريـشـك فـي فـؤادهـم ... عـجـلان تـلـحـقـه وتـنـحـص
إن زدتـهـم فـقـد نـقـصـتـهـم ... إن الـزيـادة بـالـشـغـا نـقـص

وقوله في الإغضاء عن الأقارب[4]:

إذا اضطربت ما بين جنبي غضبة ... وكاد فمي يمضي من القول ما يُمضي
شفعت إلى نفسي بنفسي فكففت ... من الغيظ واستعطفت بعضي على بعضي

وقوله[5]:

يـبـصـر الـنـاس عـلـى أيـديـهـم ... قـصـب الأعـنـاق بـالـبـيـض يـقـط
اقـبـلـوا الأعـداء مـلـتـف الـقـنـا ... بـيـن مـروض ومـجـرور يـحـط
تـحـسـب الأرمـاح قـعـقـاعـهـا ... شـجـراً لـلـطـيـر فـيـهـن لـغـط

وفي الهجاء قوله[6]:

صـور رائـعـة لا يـرتـجـى ... نـفـعـهـا مـثـل تـهـاويـل الـنـمـطْ
شـمـخـوا أن حـلـق الـجـد بـهـم ... غـلـط الـدهـر وكـم يـبـقـى الـغـلـطْ

وفي الموتى قوله[7]:

خـلـتـهـم والـخـطـب يـعـتـامـهـم ... شـجـر الـوادي رمـاه الـمـخـتـبـطْ
ذاقـهـم مـسـتـحـلـيـاً أرواحـهـم ... فـرأى الـمـضـغ طـويـلاً فـاشـتـرطْ

---

(١) الديوان: ٥١٩/١.
(٢) رواية صدر البيت في الديوان كما يلي: ولقد تحل بها مربية.
(٣) الديوان: ٥٢٠/١.
(٤) الديوان: ٥٣٣/١.
(٥) الديوان: ٥٤٢/١.
(٦) الديوان: ٥٤٢/١.
(٧) الديوان: ٥٤١/١.

كنت أرجوهم ثماراً تجتني فهم اليوم قتاد يخترطْ
طمع ورطني في حبلهم ويصاد الطير من حيث لقطْ

وقوله[1]:

هو اليوم أخفت خيله لمع آله فأشباحه فوق العجاج لوامعُ
ترى النقع مسود الذيول وفوقه رداء الردى تحمر منه الوشائع [٤٦٧]
وركب كأن الترب ينهض نحوه يعانقه في سيره أو يصارع
إذا ما سروا تحت الدجى فوجوههم لضوء الضحى قبل الصباح طلائع
وإن أدلجوا لم يسأل الليل عنهم كأنهم فيه النجوم الطوالع
بأرض يضل الليل بين فروجها وتجزعه أجزاعها والأجارع
تطاول أسرا الليل فيها كأنما دجاه لأعناق النجوم جوامع

وقوله[2]:

خلونا فكانت عفة لا تعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانعُ
سلوا مضجعي عني وعنها فإننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجعُ

وقوله[3]:

هيهات لا تتكلفن لي الهوى فضح التطبع شيمة المطبوعِ
أبكي ويبتسم والدجى ما بيننا حتى أضاء بثغره ودموعي

وقوله[4]:

وكل فتى بالشعر يجلو همومه ويكتب ما تملي عليه المطامعُ
هو الشيء تختص القلوب بحفظه وتخطى به دون العيون المسامع
وما كل ممدوح يلذ بمدحه ألا بعض أطواق الرجال مجامع

وقوله في الذنب[5]:

---

(١) الديوان: ٥٥٧/١.
(٢) الديوان: ٥٩٩/١.
(٣) الديوان: ٥٩٣/١.
(٤) الديوان: ٦٠٠/١.
(٥) الديوان: ٦٠٠/١.

أُغيبر مقطوع من الليل ثوبه ... أنيس بأطراف البلاد البلاقعِ
يراوح بين الناظرين إذا التقت ... على النوم أطباق الجفون الهواجعِ
إذا فات شيء سمعه دل أنفه ... وإن فات عينيه رأى بالمسامعِ
إذا غالبت إحدى الفرائس خطمه ... تداركها مستنجداً بالأكارعِ
جريٌّ يسوم النفس كل عظيمة ... ويمضي إذا لم يمض من لم يدافعِ
إذا حافظ الراعي على الشاء غرة ... خفي السري لا يتقي بالطلائعِ
يخادعه مستهزئاً بلحاظه ... خداع ابن ظلماء كثير الوقائع[٤٦٨]

وقوله[١]:

وإن غبين القوم من طاعن الردى ... إذا جاء في جيش الرزايا بأدمعِ
يقل لقبر أنت سر ضميره ... بكاء الغوادي كل يوم بأربعِ
سقاك ولولا ما تجن من التقى ... لقلت شآبيب العقار المشعشعِ

وقوله في القلم[٢]:

يلجلج من فوق الطروس لسانه ... وليس يؤدي ما يقول مسامعهْ
وينطق بالأسرار حتى تظنه ... حواها وصفر من ضمير أضالعهْ
إذا أسود خطب دونه وهو أبيض ... يسود فانتصت عليه مطالعهْ

منها[٣]:

وليل كجلباب الشباب رقعته ... بصبح كجلباب المشيب طلائعهْ
كأن سماء الليل ماءٌ أثاره ... من الليل سيلٌ فالنجوم فواقعهْ

وقوله[٤]:

إن تخب أنواركم من بعدما صدعت ... ثوب الدجى فلضوء الشمس منقطعُ
نسابق الموت تطويحاً بأنفسنا ... حتى كأنا على الآجال نقترعُ
سدت فواغر أفواه القبور بهم ... وليس للأرض لاريٌّ ولا شبعُ

---

(١) الديوان: ٥٨٣/١.
(٢) الديوان: ٦٠٢/١.
(٣) الديوان: ٦٠٢/١.
(٤) الديوان: ٥٨٨/١.

نلهو وما نحن إلا للردى أكل | فالدهر يمضغنا والأرض تبتلعُ
أرسى النسيم بواديكم ولا برحت | حوامل المزن في أجداثكم تضعُ
ولا يزال جنين النبت ترضعه | على قبوركم العراضة الهمعُ
من كل أغلب نظارٍ على شوس | له لواء إلى العليا متبعُ
ذو عزمة تلهم الدنيا وساكنها | وهمةٍ تسعُ الدنيا وما تسعُ

وقوله في فرس أغر(١):

ذو غرة سبغت عليه كأنه | فيها بمد لحاظه من يرقع

وقوله(٢):

ما للزمان يلذ طعم مصائبي | فكأنه يظما ليشرب أدمعي [٤٦٩]

وقوله(٣):

تشاهقن لما أن رأين بمفرقي | بياضاً كأن الشيب عندي من البدعْ
وكن يخرقن السجوف إذا بدا | فصرن يرقعن الخروق إذا طلعْ

وقوله(٤):

واستملَّا حديث من سكن الخيف | ولا تكتباه إلا بدمعي
فاتني أن أرى الديار بطرفي | فلعلي إن أرى الديار بسمعي

وقوله في الجمع بين الهناء والعزاء(٥):

تمضي العلى وإلى ذراكم ترجع | شمس تغيب لكم وأخرى تطلعُ
متداولين لباس أثواب العلى | هذا يجاب له وهذا ينزع
في كل يوم للنواظر منكم | أعلام علياء تحط وترفع
لا مثل من ملك العلى مستقبل | فينا ومن طوت المنون مودع
عينان عين للمزيد قريرة | منا وعين للنقيصة تدمع

---

(١) البيت لم يرد في الديوان.
(٢) الديوان: ١/٥٧٥.
(٣) الديوان: ١/٥٩٧.
(٤) الديوان: ١/٥٩٨.
(٥) الديوان: ١/٥٤٩.

بؤسى ونعمى أعقبت فكأنما ردت على أعقابهن الأدمع

وقوله[1]:

وما زلت مذلاح المشيب بعارضي أنقب عن هذا الورى وأكشف

فما إن عرفت الناس حتى ذممتهم جزى الله خيراً كل من لست أعرفُ

وقوله في اللينوفر[2]:

ولينوفر صافحته الرياح وعانقه الماء صفوا ورنقا[3]

تخيل أطرافه في الغدير ألسنة النار حُمراً وزرقا

وقوله في المجرة وطلوع الفجر[4]:

هَزَّ المجرة أفقه فكأنها غصن بأحداق النجوم وريقُ

مج الظلام الفجر فيه كأنما الأظلام في شفة الغياطل ريقُ

وقوله في الخيل[5]: [٤٧٠]

من كل رقاص كل صهيله نغم وما مج الطعان رحيقُ

طرف تعود أن يخلق وجهه في حيث ينضو النقع وهو سبوقُ

ذو جلدةٍ حمراء تحسب أنها من طول تخليق الرهان خلوقُ

وقوله في السيف[6]:

ومهند عاري الذباب له لمع يدلك كيف ترمقهُ

أطغاه رونق غربه فطغا والماء يطغيه ترقرقهُ

جذلان يرقص في الرؤوس إذا غنته بالصهلات سبقهُ

وقوله في السيوف[7]:

يجردها مثل الأقاحي على الطُّلى ويغمدها محمرةً كالشقائقِ

---

(١) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٢) الديوان: ٢/٧٦.

(٣) في الديوان: ونيلوفر فتحته الرياح.

(٤) الديوان: ٢/٤٧.

(٥) الديوان: ٢/٤٨.

(٦) الديوان: ٢/٥١.

(٧) الديوان: ٢/٥٥.

وركب أناخوا ساعة فتناهبوا ... ترى البيد في أعضادهم والمرافقِ
وثاروا بأيدي العيس عجلي ... كأنها خراطيم أقلام جرت في المهارقِ
شهى إلى الناس النجاة من الردى ... ولا عنق إلَّا وهي في فتر خانقِ
أغالط نفسي بعد مرأى ومسمع ... ولا أنظر الدنيا بعين الحقائقِ
على أنني أدري إذا كان قائدي ... بقائي بأن الموت لا شك سائقي
وما جمعي الأموال إلا غنيمة ... لمن عاش بعدي واتهاماً لرازقي

وقوله في الرثاء[1]:

سقاه وإن لم ترو للقلب غلة ... وما كان ظني أن أقول له سقا
ولو كان بالسقيا يعود أنا له ... كما لو سقي عاري القضيب فأورقا
ولكن أُداري خاطراً متلهفا ... وقلباً بما تحت التراب معلقا

وقوله في المهابة[2]:

لله يوم أطلعتك به العلى ... علما تزاول بالعيون وترشق
في موقف تغضي العيون جلالة ... فيه ويعثر بالكلام المنطق
وكأنما فوق السرير وقد سما ... أسد على نشزات غاب مطرق [٤٧١]
والناس إما راجع متهيب ... مما رأى أو طالع متشوق

وقوله في الحيّة[3]:

إذا غفل الحادون ثار مسارقاً ... وإن روجع النجوى أرم وأطرقا
له منظر العاري وكل هنيهة ... تغاور بالأنقاء بردا مشرقا
كأن زِماماً ضاع من أرحبية ... تلوى بأقواز النقا وتعلقا
رشاء الردى لو عضّ بالطرد هاضه ... ولو شم ما لاقى على الأرض أحرقا

وقوله[4]:

حتى إذا نسمت ريا ... ح الصبح يؤذن بالفراقِ

---

(١) الديوان: ٢/٦٩.

(٢) الأبيات لم ترد في الديوان

(٣) الديوان: ٢/٦٦.

(٤) الديوان: ٢/٧٢.

بـــرد الـــســـوار لـــهـــا فـــأ حـــمـــيـــت الـــقـــلائـــد بـــالـــعـــنـــاقِ

وقوله[1]:

أنت النعيم لقلبي والشفاء له فما أمرك في قلبي واحلاكِ

عندي رسائل شوق لست أذكرها لولا الرقيب لقد أبلغتها فاكِ

هامت به العين لم تتبع سواك هوىً من اعلم العين أن القلب يهواكِ

وقوله[2]:

راق تفرد بالعلياء يفرعها وزايد النجم في العلياء فاشتركا

لا تتبعوا في المعالي غير أخمصة فأخصر الطرق في العلياء ما سلكا

وقوله[3]:

مثلت ربعك والمراحل دونه نصب الظهر فصرت في مغناكِ

ورأيت ظبياً واقفاً بفنائكم يرنو إليّ كما رنت عيناكِ

فبكيت من جزع الفراق وإنما أجرى مدامع مقلتي ذكراكِ

قالت أكنت نسيتنا فذكرتنا للظبي نشكر لا لدمع الباكي

وقوله[4]:

طلعت بوجهك غرة نبوية كالشمس تملأ ناظر المتأمل [٤٧٢]

وإذا أنبت بك في مسالمة العِدى أرض وهبت ترابها للقسطلِ

وقوله في فرس[5]:

ومقوم الأذنين تحسب أنه أنـــاف بـــصـــدره جـــبـــلُ

متطاول يوفى معرده عنقا تضاءل خلفه الكفل

وقوله[6]:

---

(١) الديوان: ٢/٩٩.

(٢) الديوان: ٢/٩٨.

(٣) الأبيات لم ترد في الديوان.

(٤) الديوان: ٢/١٠٧.

(٥) الديوان: ٢/١١٠.

(٦) الديوان: ٢/١١١.

جلت الأئمة عن مناقبه | واستودعته نورها الرسلُ
من معشرٍ كانت سيوفهم | حلياً لمن ضربوا وإن عطلوا
بالفخر يكسون الذي سلبوا | والذكر يحيون الذي قتلوا

وقوله(1):

صدمت بغداد والأيام غافلة | كالسيف يأنف أن يأتي على مهلِ
يا قائد الخيل عن كان السنان فماً | فإن رمحك مشتاق إلى القبلِ

وقوله(2):

وعيون طعن كالعيون يمدها | ماء مدانيه العروق الذبلُ
شهاقه بكف النجيع وتنطوي | فيها المسابر أو تضل الأنمل

وقوله(3):

أغرادهم صبغ الليل صبغته | تضل في خلقه الإلحاظ والمقلُ
فصير ما بين أولاه وآخره | كأنما العنق معقود به الكفلُ

وقوله(4):

بزعفر من عض الشكيم لعابها | ويرعد من فرع العوالي خصيلها
ويعطف عن حوض الدماء روسها | فقد فقدت أوضاحها وحجونها

وقوله(5):

أيا عزيمي بعقيق اللوى | حصلت من حقي على الباطل
يعجبني مطل غريم الهوى | لطول ترددي إلى الماطل[٤٧٣]

وقوله(6):

كأن معروض القنا | تنقله الصواهل

---

(١) الديوان: ٢/١١٩.
(٢) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٣) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٤) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٥) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٦) الديوان: ٢/١٢٦.

أراقم تحملها عقارب سوائل

وقوله[1]:

أبوا أن يخلو بنا القوى ولواقد وأنارهم بالعوالي
ينار المقارى ونقع الحروب تشابه أيامهم والليالي

وقوله[2]:

وليلة خضتها على عجل وصبحها بالظلام يعتصمُ
تطلع الفجر من جوانبها وانقلبت من عقالها الظلمُ
كأنما الدجن في تزاحمه خيل لها بروقه لجمُ

وقوله[3]:

إن الذوابل والأقلام أرشية إلى العلى لملوك العرب والعجمِ
ليس السيوف عن الأقلام غانية الفرى للسيف والتقدير للقلم

وقوله في المحل[4]:

وصوح النبت حتى كاد من سغبٍ فهيم يصوح نبت الهام واللممِ

وقوله الناقة[5]:

ويا رب خطارة لم تزل تجاذبنا السير حتى انقصم
كأن مناسمها في السرى يلاعب بين الحصى باكر نم

وقوله في السيوف[6]:

نعانق بيضاء كأن الصدى بأطرافها سحبه أو عمم
وقد بلغت من نواحي العمود كما نصلت أنمل من غنم

وقوله[7]:

---

(١) الديوان: ٢/١٣٤.
(٢) الديوان: ٢/٣١٧.
(٣) الديوان: ٢/٣٤١.
(٤) الديوان: ٢/٣٤١.
(٥) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٦) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٧) الديوان: ٢/٣٣٩.

حدوا عزمات ضاعت الأرض بينها فصار سراهم في ظهور العزائم [٤٧٤]
وغطّى على الأرض الدجى فكأننا نفتش عن أعلامها بالمناسم

وقوله[1]:

وعدن وقد وهى سلك الثريا وكر الصبح في طلب النجومِ
وقد لاحت لأعيننا ذكاء وراء الفجر كالخد اللطيمِ

وقوله في الخيل[2]:

ومصرة الآذان تر قب وثبةً بعد القيامِ
من كل ذي خصل مرا ح السوط مكدود اللجامِ

وقوله في الغزل بسوداء[3]:

أحبك يا لون الشفاه لأنني رأيتكما في العين والقلب توأما
سوداء يود البدر لو كان رقعةً بجلدته أو شق في وجهه فما
سكنت سوداء القلب إذ كنت شبهه فلم أدر من عز من القلب منكما
وما كان سهم القلب لولا سوداه ليبلغ حبات القلوب إذا رمى
إذا كنت تهوى الظبي ألمى فلا تعب ضوى على الظبي الذي كله لمى

وقوله في العتاب[4]:

وكم صاحب في الرمح زاغت كعوبه أبى بعد طول العمر أن يتقوما
ولو أنني كشفته عن ضميره أقمت على ما بيننا اليوم مأتما
كعضو رمت فيه الليالي بفادحٍ ومن حمل العضو الأليم تألما
هو الكف مض تركها بعد دائها وإن قطعت شانت ذراعا ومعصما
صبرت على إيلامه خوف قطعه ومن لام من لا يرعوى كان ألوما
حملتك حمل العين لج به القذى فلا ينجلي يوماً ولا يبلغ العمى
دع المرء مطوياً على ما ذممته ولا تنشر الداء العضال فتندما

---

(١) الديوان: ٢/٣٦١.

(٢) الديوان: ٢/٣٠٧.

(٣) الديوان: ٢/٢٧٦.

(٤) الديوان: ٢/٢٩١.

إذ العضو لم يؤلمك إلا قطعته ... على مضض لم يبق لحماً ولا دما

وقوله[1]: [٤٧٥]

قد يبلغ الرجل الجبان بماله ... ما ليس يبلغه الشجاع المعدمُ

لا تخدعن عنه فرب ضريبةٍ ... ينبو الحسام بها ويمضي الدرهمُ

وقوله[2]:

واليوم مقذٍ للعيون بنقعه ... لا يهتدي فيه البنان إلى الفمِ

لم يبق غير شفافةٍ من شمسه ... كمضيق وجه الفارس المتلثمِ

وقوله[3]:

بتنا ضجيعين في ثوبى هوى وتقي ... يلفنا الشوق من فرعٍ إلى قدمِ

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي ... مواقع اللثم في داج من الظلم

وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا ... على الكثيب فضول الريط والذمم

يشي بنا الطيب أحياناً وآونة ... يضيئنا البرق مجتازاً على أضم

وأكتم الصبح عنها وهي غافلة ... حتى تكلم عصفور على علم

وألمستني وقد جد الوداع بنا ... كفا نثير بقضبان من العنم

ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا ... وفي بواطننا بعد من التهم

ما ساعفتني الليالي بعد عهدهم ... فإن قلبي لا يرضى بغيرهم

وقوله في الفرس[4]:

كأنه ينظر مستوحشاً ... رينه قام على مخزم

وقوله[5]:

وشرب قد نحرت لهم عقاراً ... كحاشية الرداء الأرجواني

كأن الشمس مال بها غروبٌ ... فأهوت في حيازيم الزمانِ

---

(١) الديوان: ٢٨٨/٢.

(٢) الديوان: ٢٥٨/٢.

(٣) الديوان: ٢٤٢/٢.

(٤) البيت لم يرد في الديوان.

(٥) الديوان: ٤٤١/٢.

وقوله[1]:

رب بــــدر بــــت ألــــثــــمــــه ... صــــاحــــيــــا والــــبــــدر نــــشــــوان
كــيــف لا تــبــلــي غــلائــلــه ... وهــو بــدر وهــي كــتــان [٤٧٦]

وقوله في الحزم[2]:

يضم حشى البغضاء عند تغيبي ... ويجلو جبين الود حين يراني
سبقت برميي قلبه فأصبته ... ولو لم أصبه عاجلاً لرماني

وقوله[3]:

بطل يعمم بالحسام من الأذى ... إن السيوف عمائم الشجعانِ
قطع الهوينا واستمر بعض التوكل ... فــــي الأمــــور تــــوانِ
مشقوا بأطراف الغنى ثغر العدا ... إن الرماح محاصر الفرسانِ

وقوله[4]:

نهفو إلى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البان بل من داره البانُ
وربَّ دارٍ أولــيــهــا مــجــانــبــة ... الــدار أطــراب وأشــجــان
هم عرضوا بوفاء العهد آونة ... حتى إذا عذبونا بالمنى خانوا
يا قوم إن طويل الحلم مفسدة ... وربــمــا ضــر إبــقــاء وإحــســان
والعزم في غير وقت العزم معجزة ... والازدياد بغير العقل نقصان
واجعل يديك مجاز المال تحظ به ... إن الأشــحــاء لــلــوراث خــزان
ثوروا لها ولتهن فيها نفوسكم ... إن الــمــنــاقــب لــلأزواج أثــمــان

وقوله في الخيل[5]:

تطير تحتهم جرد مسومة ... كأنها خطفت بالقوم عقبانُ
من كل أعنق ملطوم بغُرته ... كأنه من تمام الحلق نينانُ

---

(١) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٢) الديوان: ٤٤٧/٢.
(٣) الديوان: ٤٥٢/٢.
(٤) الديوان: ٣٩٥/٢.
(٥) الديوان: ٣٩٦/٢.

وقوله[1]:

يا مسقط العلمين من رمل الحمى ... لي عند ظبيتك النوار ديونُ
لو أن قومك تصلوا أرحامهم ... بعيون سربك ما أبل طعينُ

وقوله في سوداء[2]:

أحبك أن لونك لون قلبي ... وإن ألبست لوناً غير لوني [٤٧٧]
كأني قد نظرت سواد قلبي ... بوجهك ظاهر السواد عيني

وقوله[3]:

وجبال من الغمام كأن ... الليل يرمي رعانها برعانِ
هزجات من البروق كأن ... البلق فيها مجرورة الأرسان
نشء مزن كأن في الأفق منه ... نفس العين في الحسام اليماني

وقوله[4]:

يقول صحبي وقد أعياهم طربي ... بعض الأسى إنما أحببت إنسانا
أنسيتني الناس إذا ذكرتني بهم ... يا مهديا لي تذكارا ونسيانا

وقوله[5]:

وشر الأذى ما جاء من غير حسبة ... وكيد المبادئ دون كيد المداهنِ
وإن بلوغ الخوف من قلب خائفٍ ... لدون بلوغ الخوف من قلب آمن

وقوله[6]:

كأن الشموع وقد أبرزت ... من النار في كل راس سنانا
أما ملا عدائك الخائفين ... تشير إليك الأمان إلا مانا

وقوله[7]:

---

(١) الديوان: ٢/٤١٤.
(٢) الديوان: ٢/٤١٤.
(٣) الديوان: ٢/٤٠٦.
(٤) الديوان: ٢/٤١٦.
(٥) الديوان: ٢/٤٨٤.
(٦) الأبيات لم ترد في الديوان.
(٧) الديوان: ٢/٤٩٢.

ولـم يـك غـيـر مـوقـفـنـا وطـارت ... بـكـل قـبـيـلـة مـنـا نـواهـا
وأنـت الـنـفـس خـالـصـةً فـإن لـم ... تـكـويـنـهـا فـأنـت إذاً مـنـاهـا

وقوله في الشيبه[1]:

ودجى هتكت قناعه عن وجه طامسة خفية ... والـنـجـم مـقـبـل والـبـدر مـرآة صـديـه

وقوله في الهجاء[2]:

ومن نـفـر لا يعرف الـضـيـف كـلـبـهـم ... ويـسـغـب حـتـى يـطـلـع الـلـيـل عـاويـا
تـهـاب الـنـدى أيـديـهـم فـكـأنـمـا ... تـلاطـم مـن بـذل الـنـوال الأثـافـيـا

وقوله في النسيب[3]:

خذوا نـظـرةً مـنـي فلاقـوا بـهـا الـحـمـى ... وكـثـبـان نـجـد والـلـوى والـمـطـالـيـا
عـدمـت دوائـي بـالـعـراق وربـمـا ... رأيـت بـنـجـد طـبـيـبـاً مـداويـا
فـوا لـهـفـي كـم لـي عـلـى الـخـيـف شـهـقـة ... تـذوب عـلـيـهـا قـطـعـة مـن فـؤاديـا
تـرحـلـت عـنـكـم لـي أمـامـي نـظـرة ... وعـشـر وعـشـر خـلـفـكـم مـن ورائـيـا
ومـن حـذر لا أسـأل الـركـب عـنـهـم ... وأعـلاق وجـدي بـاقـيـات كـمـا هـيـا
ومـن يـسـأل الـركـبـان عـن كـل غـائـب ... فـلابـد أن يـلـقـي بـشـيـراً أو نـاعـيـا

الطبقة السابعة: أولاد إسحاق بن جعفر الصادق.

فولد إسحاق: محمداً، والقاسم، وأمه السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي، وحسيناً، وحسناً[4].

الطبقة الثامنة: أولاد محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي.

فولد محمد بن جعفر: علياً، وجعفراً، ويحيى[5].

---

(١) الديوان: ٢/٥٠٩.
(٢) الديوان: ٢/٥١٢.
(٣) الديوان: ٢/٤٩٧.
(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٦٠.
(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٩.

الطبقة التاسعة: أولاد علي بن جعفر بن محمد.

فولد علي: محمداً، وحسناً، وجعفراً[١].

الطبقة العاشرة: أولاد عبد الله بن علي بن الحسين بن علي.

فولد عبد الله: محمداً، وهو المعروف بالأرقط، وإسحاق وكان يشبه بالنبي ﷺ[٢].

الطبقة الحادية عشرة: أولاد محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي.

فولد محمد بن عبد الله: إسماعيل، وعبد الله، والعباس ومات في سجن الرشيد[٣].

الطبقة الثانية عشر: أولاد إسحاق بن عبد الله بن علي بن الحسين.

فولد إسحاق بن عبد الله: يحيى[٤].

الطبقة الثالثة عشر: أولاد زيد بن علي بن الحسين بن علي.

فولد زيد بن علي: يحيى بن زيد وقتل بخراسان[٥]، وكان صار إليها حين قتل أبوه زيد بن علي بالكوفة وقال[٦]:

لِكُلِّ قتيلٍ معشرٌ يطلبونهُ ... وليس لزيدٍ بالعراقين طالبُ

قال ابن بكار عن عمه: قاله أو تمثَّلَهُ[٧].

قالوا: ولما قتل زيد أمسك ابنه يحيى وحبس، ثم أمن وأطلق ثم اتبع بمقاتلين له، فقتل وأحرق هو وجثة أبيه زيد، وأما رأس زيد فحمل إلى المدينة ودفن بها رحمه الله.

ثم نذكر بقية أولاد زيد.

فولد: حسيناً، وعيسى، وكان متغيباً زمان المهدي حتى مات، ومحمد بن زيد[٨].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٩.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٣.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٣.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٣.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٦.

(٦) الزبيري، نسب قريش: ٦٦.

(٧) الزبيري، نسب قريش: ٦٦.

(٨) الزبيري، نسب قريش: ٦٦.

الطبقة الرابعة عشر: أولاد الحسين بن زيد.

فولد الحسين بن زيد: يحيى، وعلياً الأكبر درج، وعلياً الأصغر، وجعفراً، وحسناً، وعبد الله، ومحمداً، وأحمد درج، وجعفراً الأصغر درج، والقاسم، وحسيناً[1].

الطبقة الخامسة عشر: أولاد عيسى بن زيد.

فولد عيسى بن زيد: حسيناً، ومحمداً، وزيداً، ويحيى درج، وأحمد المختفي[2].

الطبقة السادسة عشر: أولاد محمد بن زيد.

فولد محمد: علياً درج، وجعفراً، ومحمد بن محمد الخارج مع أبي السرايا ومات بمرو[3].

الطبقة السابعة عشر: أولاد عمر بن علي بن الحسين بن علي.

فولد عمر: علياً الأكبر، وإسماعيل، وعلياً الأصغر، وموسى، ومحمداً، وجعفر الأكبر، وجعفراً الأصغر[4].

الطبقة الثامنة عشر: أولاد علي الأصغر بن عمر بن علي بن الحسين بن علي.

فولد علي الأصغر: عبد الله، وحسيناً، ومحمداً، والقاسم، وموسى، وعمر، وعبد الله[5].

الطبقة التاسعة عشر: أولاد موسى بن عمر بن علي.

فولد موسى بن عمر: عمر درج[6].

الطبقة العشرون: أولاد محمد بن عمر بن علي.

فولد محمد: عمر بن محمد[7].

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٦٦.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٦٧.

(٣) الزبيري، نسب قريش: ٧١.

(٤) الزبيري، نسب قريش: ٧٢.

(٥) الزبيري، نسب قريش: ٧٢.

(٦) الزبيري، نسب قريش: ٧٢.

(٧) الزبيري، نسب قريش: ٧٢.

الطبقة الحادية والعشرون: أولاد جعفر الأكبر بن عمر.

فولد جعفر: علياً[1].

الطبقة الثانية والعشرون: أولاد الحسين بن علي بن الحسين بن علي.

فأولد: عبد الله، وعبيد الله، وعلياً، ومحمداً، وحسناً، ويحيى، وسليمان، وإبراهيم[2].

وكان عبد الله وعبيد الله أبناء الحسين ممدحين، قال فيهما زيد بن ماريه:

دعوت الله ثم رفعت صوتي	وكل خير أوله الدعاء
عبيد الله يفرج كل همي	وعبد الله شيمته الوفاء

الطبقة الثالثة والعشرون: أولاد عبد الله بن الحسين بن علي [٤٨٠] بن الحسين.

فولد: بكر، والقاسم، وجعفراً، وعلياً، وعبد الله[3].

الطبقة الرابعة والعشرون: أولاد عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي.

فولد: عبد الله، ومحمداً، وعلياً، ويحيى، وحمزة، وجعفراً، وكانت قد صارت لجعفر ابن عبيد الله شيعة يسمونه حجة الله[4].

الطبقة الخامسة والعشرون: أولاد علي بن الحسين بن علي بن الحسين.

فولد: محمداً، وأحمد، وعيسى، وموسى[5].

الطبقة السادسة والعشرون: أولاد الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين.

فولد الحسن بن الحسين: محمداً، وعبد الله، وحسيناً[6].

الطبقة السابعة والعشرون: أولاد سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي.

فولد سليمان بن الحسين: يحيى، وسليمان بن سليمان[7].

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٧٢.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٧٢.

(٣) الزبيري، نسب قريش: ٧٣.

(٤) الزبيري، نسب قريش: ٧٤.

(٥) الزبيري، نسب قريش: ٧٤.

(٦) الزبيري، نسب قريش: ٧٤.

(٧) الزبيري، نسب قريش: ٧٥.

الطبقة الثامنة والعشرون: أولاد إبراهيم بن الحسين بن علي بن الحسين.

فولد إبراهيم بن الحسين: عبد الله[1].

الطبقة التاسعة والعشرون: أولاد علي بن علي بن الحسين بن علي.

فولد علي بن علي: حسناً[2].

الطبقة الثلاثون: ولد الحسن بن علي بن الحسين.

فولد الحسن: زيداً، ومحمداً، وعلياً، وعمر، وحسناً، وحسيناً، وهو الذي غلب على مكة أيام أبي السرايا حتى أخرجه منها، ووجه إلى عيسى بن زيد الجلودي، وعبد الله وكان في سجن الرشيد وقتل به[3].

آخر السفر الثالث والعشرين من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ويتلوه إن شاء الله تعالى في السفر الرابع والعشرين. ثم نذكر من يجب ذكره منهم، وهذا ذكر من تنبه من أهل هذا البيت وملك ملكاً. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وعترته الطيبين الطاهرين. حسبنا الله ونعم الوكيل[4].

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٧٥.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ٧٢.

(٣) الزبيري، نسب قريش: ٧٣.

(٤) جاءت نسخة ت خالية من خاتمة الجزء، والمثبت من نسخة ك وجاءت بتماثل مع نسخة ب، واختلف فقط في آخر لفظة بعد الطاهرين، حيث جاء في نسخة ب: وسلم تسليماً كثيراً بدلاً من حسبنا الله ونعم الوكيل.



قائمة المصادر

● **ابن الأثير،**

ـ الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت.

● **أحمد بن حنبل،**

ـ المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

● **الأصفهاني،**

ـ مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد صقر، دار المعرفة، بيروت.

● **البلاذري، أحمد بن يحيى،**

ـ أنساب الأشراف، القسم الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار فرانتس شتاينر، شتوتكارن، ١٩٩٦م.

● **التهامي،**

ـ الديوان، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦٤م.

● **ابن الجوزي، أبو الفرج،**

ـ الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبدالواحد، الدار الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

● **ابن حزم، علي بن أحمد،**

ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة.

● **الخطيب البغدادي،**

ـ تاريخ بغداد، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

● **ابن خلكان،**

ـ وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

● **الذهبي،**

ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

● **الزبيري، مصعب بن عبد الله،**
- نسب قريش، تصحيح ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.

● **ابن سعد،**
- الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

● **الشريف الرضي،**
- الديوان، شرح يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.

● **ابن طباطبا، إبراهيم بن ناصر،**
- منتقلة الطالبية، تحقيق محمد مهدي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٨م.

● **ابن عساكر،**
- تاريخ دمشق، تحقيق عمر العمروي، دار الفكر، بيروت.

● **ابن عنبة، جمال الدين أحمد،**
- عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب، اعتنى به يوسف جمل الليل، مكتبة المعرفة، الرياض، ٢٠٠٣م.

● **ابن هشام، عبدالملك المعافري،**
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الخير، بيروت، ١٩٩٢م.

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

المحتويات

الخلفاء الراشدون وأنساب آل البيت